مواقف
في
حياة العشرة المبشرين بالجنة

عبد العزيز الشناوي

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
الإدارة: ٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٦٣٨٩٨٤ فاكس: ٢٦١٩٠٤٩

٢٣٩,٩ عبد العزيز الشناوى.

ع ز م و مواقف فى حياة العشرة المبشرون بالجنة / عبد العزيز الشناوى. ــ القاهرة: دار الفكر العربى، ١٩٩٣.

٤٥٥ ص ؛ ٢٤ سم.

ببليوجرافية : ص ٤٥٣.

١- الصحابة والتابعون. ٢- المبشرون.

أ- العنوان.

الإخراج الفنى / نيفين فكرى حسين

مطبعة المدنى المؤسسة السعودية بمصر
٦٨ شارع العباسية - القاهرة - ت: ٨٢٧٨٥١١

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ :

– عشرة من قريش فى الجنة :

أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة

وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة

والزبير فى الجنة وطلحة فى الجنة

وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة

وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة

وسعد بن أبى وقاص فى الجنة

وعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم :

ننشدك الله من العاشر؟

قال رسول الله ﷺ :

– نشدتمونى بالله، أبو الأعور فى الجنة، هو

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين،
محمد بن عبد الله، النبي الأمي الأمين، ورضي الله عن أصحابه،
والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فيقول الله تعالى واصفا نبيه ﷺ وأصحابه :

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾. (سورة الفتح : الآية ٢٩)

هذه قلادة إلهية لا تساميها في قدرها كل قلادات الدنيا، يتزين بها صدر كل صحابي جليل عاش مع رسول ﷺ، شهد المشاهد، وبذل النفس والنفيس وقدم كل غال ورخيص لتعلو كلمة الله، وترفرف راية الدين خفاقة في كل أرض الله.

ثم .. وسام آخر يقلدهم النبي إياه عندما يقول : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وليس ذلك بكثير على رجال ظهر الإسلام بأسمى مظاهره في أيامهم، وتجلى بأجمل حليته في أقوالهم وأفعالهم، فكانوا نجوم هداية للأمة كلها جيلا بعد جيل، وقبيلا تلو قبيل.

وهذا الكتاب عن عشرة من هؤلاء النجوم هم الذين بشرهم النبى ﷺ بالجنة، لما لهم من سبق فى الدين، وفضل على كثير من العالمين، وسمات علمها الله فيهم، ورآها النبى ﷺ منهم، فكانوا بتلك البشرى جديرين.

والكتاب لا يحوى ترجمة كاملة لحياة كل واحد من هولاء العشرة، ولايتتبع أيامهم منذ ميلادهم إلى يوم رحيلهم عن هذه الدنيا .. ولكنه – كما يقول مؤلفه – يحوى حقائق عن شخصيتهم، ومواقف من حياتهم ومشاهد من بطولاتهم المعنوية والحسية. كانت كالزهرات المتفرقة على أغصان شتى فى بساتين متباعدة، تتبعها الكاتب زهرة بعد زهرة، وجمعها فى طاقة واحدة، وقدمها إلى القارئ، راسما بها صورة لما كان عليه هذا الجيل المبارك من حميد الصفات وجميل السجايا، وهى طبعا لن تعلو عما صورهم به ربهم جل شأنه ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾(١). تقدمها دار الفكر العربى، تذكرة بهم وبأمجادهم، لعل أجيالنا تجد فيهم الأسوة وتأخذ عنهم القدوة، فتعود إلى ماكان عليه الزمن الأول .. علما بالدين وعملا، وإيمانا به وسعيا من أجله، لأنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، وهؤلاء هم قادة العصر الأول، ربما يستضئ بأخلاقهم العصر الأخير، فينال الهداية والرشاد، ويصل على ضوئهم إلى شاطئ الأمن والسداد.

والله الهادى، وهو حسبنا، ونعم الوكيل .. نعم المولى ونعم النصير..

محمد محمود الخضرى

---

(١) آخر سورة الفتح

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وإله الأولين والآخرين، سبحانك ربنا، آمنا بك، وتوكلنا عليك، واستعنا بحولك وقوتك، وأصلي وأسلم على رسولك الصادق المصدوق، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه.

● وبعد ...

هذا الكتاب «مواقف من حياة العشرة المبشرين بالجنة» يتناول حقائق من شخصية وحياة وعظمة ثلة من أصحاب رسول ﷺ، الذى أمرنا أن نحسن وأن نكرم أصحابه، وأن نحفظه فيهم، فهم كالنجوم نقتدى بهم، فقد كان منهم حواريوه ووزراؤه .. وإن شرار أمة سيد الخلق عليه الصلاة والسلام أجرؤهم على أصحابه، فقد جعل ﷺ شفاعته مباحة إلا لمن سب أصحابه .. لمشهد[1] شهده رجل مع رسول الله ﷺ، يغبر وجهه مع النبى عليه الصلاة والسلام، أفضل من عمل أحدكم ولو عَمّر عُمْر نوح .. فما بالنا بصفوة الصفوة من أصحابه الذين بشرهم الهادى البشير ﷺ بالجنة؟

---

(١) المشهد هنا هو الموقف فى الحرب.

﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾(١)

فمنهم ..

من أقرأه الله عز وجل السلام، ومنهم من استبشر أهل السماء بإسلامه، وجعل الله الحق على لسانه وقلبه، ومنهم أمين الله وأمين رسوله وأمين هذه الأمة، ومنهم حوارى رسول الله ﷺ، ومنهم سراج أهل الجنة، ومنهم الشهيد الذى يمشي على الأرض .. الخير .. الجود .. الفياض .. ومنهم من صلى رسول الله ﷺ وراءه صلاة الفجر .. ومنهم مستجاب الدعوة، ومنهم أول من رمى بسهم فى سبيل الله عند القتال ... فكانت لهم جنات الفردوس نزلا.

والله المستعان ..

عبد العزيز الشناوي

(١) سورة الزمر آية ١٨.

١

أبـو بكـر الصـديـق

﴿لَوْ كُنتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً غَيْرَ رَبِّي لاتَّخَذْتُ
أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِن أُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَمَوَدَّتـه﴾

«حديث نبوى شريف»

رفض عبادة الأصنام :

كانت أم القرى، البلد الحرام، الذى تتوسطه الكعبة، موطن القداسات منذ أن رفع الخليل إبراهيم القواعد من البيت وابنه إسماعيل .. ثم جلبت إليها الأصنام، وازدحمت حولها مع الأيام، حتى صارت مهوى أفئدة قريش وما حولها.

ومنذ أن أصبح عبد الله بن أبى قحافة غُلاما وهبته أمه للكعبة، فعاش بين أكثر من ثلاثمائة وستين صنما. وبدلا من أن يخشاها ويسجد لها ويقدم إليها القرابين رفع راية التمرد والعصيان فلم يسجد لها قط، لقد طلب منها أن تطعمه فارتطمت كلماته المتوسلة الجائعة بآذان صماء حجرية، وسألها أن تكسوه فلم تجبه وأدرك أنها عارية وفى حاجة إلى كساء، وعلم أنها لا تستطيع أن تدفع عن نفسها أذى ولاتملك لنفسها نفعا ولا ضرا، فكيف تمنح عابديها الخير وتمنع عنهم الشر؟ وسخر بمن يعظمونها، واستهزأ بمن يسجد لها.

ولحكمة سامية يعلمها الله عز وجل، ولأمر جلل أراده الله، نشأت قبل النبوة رابطة وثيقة من الصداقة بين عبد الله بن أبى قحافة ومحمد بن عبد الله فكانا صديقين متلازمين لا يفترقان إلا لعمل أو سفر. فقد كان أبو بكر يعمل تاجرا فيذهب إلى الشام واليمن، وكان أمينا دمث الخلق، وكان يتولى دفع الديات عن قريش، وكان كريما عالما بأنساب العرب فأحبه الناس. وكان قد حرم على نفسه الخمر.

إيمان قبل النبوة :

وآمن أبو بكر برسول الله ﷺ قبل النبوة (علم أنه النبى المنتظر)، لقد أخبره بذلك بحيرى الراهب، وسمعه من شيخ عالم من الأزد قد قرأ الكتب، (نزل به فى اليمن) فقال لأبى بكر :

– أحسبك حرميا (من مكة).

فقال أبو بكر : نعم.

قال الرجل : أحسبك قرشيا.

قال أبو بكر : نعم.

قال الرجل الأزدى : أحسبك تيميا.

قال أبو بكر : نعم.

فقال الأزدى : بقيت لى فيك واحدة.

فتساءل أبو بكر : وماهى؟

قال الأزدى : تكشف لى عن بطنك.

قال أبو بكر : لا أفعل أو تخبرنى لم ذلك؟

قال الأزدى : أجد فى العلم النجيح الصادق، أن نبيا يبعث فى الحرم، يعاون على أمره فتى وكهل، فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف، على بطنه شامة، وعلى فخذه اليسرى علامة، وما عليك أن ترينى ما سألتك فقد تكاملت فيك الصفة.

يقول أبو بكر : فكشفت له عن بطنى، فرأى شامة بيضاء أو سوداء فوق سرتى، ورأى العلامة على الفخذ الأيسر.

فقال : أنت هو ورب الكعبة.

يقول أبو بكر : فلما قضيت أربى[1] من اليمن أتيته لأودعه، فقال : أحافظ عنى أبياتا من الشعر قلتها فى ذلك النبى؟

قلت : نعم فذكر لى أبياتا؟

يقول أبو بكر :

فقدمت مكة وقد بعث النبى عليه الصلاة والسلام، فجاءنى صناديد قريش كعقبة بن أبى معيط وشيبة بن ربيعة، وأبى البخترى فقالوا : يا أبا بكر، يتيم أبى طالب يزعم أنه نبى، ولولا انتظارك ما انتظرنا به. فإذا قد جئت فأنت الغاية والكفاية.

يقول أبو بكر: فصرفتهم على أحسن شئ، ثم جئته ﷺ فقرعت[2] عليه الباب فخرج إلى وقال لى : يا أبا بكر إنى رسول الله إليك وإلى الناس كلهم، فآمن بالله. فقلت : وما دليلك على ذلك؟ قال : الشيخ الذى أفادك الأبيات. فقلت : ومن أخبرك بهذا ياحبيبى؟ قال : الملك العظيم الذى يأتى الأنبياء قبلى، قلت : مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

يقول أبو بكر : فانصرفت وما بين لابتيها[3] أشد سرورا من رسول الله ﷺ بإسلامى.

وكان أول من أظهر إسلامه بعد رسول الله ﷺ، وأنفق أبو بكر ماله فى سبيل الله.

---

(١) الأرب : الأمل. (٢) قرع الباب : طرقه.

(٣) لابتاها : الجبلان اللذان يحيطان بمكة.

يقول عمر بن الخطاب : ما استبقنا إلى شئ من الخير إلا سبقنا أبو بكر.

وكان بمكان الوزير من رسول الله ﷺ، فكان يشاوره فى أموره كلها، وكان أحب أصحابه إليه.

وكان ﷺ يقول :

إن مِنْ أمَنِّ(١) الناس علىَّ فى صحبته وماله أبا بكر. ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لايبقين باب إلا سُدَّ (سدت جميع الأبواب التى كانت مفتوحة فى مسجده ﷺ) إلا باب أبى بكر.

يقول المقدام : استب(٢) عقيل بن أبى طالب وأبو بكر (كان أبو بكر نسابا) غير أنه تحرج من قرابته من النبى عليه الصلاة والسلام، فأعرض عنه وشكا إلى النبى عليه الصلاة والسلام، فقام رسول الله ﷺ فى الناس فقال : ألا تدعون لى صاحبى؟ ماشأنكم وما شأنه، فو الله ما منكم رجل إلا على باب بيته ظلمة إلا باب أبى بكر، فإن على بابه النور، فوالله لقد قلتم : كذبت، وقال أبو بكر : صدقت، وأمسكتم الأموال وجاد لى بماله، وخذلتمونى وواسانى واتبعنى.

ولما قبض رسول ﷺ بايعه المسلمون خليفة لرسول الله ﷺ، فقد صلى بهم أثناء مرض النبى عليه الصلاة والسلام، وقدمه رسول الله ﷺ فحج بالمسلمين فى العام التاسع من الهجرة، وجاءت رسول الله ﷺ امرأة تسأله عن شئ فأمرها أن ترجع إليه فلما قالت له:

يا رسول الله إن جئت فلم أجدك (تعنى الموت).

فقال النبى عليه الصلاة والسلام.

إن لم تجدينى فأتى أبا بكر.

فهل هناك من كان ثانيه فى الإسلام، وثانيه فى الغار، وثانيه فى العريش يوم بدر، وثانيه فى القبر؟؟

اسمه ولقبه :

عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب، القرشى التيمى، يلتقى مع رسول الله ﷺ فى مرة، ولقب عتيقا لعتقه من النار، وقيل لجمال وجهه، وقيل لعتاقة نسبه، أى طهارته إذ لم يكن فى نسبه شئ يعاب به.

---

(١) أمَنّ : اكثر منّا ..　　(٢) استب .. تخاصم ..

سأل القاسم بن محمد بن أبى بكر أم المؤمنين عائشة عن اسم أبى بكر (جده) فقالت :

– عبد الله.

فقال القاسم بن محمد : إن الناس يقولون : عتيق ..

قالت عائشة : إن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد سماهم : عتيقا ومعتقا ومعيتيقا.

وسأل موسى بن أبى طلحة أباه : لم سمى أبو بكر عتيقا؟

قال أبو طلحه : كانت أمه لا يعيش لها ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت الحرام ثم قالت : اللهم إن هذا عتيق من الموت فهبه لى.

ولقب بالصديق (كان يلقب به فى الجاهلية) لما عرف منه من الصدق.

وقيل لمبادرته إلى تصديق رسول الله ﷺ فيما كان يخبره (أول ما اشتهر به صبيحة الإسراء).

يقول أبو هريرة : لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسرى به فكان بذى طوى[1] قال : ياجبريل إن قومى لا يصدقوننى، قال : يصدقك أبو بكر وهو الصديق.

مولده ومنشؤه :

ولد أبو بكر الصديق بعد مولد النبى عليه الصلاة والسلام بسنتين وأشهر. وكان منشؤه بمكة لا يخرج منها إلا للتجارة، وكان ذا مال جزيل فى بنى تيم، ومروءة تامة. وإحسان وتفضل فيهم. وكان من رؤساء قريش فى الجاهلية، وأهل مشاورتهم ومحببا فيهم، وأعلمهم لمعالمهم، فكان نسابا، وكان إليه أمر الديات والغرم .. فلما جاء الإسلام كان أبو بكر أحد عشرة من قريش اتصل بهم شرف الجاهلية والإسلام.

في الجاهلية :

كان عبد الله بن أبى قحافة أعف الناس فى الجاهلية. تقول أم المؤمنين عائشة :

والله ما قال أبو بكر شعرا قط فى جاهلية ولا إسلام، وقد ترك هو وعثمان (عثمان بن مظعون) شرب الخمر فى الجاهلية.

---

(١) ذو طوي : مكان قرب مكة.

وتقول عائشة :

لقد حرم أبو بكر الخمر على نفسه فى الجاهلية.

جلس أبو بكر يوما فى مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ فقيل له :

هل شربت الخمر فى الجاهلية؟

قال أبو بكر الصديق : أعوذ بالله..

فقيل له : ولم؟

قال أبو بكر الصديق : كنت أصون عرضى، وأحفظ مروءتى، فإن من شرب الخمر كان مضيعا فى عرضه ومروءته.

فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال:

صدق أبو بكر، صدق أبو بكر (قالها مرتين).

وكان رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا، وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم مما كان منها من خير أو شر، وكان تاجرا ذا خلق ومعروف. وكان من أعلم الناس بأنساب العرب.

إسلامه:

كانت الأصنام مبثوثة حول الكعبة، وكانت مهوى أفئدة قريش وما حولها من القبائل، يتملقونها ويعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى. وكان لكل قبيلة صنمها وإلهها. وكان كل طفل يولد ثم يخطو يصحبونه إلى إلهه ليعرفه. ثم يسعى إليه ليسجد له، ويتضرع إليه ويبثه أمله ونجواه.

وكانت أم الخير سلمى (ليلى) بنت صخر امرأة أبى قحافة لا يعيش لها ولد، فلما ولدت عبد الله استقبلت به البيت الحرام، وقالت : اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهبه لى ..

ووهبته للآلهة، ولقب بعبد الكعبة، فنظر إلى اللات والعزى وأساف ونائلة ومناة وهبل وبقية الأصنام والأوثان فى عجب .. سألها يوما أن تطعمه فلم تجبه، وطلب منها أن تكسوه، فلم ترد عليه، فقذف هبل بحجر فلم يستطع الإله الأكبر أن يدافع عن نفسه .. وأدرك عبد الله بن أبى قحافة أنها أحجار لا تنفع ولا تضر.

وألقى عبد الله بن أبى قحافة سمعه للمتحدثين عن الهداة من الأجيال السالفة عبر السنين، كسويد بن عامر المصطلقى الذى جهر بعقيدة البعث ويوم الجزاء. وعامر بن الظَّرب العدوانى الذى قال لقومه :

إنى ما رأيت شيئا قط خلق نفسه، ولا رأيت موضوعا إلا مصنوعا، ولا جائيا إلا ذاهبا، ولو كان الذى يميت الناس الداء لكان الذى يحييهم الدواء .

وقرأ عن ابن ثعلب بن درة الذى عزف عن عبادة الأصنام ودعا إلى الله وحده. والمتلمس بن أمية الكنانى الذى كان يتوسط قومه عند الكعبة ويقول لهم بأعلى صوته :

أطيعونى ترشدوا، لقد اتخذتم آلهة شتى وإن الله ربكم ورب ما تعبدون.

وزهير بن أبى سلمى الذى كان يمسك أوراق الشجيرات وهى تهتز خضراء بعد أن كانت يابسة هامدة ويقول :

لولا أن يسبنى العرب لآمنت أن الذى أحياك بعد جفاف سيحيى العظام وهى رميم.

كانوا يتحدثون، ولكن لم يكن معهم مناهج كاملة تمكنهم من أن يدعوا الناس إليها.

ورأى عبد الله بن أبى قحافة أناسا آخرين كأبى قيس بن أنس .. اعتزل قريشا وآلهتها وأصنامها وأوثانها واتخذ له مسجدا وقال :

لا يدخله طامث ولا جنب .. أعبد رب إبراهيم ..

ولقد عاش أبو قيس بن أنس هذا حتى بعث رسول الله ﷺ فأسلم ونطق بشهادة الحق.

وجلس عبد الله بن أبى قحافة إلى قس بن ساعدة، وزيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل .. الذين وجهوا وجوههم للذى فطر السماوات والأرض، واعتنقوا الحنيفية المؤمنة، وكانوا على دين إبراهيم.

وجلس إليهم عبد الله بن أبى قحافة طويلا فنهل من ينابيع حكمتهم وأنكرت قريش مجالسة ابن أبى قحافة لهؤلاء العاكفين على أنفسهم، والذين أوشكت حياتهم على الغروب، فكيف لشاب فى ربيع العمر وسيد قومه وحامل الديات أن يجلس مع هذا النفر الصالح؟ ألم يفكر فيما يمكن أن يلحق به من ضر؟

لم لا يعتزل آلهتهم ويخرج عن الصف ويأتى بأفكار جديدة كأفكار هولاء؟ إنه لم يسجد لصنم قط .. عزف عن عبادة الأصنام منذ نعومة أظافره.!

ووجد عبد الله بن أبى قحافة محمد بن عبد الله مثلا أعلى، فهو لا يذكر الأصنام بسوء، ولا يذكرها بخير، ولا يسجد لها مع الساجدين ولا يتقرب إليها .. فكان حريصا على صحبته. والتقى منهج محمد الذى يقوم على التفكير والتأمل والإصغاء إلى الهمس الآتى من داخل الحقيقة ذاتها، ومنهج عبد الله بن أبى قحافة الذى يقوم على التفكير والإصغاء إلى حكمة الحكماء ومنطق الهداة العابدين المبصرين.

يقول أبو بكر : كنت جالسا بفناء الكعبة، وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعدا فمر به أمية بن أبى الصلت فقال : كيف أصبحت يا باغى الخير؟

قال : بخير.

قال : هل وجدت؟

قال : لا ولم آل من طلب.

فقال :

كل دين يوم القيامة إلا ما قضى الله فى الحقيقة بور

أما إن هذا النبى الذى ينتظر منا أو منكم؟ قال : ولم أكن قد سمعت قبل ذلك بنبى ينتظر أو يبعث .. فخرجت أريد ورقة بن نوفل، وكان كثير النظر إلى السماء كثير همهمة الصدر، فاستوقفته ثم قصصت عليه الحديث، فقال : نعم يا ابن أخى، أبى أهل الكتاب والعلماء إلا هذا النبى الذى ينتظر من أوسط العرب نسبا – ولى علم بالنسب – وقومك أوسط العرب نسبا. قلت : ياعم وما يقول النبى؟ قال : يقول ما قيل له إلا أنه لا يظلم ولا يظالم.

وأصبح عبد الله بن أبى قحافة يفكر فى هذا النبى الذى يجمع قريشا والعرب على الحق.. لكن من هو؟ ورأى(١) ابن أبى قحافة القمر ينزل إلى مكة فدخل فى كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه فى حجره فهل هذه الرؤيا صادقة؟ متى تتحقق؟

---

(١) رأى ذلك فى المنام

وكان أبو بكر صديقا لمحمد بن عبد الله يكثر غشيانه[1] فى منزله ومحادثته ولا يفارقه سفرا ولاحضرا إلا فيما يذهب محمد شهرا كل عام (شهر رمضان) معتكفا فى غار حراء.

وذات يوم كان أبو بكر يجلس مع حكيم بن حزام فجاءت مولاة حكيم وقالت له :

إن عمتك خديجة تزعم هذا اليوم أن زوجها نبى مرسل مثل موسى .. فلما سمع أبو بكر كلمة نبى تذكر قول زيد وأمية وورقة فخفق قلبه .. وفرح، لقد كان متوقعا لذلك.

ولم يستطع صبرا فاستأذن فى الانصراف وانطلق إلى بيت خديجة بنت خويلد، فأتى محمدا - ﷺ - فسأله :

يا أبا القاسم، ما الذى بلغنى عنك؟

فقال محمد ﷺ : وما بلغك عنى يا أبا بكر؟

قال أبو بكر : بلغنى أنك تدعو إلى توحيد الله وزعمت أنك رسول الله

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

نعم يا أبا بكر، إن ربى جعلنى بشيرا ونذيرا، وجعلنى دعوة إبراهيم وأرسلنى إلى الناس جميعا.

فمد أبو بكر يده وقال فى صدق وبلا تردد :

صدقت بأبى أنت وأمى، وأهل الصدق أنت، ما جربت عليك كذبا، وإنك لخليق بالرسالة لعظيم أمانتك وصلتك لرحمك وحسن فعالك .. أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله.

فأقبلت خديجة إليه مستبشرة وعليها خمار أحمر فقالت :

الحمد الله الذى هداك يا ابن أبى قحافة.

ففرح رسول الله ﷺ بإسلام أبى بكر، فما كان أحد بين الأخشبين، أكثر سرورا منه. وانطلق أبو بكر وقد تألق وجهه كأن الشمس قد اختصته آنئذ بكل

---

(١) أى زيارته ..

ضيائها. وقيل أن قول الحق عز وجل ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ نزل فى أبى بكر، فالذى جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذى صدق به أبو بكر.

وأخذ أبو بكر يدعو إلى دين الله فأسلم بدعائه : عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله، فقد كانوا يحبون ويميلون إلى أبى بكر فجاء بهم إلى النبى عليه الصلاة والسلام حين استجابوا له فأسلموا وصدقوا رسول الله ﷺ بما جاءه من الله عز وجل.

وكان ابن أبى قحافة أول من أسلم من الرجال وعلى بن أبى طالب أول من أسلم من الصبيان وخديجة بنت خويلد أول من أسلمت من النساء.

جهاده :

كان أبو بكر بزازا[(١)] ذا مال، وكان له بمكة ضيافات لا يفعلها أحد، ولما أسلم كان معه أربعون ألف درهم جعلها فى سبيل الله. ولازم رسول الله ﷺ،

وبينما كان ابن أم عبد (عبد الله بن مسعود) فى غنم لآل عقبة بن أبى معيط جاءه النبى عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر فقال رسول الله ﷺ :

هل عندك لبن؟

قال عبد الله بن مسعود : نعم ولكنى مؤتمن ولست بساقيكما.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- فهل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل بعد؟

قال عبد الله بن مسعود : نعم.

فأتاه بشاة شصوص[(٢)] ليس لها ضرع. فمسح النبى عليه الصلاة والسلام مكان الضرع ودعا ربه فحفل[(٣)] الضرع فأتى عبد الله بن مسعود النبى عليه الصلاة والسلام بصخرة منقرة فاحتلب رسول الله ﷺ فسقى أبا بكر وسقى عبد الله بن مسعود ثم شرب. ثم قال للضرع : أقلص ...

(١) يتاجر فى البز وهو نوع من القماش.

(٢) شصوص : نحيلة عجفاء.

(٣) حفل : امتلأ ..

فرجع كما كان.

فلما كان بعدُ أتى عبد الله بن مسعود رسول الله ﷺ وقال :

علمنى من هذا القول الطيب (يعنى القرآن).

فعرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن فقال عبد الله بن مسعود :

- أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ...

فمسح رسول الله ﷺ على رأسه وقال :

- بارك الله فيك فإنك غلام معلم ..

وذات يوم كان المسلمون فى دار الأرقم يصلون مستخفين وبعد أن انتهوا من صلاتهم جلسوا حول رسول الله ﷺ يفقههم فى دينهم فقال أبو حذيفة بن عتبة : ما جزاء من سمع بك ولم يتبعك؟

فقال النبى ﷺ : من سمع بى من يهودى أو نصرانى ثم لم يسلم دخل النار.

فنظر أبو بكر من دار الأرقم التى تطل على الحرم ودار الندوة فوجد قريشا فى مجالسهم حول الكعبة فقال:

إننا على حق وهم على ضلال فكيف نجلس نترقب خشية الناس وهم آمنون فى بيت الله؟

إلى متى سيختفى النور تاركا الدنيا للظلمات؟

فقال أبو حذيفة بن عتبة ومصعب بن عمير وأبو سلمة المخزومى وسعيد ابن زيد :

يا أبا بكر أتلح على الظهور؟

قال أبو بكر : نعم ..

فقال رسول الله ﷺ : إنا قليلون ..

ولكن أبا بكر أخذ يتحدث فى حماسة وصدق يزين للنبى عليه الصلاة والسلام الخروج إلى المسجد لإعلاء كلمة الله، ولم يزل به حتى خرج ﷺ ومن

معه من أصحابه إلى المسجد. فقام أبو بكر خطيبا والنبى عليه الصلاة والسلام جالس. فقام سادة قريش وقالوا :

يا ابن أبى قحافة أتسخر منا على أعين الناس؟ أتسب آلهتنا وتسفه أحلامنا؟ إنها لفتنة وإن سكتنا عليها استشرى الشر فى مكة..

وثاروا على أبى بكر ووطئ بالأرجل وضرب ضربا شديدا، وصار عتبة بن ربيعة يضربه بنعلين مطبقتين ويحرفهما إلى وجهه بعنف حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه، فقد غرق فى دم غزير. وطار الخبر إلى بنى تيم رهط أبى بكر فجاءوا وأجْلوا عتبة بن ربيعة وأشراف قريش عن أبى بكر وحملوه فى ثوب إلى أن أدخلوه داره وهم لا يشكون فى موته. ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا :

والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ..

وعادوا إلى أبى بكر وصار أبوه أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى إذا كان آخر النهار تكلم وقال :

ما فعل رسول الله ﷺ ؟

ونظرا أبو بكر إلى أمه متسائلا فقالت : والله مالى علم بصاحبك ..

فقال أبو بكر : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ..

وخرجت أم أبى بكر إلى دار سعيد بن زيد ودخلت على فاطمة بنت الخطاب وقالت لها :

إن أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله.

فقالت فاطمة : لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ..

فقد كانت فاطمة تخشى أن يعرف أخوها عمر بن الخطاب أمر إسلامها فيأتى ليبطش بها وبزوجها فهو لا يطيق الدين الجديد ويصب العذاب على من آمن بالله ورسوله ..

ولما اطمأنت فاطمة بنت الخطاب إلى أم أبى بكر قالت لها :

تريدين أن أخرج معك ؟

قالت أم أبى بكر : نعم ..

فخرجت أم جميل بنت الخطاب معها إلى أن جاءت أبا بكر فوجدته بين الحياة والموت فقالت :

إن قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وإنى لأرجو أن ينتقم الله منهم ..

فقال لها أبو بكر : مافعل رسول الله ﷺ ؟

فالتفتت فاطمة بنت الخطاب نحو أم أبى بكر وقالت : هذه أمك تسمع ..

قال أبو بكر مطمئنا : فلاعين عليك منها ..

قالت أم جميل بنت الخطاب : سالم ..

فتساءل أبو بكر : أين هو ؟

قالت فاطمة بنت الخطاب : فى دار على الصفا ..

قال أبو بكر : فى دار الأرقم بن أبى الأرقم؟

قالت أم جميل بنت الخطاب : نعم ..

قال أبو بكر : والله لا أذوق طعاما ولا شرابا أو آتى رسول الله ﷺ ..

وهم أبو بكر بالنهوض فخفت إليه أمه وقالت : فأمهلنا ..

فقام أبو بكر وصحب أمه إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم ففرح المسلمون بمقدمه. وقال :

بأبى وأمى أنت يارسول الله مابى من أسى إلا ما نال الناس من وجهى، وهذه أمى برة بولدها فعسى الله أن ينقذها بك من النار ..

فدعا لها النبى عليه الصلاة والسلام ودعاها إلى الإسلام .. فقالت فى انفعال وصدق :

أشهد أن لا آله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

فسعد أبو بكر بإسلام أمه أم الخير سلمى بنت صخر.

وظل رسول الله ﷺ يدعو الناس سرا إلى الله والإسلام ثلاث سنوات. ولما أنزل العزيز الحكيم قوله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين* واخفض جناحك لمن أتبعك من المؤمنين﴾(١) فاشتد ذلك عليه وضاق به ذرعا وجلس فى داره وقال :

– عرفت أنى إن بادأت بها قومى رأيت منهم ما أكره.

وأتته عماته صفية وعاتكة وأروى .. فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– ما اشتكيت شيئا ولكن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين.

فقلن له : فادعهم ولا تدع أبا لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) فإنه غير مجيبك ..

وكان أبو بكر بن أبى قحافة بمكان الوزير من رسول الله ﷺ ، فشاوره فى الأمر فقال أبو بكر : يانبى الله أنذر عشيرتك ..

ولكن النبى عليه الصلاة والسلام صمت فجاءه جبريل عليه السلام وقال : يامحمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار ..

فأتى رسول الله ﷺ جبل الصفا فصعد عليه ثم نادى :

– ياصبحاه ...

فأقبل الناس إليه بين رجل يجئ إليه وبين رجل يبعث رسوله.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : يابنى عبد المطلب، يابنى فهر، يابنى كعب، أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتمونى؟

قالوا : نعم ...

قال رسول الله ﷺ : فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ..

فقال عمه عبد العزى بن عبد المطلب (أبو لهب) :

– تبا لك سائر اليوم، أما دعوتنا إلا لهذا؟

فتفرق الناس.

---

(١) (الآية ٢١٤ ، ٢١٥، سورة الشعراء)

وعـاد أبو لهب إلى داره وراح يروى على امـرأته أم جـمـيل مـا كـان مـن محمد ﷺ ، فأخذت تشاركه سخريته وهزءه ..

وأوحى الله إلى رسوله ﷺ : ﴿تبت يدا أبي لهب وتب * ما أغنى عنه ماله وما كسب * سيصلى نارا ذات لهب * وامرأته حمالة الحطب * في جيدها حبل من مسد﴾. (سورة المسد كلها)

وذاعت سورة المسد فى مكة، فاستفحل حقد وكراهية أبى لهب وزوجته أم جميل أخت أبى سفيان بن حرب، وكانت رقية وأم كلثوم ابنتا رسول الله ﷺ فى كنف ابنى عمهما أبى لهب فاستبد به الغضب وبعث فى طلب ولديه عتبة ومعتب وقال لهما :

إن محمدا قد سبنى وسب أم جميل ..

وطلب منهما أن يفارقا ابنتى رسول الله ﷺ ..

وخرجت أم جميل إلى الحرم تبحث عن النبى عليه الصلاة والسلام وفى يدها حجر. فلما رأته عليه الصلاة والسلام يتحدث مع أبى بكر انطلقت نحوهما..

فقال أبو بكر : يا رسول الله إنها امرأة بذيئة فلو قمت فو الله لتؤذينك ..فقال رسول الله ﷺ :

إنها لن ترانى ..

وأقبلت أم جميل فقالت : يا أبا بكر صاحبك هجانى ..

قال أبو بكر : لا ورب هذا البيت ما هجاك ..

(كان أبو بكر يقسم صدقا فما هجاها النبى عليه الصلاة والسلام بل هجاها العلى القدير).

قالت أم جميل : أنشد فىّ شعرا ..

قال أبو بكر : والله ما صاحبى بشاعر وما يدرى ما الشعر ..

فقالت أم جميل : والثواقب إنه لشاعر وإنى لشاعرة ..

مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

وانصرفت أم جميل إلى دارها. فقال النبى عليه الصلاة والسلام : جعل بينى وبينها حجاب .

وذات ضحى كان سادة قريش حول الكعبة فطلع عليهم رسول الله ﷺ وأبو بكر. فاستلم النبى عليه الصلاة والسلام الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فغمزه أمية بن خلف ببعض القول. ثم مر بهم الثانية فغمزه بمثلها. ثم مر بهم الثالثة فغمزه بمثلها .. فوقف رسول الله ﷺ وقال :

أتسمعون يامعشر قريش .. أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح ..

فنزل الرعب فى قلوبهم وما تبقى رجل منهم إلا وكأنما على رأسه طائر وقع .. وقالوا :

يا أبا القاسم، انصرف فوالله ما كنت جهولا ..

فانصرف رسول الله ﷺ :

ولما كان الغد. اجتمع أشراف قريش فى الحجر. فقال أبو جهل : ذكرتم ما بلغ وما بلغكم عنه حتى إذا ناداكم بما تكرهون تركتموه ...

وبينما هم كذلك إذ طلع عليهم النبى عليه الصلاة والسلام. فقام أمية بن خلف والتقط عظما باليا قد أرم. واعترض طريقه ﷺ وقال :

يامحمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد أن أرم ؟

ثم فتتها ونفخها فى وجه النبى عليه الصلاة والسلام، فمسح رسول الله ﷺ عن وجهه ما أصابه وقال :

نعم أنا أقول ذلك، يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا، ثم يدخلك الله النار.

تساءل أمية بن خلف :

أتقول يبعثنى الله ربك بعد ما أكون هكذا مثل هذه العظام التى أرمت؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم ..

﴿وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم* قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم* الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾. (الآيات ٧٨، ٧٩، ٨٠ سورة يس)

قال النضر بن الحارث :

يامحمد أنت الذى تقول : ﴿إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم* أفنجعل المسلمين كالمجرمين* ما لكم كيف تحكمون* أم لكم كتاب فيه تدرسون﴾ ..

(الآيات ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧ سورة القلم)

قال رسول الله ﷺ : نعم أنا أقول ذلك ..

قال عقبة بن أبى معيط :

يامحمد أنت الذى تقول : ﴿ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾.. (الآية ٢٣ سورة الجن)

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم أنا الذى يقول ذلك ..

قال أبو جهل بن هشام :

يامحمد أنت الذى تقول : ﴿إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾..

(الآية ٢٣ سورة النجم)

قال رسول الله ﷺ : نعم أنا أقول ذلك.

قال أبو سفيان بن حرب :

– يامحمد أنت الذى يقول : أن إلهك خير من آلهتنا؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم أنا الذى أقول ذلك ..

قال عتبة بن ربيعة : يامحمد، هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد مانعبد، فنشرك نحن وأنت فى الأمر، فإن كان الذى تعبد خيرا مما نعبد كنا أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه ..

فقال رسول الله ﷺ :

﴿بسم الله الرحمن الرحيم* قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ماتعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولى دين﴾.. (سورة الكافرون كلها)

فقال عقبة بن أبى معيط : لنا ديننا وهو خير من دينك هذا ..

ثم أخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديدا. وتشبث سادة قريش برسول الله ﷺ.. فأتى رجل أبا بكر وقال له:

أدرك صاحبك ..

فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد والناس مجتمعون عليه ﷺ . فقام أبو بكر دونه عليه الصلاة والسلام .. وهو يبكى ويقول :

ويلكم أتقتلون رجلا يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات؟

وحاول أبو بكر أن يفدى رسول الله ﷺ بنفسه فأمسك به الرجال وصدعوا رأسه وجذبوا لحيته.

ونام خالد بن سعيد بن العاص فرأى فى المنام أنه وقف به على شفير النار ورأى فى النوم كأن آتيا أتاه يدفعه فيها فرأى رسول الله ﷺ، آخذا بحقويه (الحقو : الكشح وهو مابين الخاصرة إلى الضلع من الخلف) لا يقع، ففزع خالد بن سعيد من نومه وقال :

أحلف بالله إن هذه الرؤيا حق ..

فلقى أبا بكر فذكر ذلك له فقال :

أريد بك خير، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه فإنك ستتبعه وتدخل معه فى الإسلام يحجزك أن تدخل فيها، وأبوك واقع فيها ..

فلقى خالد بن سعيد النبى عليه الصلاة والسلام وهو بأجياد فقال :

يا محمد إلام تدعو؟

قال رسول ﷺ :

أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يبصر ولا يسمع، ولا يضر ولا ينفع، ولا يدرى من عبده ممن لا يعبده..

فقال خالد بن سعيد : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ..

فسر النبى عليه الصلاة والسلام بإسلامه. ولما علم أبوه سعيد بن العاص بإسلامه أرسل فى طلبه فأتى به فأنبه وضربه بمقرعة فى يده حتى كسرها على رأسه وقال : والله لأمنعنك القوت ..

فقال خالد بن سعيد : إن منعتنى فإن الله يرزقنى ما أعيش به ..

وانصرف إلى رسول الله ﷺ فكان يكرمه ويكون معه.

وذات يوم دخل رسول الله ﷺ المسجد ومعه عبد الله بن مسعود وعثمان ابن عفان وصهيب بن سنان وأبو بكر، فقام النبى عليه الصلاة والسلام يصلى. وقد نحر جزورا بين إساف ونائلة وبقى روثه فى كرشه. وكان أبو جهل وعدى ابن الحمراء وعقبة بن أبى معيط وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وبعض من سادات قريش فى مجلسهم. فلما رأى أبو جهل رسول الله ﷺ قال :

أيكم يأخذ سلى الجزور فيضعه بين كتفى محمد إذا سجد؟

فقال عقبة بن أبى معيط : أنا لها يا أبا الحكم ..

فجاء عقبة بن أبى معيط بسلى الجزور وقذفه على ظهر النبى ﷺ فلم يرفع رأسه.

فضحك أشراف قريش وجعلوا يميلون بعضهم على بعض من شدة الضحك (كان أتباع رسول الله ﷺ من المستضعفين فخافوا أن يلقوا سلى الجزور عنه) حتى أقبلت فاطمة بنت رسول الله ﷺ فأخذته من ظهره ودعت على من صنع. فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

اللهم عليك الملأ من قريش : أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط ..

فلما سمع سادة قريش دعاء رسول الله ﷺ ذهب عنهم الضحك ووقع الخوف فى قلوبهم..

ولما راح رسول الله ﷺ يطوف البيت ويده فى يد أبى بكر وعثمان بن عفان مروا بأشراف قريش فلما حاذوهم أسمعه أبو جهل بعض ما يكره. فبدا فى

وجه النبى عليه الصلاة والسلام أثر ما قال أبو جهل، ولكنه ﷺ سكت وأخذ يطوف. فلما حاذوهم .. قال أبو جهل : والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة وأنت تنهى أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أنا ذلك ..

ثم مضى فصنع أبو جهل به فى الشوط الثالث مثل ذلك. حتى إذا كان الشوط الرابع قام سادة قريش له فوثب أبو جهل يريد أن يأخذ مجامع ثوب رسول الله ﷺ فدفع عثمان صدر أبى جهل فوقع على استه ودفع أبو بكر أمية ابن خلف ودفع رسول الله ﷺ عقبة بن أبى معيط .. فانفرجوا عن النبى عليه الصلاة والسلام .. فقال :

أما والله ما تنتهون حتى يحل بكم عقابه؟ وبئس القوم أنتم لنبيكم ..

وانصرف ﷺ إلى بيته ..

وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله منهم النبى عليه الصلاة والسلام بعمه أبى طالب، وأبو بكر منعه الله بقومه.

وكان أبو جهل بن هشام يغرى بالمسلمين فى رجال من قريش إن سمع برجل قد أسلم له شرف ومنعة أنّبه وخزّاه وقال :

تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنفيلنّ (نخطئن) رأيك ولنضعنّ شرفك.

وإن كان تاجرا قال له أبو جهل : والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك ..

ومر أبو بكر ببلال بن رباح وهو يعذب فقال لأمية بن خلف : ألا تتقى الله فى هذا المسكين؟

قال أمية : أنت أفسدته فأبعدته ..

قال أبو بكر : عندى غلام على دينك أسود أجلد من هذا أعطيكه به؟

قال أمية بن خلف : وتدفع لى خمس أوقيات من الذهب ..

فقال أبو بكر : قبلت ..

فأعطاه أبو بكر الغلام الأسود وخمس أوقيات من الذهب، فقال أمية وهو يضع كيس الذهب فى جيبه :

واللات يا أبا بكر لو رفضت أن تشترى بلالا بخمس أوقيات لبعته لك بأوقية ..

فقال أبو بكر : والله يا أمية لو طلبت مائة أوقية ثمنا لبلال لدفعتها لك ..

وأعتق أبو بكر بلال بن رباح ..

واشترى أبو بكر زنيرة وأم عميس وأعتقهما ..

والنهدية وابنتها (كانتا جاريتين لعبد الدار بعثتهما سيدتهما تطحنان لها) فسمعها أبو بكر وهى تقول لهما : والله لا أعتقكما أبدا ...

فقال أبو بكر : حل يا أم فلان (تحللى من يمينك).

فقالت : حل، أنت أفسدتهما فأعتقهما،

قال أبو بكر : فبكم؟

قالت : بكذا وكذا ..

قال أبو بكر : قد أخذتهما وهما حرتان. ارجعا إليها طحينها.

قالت النهدية وابنتها : أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها،

قال أبو بكر : أو ذلك إن شئتما.

ومر أبو بكر بأبى فكيهة وهو يعذب فاشتراه وأعتقه.

وأخذ الطفيل بن الحارث (بن عبد الله) يسقى عامر بن فهيرة العذاب والهول وقال له : عد إلى دين آبائك ..

قال عامر بن فهيرة : والله لا أعود إلى الظلمات ..

فراح الطفيل يعذبه حتى لا يدرى ما يقول فلما رأى أبو بكر ما ينزل به من العذاب قال لطفيل : ألا تتقى الله فى هذا المسكين؟

قال الطفيل : أفسده صاحبك ...

فاشتراه أبو بكر وأعتقه فأقام عامر بن فهيرة فى بيت أبى بكر وأصبح يرعى عليه منيحة من غنم له.

فقال أبو قحافة : يابنى إنى أراك تعتق ضعافا فلو أنك إذا فعلت أعتقت رجالا جلداء يمنعونك ويقومون دونك.

فقال أبو بكر لأبيه : يا أبت إنى إنما أريد ما أريد .

فأنزل الله تعالى :

﴿فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسرى* وأما من بخل واستغنى* وكذب بالحسنى* فسنيسره للعسرى* وما يغنى عنه ماله إذا تردى* إن علينا للهدى* وإن لنا للآخرة والأولى* فأنذرتكم نارا تلظى* لا يصلاها إلا الأشقى* الذى كذب وتولى* وسيجنبها الأتقى* الذى يؤتى ماله يتزكى* وما لأحد عنده من نعمة تجزى* إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى* ولسوف يرضى﴾ ...

(الآيات ٥ إلى ٢١ : سورة الليل)

ولما أسلم عمر بن الخطاب فرح النبى عليه الصلاة والسلام وهنأه أبو بكر. وأعز الله الإسلام به، وأصبح أصحاب رسول الله ﷺ يصلون فى المسجد الحرام ويقرأون القرآن آمنين مطمئنين .. ولما علم المسلمون المهاجرون إلى الحبشة (الهجرة الأولى) بإسلام عمر رجعوا إلى أم القرى، ولكن قريشا عندما علمت بمقدمهم نصبت لهم شباكا ونجا كل من دخل فى جوار رجل من قريش وأنزلت بمن لم يدخل فى جوار أحد من سادات قريش أشد العذاب.

وربت عداوة قريش لأصحاب رسول الله ﷺ فجاءوا إليه يبكون ويشكون واستأذنوه فى الهجرة إلى الحبشة .. فأذن لهم.

وضاقت مكة على أبى بكر وأصابه فيها من الأذى ما أصابه فاستأذن النبى عليه الصلاة والسلام فى الهجرة فأذن له. فقد رأى فى هجرته إلى الحبشة الأمن والأمان فترك ماله وأهله ورسول الله ﷺ وأصحابه، وأم القرى، وخرج مهاجرا فى سبيل الله. وبعد أن سار من مكة يوما لقيه ابن الدغنة سيد الأحابيش (تحالف بنو الهون بن خزيمة تحت جبل حبش أسفل مكة على أنهم يد واحدة على ما عداهم ماسجا ليل ووضح نهار فسموا أحابيش قريش) فقال ابن الدغنة :

إلى أين يا أبا بكر؟

قال أبو بكر : أخرجنى قومى وآذونى وضيقوا على ..

قال ابن الدغنة : ولم؟ فوالله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم .. ارجع ارجع وأنت في جواري.

فرجع أبو بكر معه حتى إذا دخل مكة .. قام ابن الدغنة وقال : يامعشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد إلا بخير.

فكفوا عنه. وسار أبو بكر آمنا مطمئنا. وأخذ يصلي ويقرأ القرآن في البيت الحرام، وكان بكاء لا يملك دمعه.

ولكن قريشا عادت فقالت لابن الدغنة :

مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، وليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء ولا يؤذنا ولا يستعلن بالصلاة والقراءة في غير داره.

فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر وأخبره. فلزم أبو بكر داره ثم بنى مسجدا بفناء داره فكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فتنقصف (تزدحم) عليه نساء المشركين وأبناؤهم يتعجبون منه وينظرون إليه .. فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا إلى ابن الدغنه فقدم عليهم .. فأتى أبا بكر فقال له :

يا أبا بكر قد علمت الذي عقدت لك عليه فإما أن تقتصر على ذلك وإما ..؟

قال أبو بكر : وإما أن أرد عليك جوارك ...

قال ابن الدغنة : نعم.

قال أبو بكر : فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله ورسوله.

فقام ابن الدغنة في الناس ومعه أبو بكر فقال :

يا معشر قريش إن أبا بكر بن أبي قحافة قد رد على ذمتي (جواري) فشأنكم بصاحبكم.

وكان رسول الله ﷺ يوافي المواسم يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه عز وجل ولهم الجنة. وكان يصحب أبا بكر معه .. ولكن أحدا لم ينصره (ظل يدعو الحاج عشر سنين) وذات موسم. خرج النبي عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر وعلي وجلس سادات قريش للناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمر النبي عليه الصلاة والسلام.

وكان رسول الله ﷺ يشفق على نفسه وعلى المستضعفين الذين ذاقوا صنوف العذاب صابرين فى سبيل الله ونصرة دينه. وبينما كان ﷺ جالسا فى قبته وحوله المقداد بن عمرو وحمزة بن عبد المطلب وزيد بن محمد ومصعب بن عمير وبلال وأبو بكر وصهيب بن سنان إذ نزل عليه الوحى ﴿ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين﴾. (الآية ٦٧ سورة المائدة)

فقال رسول الله ﷺ : أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى الله ..

وقف النبى عليه الصلاة والسلام ليدعو الملأ إلى الإسلام ويتلو عليهم آيات الله البينات. فإذا بأبى جهل وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث يهرعون إلى من تجمعوا حول رسول الله ﷺ ليفضوهم عنه. وبرز عمه أبو لهب من ورائه وقال : هذا ابن أخى إنه ساحر كذاب ..

فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام : ما أنا إلا بشير ونذير ..

فقال أبو جهل : إنه مجنون ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إن أتبع إلا ما يوحى إلى ..

فقال عقبة بن أبى معيط : بل شاعر نتربص به ريب المنون ..

وارتفع صوت رسول الله ﷺ ببعض آيات من الذكر الحكيم، ولكن صفير وتصفيق أبى جهل وعدى بن الحمراء والنضر بن الحارث وأمية بن خلف ظهر على صوته عليه الصلاة و السلام .. ثم قالوا :

هذا سحر مبين ..

وقال النضر بن الحارث: افتراه ..

فقال النبى ﷺ :

﴿إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه، كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم﴾. (الآية ٨ سورة الأحقاف)

وحاول أبو بكر والمقداد وحمزة وزيد ومصعب أن يوضحوا للناس حقيقة الدين القويم. فقال سادة قريش :

لو كان خيرا ما سبقونا إليه. إن هذا إلا أساطير الأولين ..

فقال رسول الله ﷺ :

﴿ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا﴾.(١)

قال الحارث بن قيس :

ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ...

فتلقفها الأسود بن عبد يغوث وقال :

– إنه يسب آلهتنا وآلهتكم ويسفه أحلامنا وأحلامكم ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– إلهكم إله واحد لا إله إلا هو خالق كل شئ فاعبدوه ..

تساءل سادة قريش : واللات والعزى ومناة وهبل؟

قال رسول الله ﷺ :

إن هى إلا أسماء سميتموها. أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا؟

قال العاص بن وائل السهمى: إنها تقربنا إلى الله زلفى ..

قال أبو جهل بن هشام :

إنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون؟ . إن هذا إلا إفك قديم ..

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

﴿يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل﴾(٢).

قال شيبة بن ربيعة : فلتأتنا بآية إن كنت من الصادقين ..

قال رسول الله ﷺ :

﴿إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين﴾(٣)

قال النضر بن الحارث : لم لا يأتى معك ملك؟

---

(١) سورة الفرقان آية ٥٧. (٢) سورة يونس آية ١٠٨.

(٣) سورة العنكبوت آية ٥٠.

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى. (١)

فتفرق الناس .

واقترب أبو جهل من النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

أبشراً منا واحدا نتبعه؟ إنا إذا لفى ضلال وسعر؟

قال رسول الله ﷺ :

﴿ياأيها الناس إن كنتم فى شك من دينى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين﴾. (٢)

فسخر منه أبو جهل بن هشام وضحك لما رأى الناس تفرقوا بعيدا عن النبى عليه الصلاة والسلام.

وماتت خديجة بعد أيام من موت أبى طالب فتلاحقت المصائب على رسول الله ﷺ ونالت منه قريش فقد كان أبو طالب يمنعه وينصره، وكانت خديجة وزير صدق له وللإسلام.

وتزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة فكانت أول امرأة تزوجها بعد خديجة فى رمضان سنة عشر من النبوة ودخل بها بمكة. وعقد النبى عليه الصلاة والسلام على عائشة بنت أبى بكر فى شوال سنة عشر من النبوة أيضا ففرح أبو بكر فقد صار صهرا لرسول الله ﷺ.

ولما رجع رسول الله ﷺ من الطائف (رفضوا أن ينصروه ليبلغ رسالة ربه وآذوه) دخل النبى عليه الصلاة والسلام على أم هانئ بغلس، وهى على فراشها فقال ﷺ :

شعرت أنى نمت الليلة فى المسجد الحرام فأتانى جبريل عليه السلام فأيقظنى وأخرجنى من المسجد وإذا أنا بدابة وهى البراق، وهى فوق الحمار ودون البغل أبيض وفى فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه، يضع حافره فى منتهى

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٠.

(٢) سورة يونس آية ١٠٤.

بصره فقال : اركب، فلما وضعت يدى عليه تشامس واستصعب فقال جبريل : يا براق ما ركبك نبى أكرم على الله من محمد، فانصب عرقا وانخفض لى، حتى ركبته وجبريل عليه السلام لا يفوتنى حتى انتهينا إلى بيت المقدس فأدخل جبريل يده فى الصخرة فخرقها وشد به البراق. فنشر لى رهط من الأنبياء فيهم إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فصليت بهم وكلمتهم وأتيت بإناءين أحمر وأبيض فشربت الأبيض فقال لى جبريل عليه السلام : شربت اللبن وتركت الخمر، لو شربت الخمر لغوت أمتك بعدك. ثم ركبته فأتيت المسجد الحرام فصليت به الغداة.

فتعلقت أم هانئ برداء رسول الله ﷺ وقالت:

أنشدك الله ابن عم إن حدثت بهذا الخبر قريشا فيكذبك من صدقك.

يانبى الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبونك ويؤذونك ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : والله لأحدثنهموه ..

وضرب ﷺ بيده على ردائه فانتزعه من يدها وخرج عليه الصلاة والسلام فجلس فى المسجد الحرام وهو واجم فرآه أبو جهل بن هشام فقال : هل كان من شئ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم ..

فتساءل أبو جهل : ماهو ؟

قال رسول الله ﷺ : أسرى بى الليلة ..

قال أبو جهل : إلى أين ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : إلى بيت المقدس ..

فعاد أبو جهل بن هشام يتساءل : ثم أصبحت بين ظهرانينا؟

قال رسول الله ﷺ : نعم ..

قال أبو جهل : أرأيت إن دعوت قومك لك لتخبرهم لأخبرتهم بما أخبرتنى به؟

(أراد أبو جهل بن هشام جمع قريش ليسمعوا النبى عليه الصلاة والسلام يقول لهم ذلك) فقال رسول الله ﷺ : نعم ..

(أراد النبى عليه الصلاة والسلام جمع قريش فيخبرهم ذلك ويبلغهم).

صاح أبو جهل بن هشام : هيا يا معشر قريش ..

فاجتمعوا من أنديتهم .. فقال أبو جهل : أخبر قومك بما أخبرتنى به ..

فقال رسول الله ﷺ : إنى أسرى بى الليلة ..

فقال أهل مكة : إلى أين ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

إلى بيت المقدس راكبا البراق صحبة جبريل يضع خطوه عند أقصى طرفه (حيث ينتهى بصره) فحملت عليه فانطلق بى جبريل، فأدخل يده فى الصخرة فخرقها وشد به البراق، ثم دخلت المسجد فوجدت إبراهيم الخليل وموسى وعيسى فى نفر من الأنبياء، جمعوا لى فصليت بهم. ثم جاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل : اخترت الفطرة، هديت وهديت أمتك يامحمد. ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا فاستفتح لى جبريل ففتح لنا، ورأيت هناك آدم أبا البشر فسلمت عليه فرحب بى ورد على السلام وأرانى أرواح السعداء عن يمينى، وأرواح الأشقياء عن شمالى. ثم عرج بى إلى السماء الثانية فاستفتح لى فرأيت فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم، فلقيتهما وسلمت عليهما فردا على السلام، ورحبا بى، وأقرا بنبوتى، ثم عرج بى إلى السماء الثالثة فرأيت فيها الصديق فسلمت عليه ورحب بى ثم عرج بى إلى السماء الرابعة، فرأيت فيها إدريس فسلمت عليه ورحب بى، ثم عرج بى إلى السماء الخامسة فلقيت هارون بن عمران فسلمت عليه ورحب بى وأقر بنبوتى، ثم عرج بى إلى السماء السادسة فلقيت فيها موسى فسلم على ورحب بى وأقر بنبوتى فلما جاوزته بكى، فقلت له : ما يبكيك؟ قال : إن غلاما بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتى. ثم عرج بى إلى السماء السابعة فلقيت إبراهيم فسلمت عليه ورحب بى وأقر بنبوتى ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، ثم رفع إلى البيت المعمور، ثم عرج بى إلى الجبار جل جلاله، فدنوت منه حتى كنت بين قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى. وفرض على خمسين صلاة فرجعت حتى مررت على موسى فقال : بم أمرت؟ قلت : بخمسين صلاة قال : إن أمتك لا

تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. فالتفت إلى جبريل كأننى أستشيره فى ذلك فأشار أن نعم إن شئت فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى، فوضع عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألت ربى أن يخفف عنى وعن أمتى، فوضع عشرا، ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت إلى ربى فوضع عشرا ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك كلما رجعت إليه قال : ارجع فاسأل ربك .. حتى انتهيت إلى أن وضع عنى إلا خمس صلوات كل يوم وليلة، ومن يؤديها كاملة ينال ثواب خمسين صلاة . ثم رجعت إلى موسى قال : إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك فقلت : سألت ربى حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم. فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى، وخففت عن عبادى.

صفق أكثر أهل مكة وقالوا :

هذا والله العجب المبين، والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة، أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع إلى مكة؟

وأسرع أبو جهل بن هشام إلى أبى بكر فقال له :

هل لك فى صاحبك يزعم أنه أسرى به إلى بيت المقدس؟

قال أبو بكر : إنكم تكذبون عليه ..

قال أبو جهل بن هشام : والله إنه ليقوله ..

قال أبو بكر : إن كان قاله فقد صدق ..

فرماه أبو جهل بنظرة كالسيف وقال :

أتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وعاد قبل أن يصبح؟

قال أبو بكر : نعم إنى أصدقه أبعد من ذلك فما يعجبكم من ذلك؟ فو الله إنه ليخبرنى أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض فى ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه ..

أقبل أبو بكر وأبو جهل بن هشام .. فقال أبو بكر :

يا نبى الله أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس هذه الليلة ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم ..

قال أبو بكر : يانبى الله فصفه لى فإنى قد جئته ..

فجلّى الله لرسوله ﷺ بيت المقدس ينظر إليه دون دار عقيل وينعتـه .. وأبو بكر يقول : صدقت. أشهد أنك رسول الله ..

وكلما وصف النبى عليه الصلاة والسلام منه شيئا قال أبو بكر : صدقت أشهد أنك رسول الله.

حتى انتهى النبى ﷺ .. وقال لأبى بكر :

وأنت أبو بكر الصديق ..

(فيومئذ سماه رسول الله ﷺ الصديق).

قال بعض مشركى قريش : أما الصفة فقد أصاب..

وقال المطعم بن عدى : إن أمرك قبل اليوم كان يسيرا غير قولك اليوم وأنا أشهد أنك كاذب .. نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس مصعدا شهراً ومنحدراً شهرا أتزعم أنك أتيته فى ليلة واحدة؟ واللات والعزى لا أصدقك وما كان الذى تقول قط ..

واحتدم الجدل بين رسول الله ﷺ والمكذبين .. فقال زيد بن محمد وحمزة ابن عبد المطلب وعمر بن الخطاب :

يانبى الله ألم ترآية وأنت فى طريقك إلى بيت المقدس؟

قال رسول الله ﷺ : وآية ذلك أنى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا فأنفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى الشام، ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان (جبل بناحية تهامة) مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه، ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك أن عيرهم تصوب الآن من ثنية التنعيم البيضاء يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء ..

فأسرع القوم إلى الثنية، ولما كادت الشمس أن تغرب أقبلت العير فسألوا عن الإناء وعن البعير فأخبروهم كما ذكر النبى عليه الصلاة والسلام وكما وصف لهم ...

وعاد الجدل والحوار والاستنكار يملأ كل بيت فى مكة. وارتدت طائفة بعد إسلامها وآمن من آمن على يقين من ربه. وأنزل الله تعالى ﴿وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس﴾[1] ولما أصبح النبى عليه الصلاة والسلام من صبيحة ليلة الإسراء جاءه جبريل عند الزوال فبين له كيفية الصلاة وأوقاتها. فأمر النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه فاجتمعوا وصلى به جبريل فى ذلك اليوم إلى الغد والمسلمون يأتمون برسول الله ﷺ وهو يقتدى بجبريل، وخرج النبى ﷺ إلى مجنة ومن حوله أبو بكر وعلى بن أبى طالب. وأخذ يطوف على القبائل فى منازلهم يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه .. ويقول :

يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب، وتدين لكم بها العجم. فإذا متم كنتم ملوكا فى الجنة ..

وأبو لهب وراءه يقول : لا تطيعوه فإنه صابئ كذاب ..

فيسأل الناس : من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول ؟

فيقول سادة قريش : إنه عمه أبو لهب ..

فيرد الناس على النبى عليه الصلاة والسلام أقبح الرد ويؤذونه .. ويقولون:

أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ..

وأتى رسول الله ﷺ بنى عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه.

فقال بحيرة بن فراس :

والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ..

ثم أشار بيده وتساءل :

أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٠.

فقال رسول الله ﷺ : الأمر لله يضعه حيث يشاء،

قال بحيرة بن فراس :

أفنهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا؟ لا حاجة لنا بأمرك.

وأبوا عليه ﷺ ..

وتقدم أبو بكر إلى جماعة من العرب وكان رجلا نسابة فسلم عليهم فردوا عليه.

قال أبو بكر : ممن القوم؟

قالوا : من ربيعة .

تساءل أبو بكر : من هامتها أم لهازمها؟

قالوا : من هامتها العظمى.

قال أبو بكر : وأى هامتها العظمى أنتم؟

قالوا : من ذهل الأكبر.

قال أبو بكر : فمنكم عوف الذى يقال فيه لاحُرّ بوادى عوف؟

قالوا : لا ..

قال أبو بكر : فمنكم بسطام بن قيس أبو اللوا ومنتهى الأحيا؟

قالوا : لا .

قال أبو بكر : فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار؟

قالوا : لا .

قال أبو بكر : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟

قالوا : لا .

قال أبو بكر : فمنكم المزدلف صاحب العمامة؟

قالوا : لا.

قال أبو بكر : فأنتم أخوال الملوك من كندة؟

قالوا : لا .

قال أبو بكر : فأنتم أصهار الملوك من لخم؟

قالوا : لا .

قال أبو بكر : فلستم من ذهل الأكبر .. أنتم من ذهل الأصغر ..

فقام إليه غلام (دغفل بن حنظلة الذهلى) وقد بقل وجهه (بدت لحيته) فقال :

ياهذا إنك سألتنا فأخبرناك ولم نكذبك شيئا .. فمن الرجل؟

قال أبو بكر : من قريش.

قال دغفل بن حنظلة : بخ بخ أهل الشرف والرئاسة أى القرشيين أنت؟

قال أبو بكر : من ولد تيم بن مرة.

قال دغفل :

أمكنت والله الرامى من سواء الثغرة. أفمنكم قصى بن كلاب الذى قتل بمكة المتغلبين عليها وأجلى بقيتهم وجمع قومه من كل أوب حتى أوطنهم بمكة ثم استولى على الدار وأنزل قريشا منازلها فسمته العرب بذلك، وفيه يقول الشاعر :

أليس أبوكم كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

قال أبو بكر : لا .

قال دغفل بن حنظلة:

فمنكم عبد مناف الذى انتهت إليه الوصايا وأبو الغطاريف السادة؟

قال أبو بكر : لا.

قال دغفل :

فمنكم عمرو بن عبد مناف هاشم الذى هشم الثريد وفيه يقول الشاعر :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف

سنوا إليه الرحلتين كليهما ... عند الشتاء ورحلة الأصياف

كانت قريش بيضة فتفلقت ... فالمح خالصة لعبد مناف

قال أبو بكر : لا ...

قال دغفل بن حنظلة :

فمنكم عبد المطلب شيبة الحمد، وصاحب عير مكة، ومطعم السماء والوحوش والسباع فى الفلا، الذى كان وجهه قمرا يتلألأ فى الليلة الظلماء؟

قال أبو بكر : لا..

قال دغفل : أفمن أهل الإفاضة ؟

قال أبو بكر : لا ..

قال دغفل : أفمن أهل الحجابة أنت؟

قال أبو بكر : لا..

قال دغفل بن حنظلة : أفمن أهل الندوة؟

قال أبو بكر : لا..

قال دغفل : أفمن أهل السقاية أنت؟

قال أبو بكر : لا..

قال دغفل بن حنظلة : أفمن أهل الرفادة أنت؟

قال أبو بكر : لا..

قال دغفل : فمن المفيضين أنت؟

قال أبو بكر : لا..

وجذب أبو بكر زمام ناقته من يد دغفل بن حنظلة .. فقال :

صادف درء السيل درءا يدفعه يهيضه حينا وحينا يرفعه

ثم قال دغفل بن حنظلة :

يا أخا قريش أما والله لو ثبت لأخبرتك أنك من زمعات قريش، ولست من الذوائب.

وأقبل النبى عليه الصلاة والسلام يتبسم فقال على بن أبى طالب :

يا أبا بكر قد وقعت من الأعرابى على باقعة (داهية).

فقال أبو بكر :

أجل إنه ليس من طامة إلا فوقها طامة، والبلاء موكل بالقول.

وانتهى رسول ﷺ وأبو بكر وعلى بن أبى طالب إلى مجلس عليه السكينة والوقار فرأى أبو بكر مشايخ لهم أقدار .. فتقدم وسلم وقال :

ممن القوم؟

قالوا : من بنى شيبان بن ثعلبة ..

فالتفت إلى رسول الله ﷺ وقال :

بأبى أنت وأمى ليس بعد هؤلاء من غرر الناس، وليس وراء هؤلاء عذر من قومهم، ففيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة والنعمان ابن شريك..

(وكان مفروق بن عمرو أدنى القوم مجلسا من أبى بكر) فقال له :

كيف العدد فيكم؟

قال مفروق بن عمرو : إنا نزيد على الألف ولن تغلب ألف من قلة ..

فتساءل أبو بكر : فكيف المنعة فيكم؟

قال مفروق : علينا الجهد ولكل قوم جد ..

فقال أبو بكر : فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم؟

قال مفروق بن عمرو :

إنا أشد ما نكون لقاء حين نغضب، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد، والسلاح على اللقاح، والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا مرة .. لعلك أخو قريش؟

فقال أبو بكر وهو يشير نحو النبى عليه الصلاة والسلام:

إن كان بلغكم أنه رسول الله .. فها هو هذا ..

فقال مفروق بن عمرو : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ..

ثم التفت مفروق بن عمرو إلى رسول الله ﷺ وسأله :

إلا م تدعو يا أخا قريش ؟

فتقدم النبى عليه الصلاة والسلام، وقام أبو بكر يظله بثوبه. فقال رسول الله ﷺ :

أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأنى رسول الله، وأن تؤوونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به، فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله، وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد..

قال مفروق : وإلام تدعو يا أخا قريش؟

فقال رسول الله ﷺ :

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون* ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون* وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ ..

(الآية ١٥١،١٥٢،١٥٣ سورة الأنعام)

قال مفروق بن عمرو :

وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش؟ فوالله ما هذا من كلام أهل الأرض، ولو كان من كلامهم لعرفناه.

قال النبى عليه الصلاة والسلام:

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ .. (الآية ٩٠ سورة النحل)

قال مفروق :

دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك.

وأراد مفروق بن عمرو أن يشاركه فى الحديث هانئ بن قبيصة .. فقال :

هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا ..

قال هانئ :

قد سمعت مقالتك يا أخا قريش، وصدقت، وإنى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إلينا ليس له أول ولا آخر لم نتفكر فى أمرك وننظر فى عاقبة ماتدعو إليه، زلة فى الرأى، وطيشة فى العقل، وقلة نظر فى العاقبة، وإنما تكون الزلة مع العجلة، وإن من ورائنا قوما نكره أن نعقد عليهم، ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر.

وكأنه أراد أن يشرك فى الكلام المثنى بن حارثة .. فقال :

وهذا هو ذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا ..

فقال المثنى بن حارثة :

لقد سمعت مقالتك يا أخا قريش واستحسنت قولك وأعجبنى ما تكلمت به، والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة، وتركنا ديننا واتباعنا إياك فى مجلس جلست إليه، وإنما نزلنا بين صربين أحدهما اليمامة والآخر السماوة.

فقال رسول الله ﷺ : وما هذان الصربان ؟

قال المثنى بن حارثة :

أما أحدهما فطوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض وأنهار كسري، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ألا نحدث حدثا ولا نؤوي محدثا، ولعل هذا الأمر الذى تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور، وعذره مقبول، وأما ما كان مما يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى بلاد العرب فعلنا.

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه. أرأيتم إن لم تلبثوا إلا يسيرا حتى يمنحكم الله بلادهم وأموالهم ويفرشكم بناتهم، أتسبحون الله وتقدسونه؟

قال النعمان بن شريك : اللهم لك ذا ..

فقال رسول الله ﷺ :

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا* وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا* وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا﴾.

(الآية ٤٥، ٤٦، ٤٧ سورة الأحزاب)

ثم أخذ رسول الله ﷺ بيدى أبى بكر وعلى بن أبى طالب ... ثم قال ﷺ : يا أبا بكر، يا على، أية أخلاق للعرب فى الجاهلية؟ ما أشرفها، بها يدافع الله بأس بعضهم عن بعض. وبها يتجاوزون فيما بينهم فى الحياة الدنيا.

ولقى النبى عليه الصلاة والسلام رهطا من خزرج يثرب (أوس وخزرج) فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .. فأسلموا وبايعوا .. واشتدت عداوة قريش ضراوة لما علموا أن الأنصار قد بايعوا النبى عليه الصلاة والسلام على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وأنهم قبلوه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف.

وعاد كثير من مهاجرى الحبشة ..

وأذن النبى عليه الصلاة والسلام لأصحابه بالهجرة إلى يثرب فخرجوا تحت جنح الليل أرسالا مستخفين مهاجرين فى سبيل الله، وقد تركوا أموالهم وديارهم وأهليهم فرارا بدينهم.

هجرته مع رسول الله ﷺ :

وأذن الله لنبيه ﷺ عند ذلك بالهجرة فذهب إلى بيت أبى بكر بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها، فقد كان رسول الله ﷺ لا يخطئ أن يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار إما بكرة وإما عشية.

فقال عامر بن فهيرة : هذا رسول الله ﷺ متقنعا ..

فاستأذن النبى عليه الصلاة والسلام فأذن له وتنحى أبو بكر عن سريره فجلس النبى عليه الصلاة والسلام وقال : أخرج من عندك ..

فقال أبو بكر : لا عين عليك إنما هما ابنتاى ..

فقال رسول الله ﷺ : فإنه قد أذن لى بالخروج ..

فقال أبو بكر : الصحبة يا رسول الله بأبى أنت وأمى ..

فقال رسول الله ﷺ : نعم ..

فبكى أبو بكر الصديق سروراً ..

واستأجرا عبد الله بن أريقط، وكان رجلا من بنى الديل بن بكر، وكان مشركا، ليدلهما على الطريق ليثرب. ودفع عامر بن فهيرة إلى ابن أريقط براحلتين لتكونا عنده يرعاهما لميعاد رسول الله ﷺ وأبى بكر. (بعد ثلاث ليال على جبل ثور).

وخرج النبى عليه الصلاة والسلام وأبو بكر من خوخة لأبى بكر فى ظهر بيته. ثم عمدا إلى غار ثور. وفى الطريق جعل أبو بكر يمشى ساعة بين يدى رسول الله ﷺ وساعة خلفه حتى فطن النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

يا أبا بكر مالك تمشى ساعة خلفى وساعة بين يدى؟

فقال أبو بكر : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشى خلفك ثم أذكر الرصد فأمشى بين يديك..

فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بكر لو كان شئ لأحببت أن يكون بك دونى؟

قال أبو بكر الصديق : نعم والذى بعثك بالحق ..

فلما انتهيا إلى فم الغار قال أبو بكر للنبى عليه الصلاة والسلام :

والذى بعثك بالحق لا تدخل حتى أدخله قبلك فإن كان فيه شئ نزل بى قبلك ..

فدخل أبو بكر ليستبرئ الغار، فجعل يلتمس بيده كلما رأى جحرا قال بثوبه فشقه ثم ألقمه الجحر حتى فعل بجميع ثوبه فبقى جحر وكان فيه حية فوضع عقبه عليه. ثم قال : انزل يا رسول الله ..

فنزل النبى عليه الصلاة والسلام. ووضع رأسه فى حجر أبى بكر ونام فلما أحست الحية التى فى الجحر بعقب أبى بكر جعلت تلدغه ..

ولما أصبح رسول الله ﷺ قال لأبى بكر : أين ثوبك ؟

فأخبره أبو بكر الخبر.. ولما رأى النبى عليه الصلاة والسلام على أبى بكر أثر الورم فسأله عنه ..

فقال أبو بكر : من لدغة الحية ..

فقال رسول الله ﷺ : هلا أخبرتنى؟

قال أبو بكر : كرهت أن أوقظك فداك أبى وأمى .

فتفل رسول الله ﷺ محل اللدغة فذهب ما به من الورم والألم .. ثم رفع النبى عليه الصلاة والسلام يديه وقال :

اللهم اجعل أبا بكرمعى فى درجتى فى الجنة ...

فأوحى الله تعالى إليه : قد استجاب الله لك .

وأمر أبو بكر الصديق ابنه عبد الله أن يتسمع الناس فيهما نهاره ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر. وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى فى الغار. فكان عبد الله بن أبى بكر يكون مع قريش فى نهاره ويسمع ما يأتمرون به وما يقولون فى شأن رسول الله ﷺ وأبى بكر، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر. وكان عامر بن فهيرة يرعى فى رعيان أهل مكة فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبى بكر فاحتلبا وذبحا. فإذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عند رسول الله ﷺ وأبى بكر إلى مكة أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم يعفى عليه. وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتى رسول الله ﷺ وأباها من الطعام إذا أمست بما يصلحهما ...

وبعث سادة قريش القافة[1] فى كل مكان يقفون أثر النبى عليه الصلاة والسلام، ودعا رسول الله ﷺ شجرة العشار أو أم غيلان، وكانت أمام الغار

---

(١) القافة : جمع قائف وهو الذى يقفو الأثر أى يتبعه.

فأقبلت حتى وقفت على باب الغار فسترته بفروعها (كانت مثل قامة الإنسان) ويعث الله العنكبوت فنسجت ما بين فروعها. وأمر الله تعالى حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار وباضتا وفرختا.

ومشى أشراف قريش إلى جبل ثور وانتهوا إلى فم الغار، ورأى أبو بكر قريشا أقبلت نحو الغار ومعهم القافة وسمع القائف يقول :

والله ما جاز مطلوبكم من هذا الغار ..

فحزن أبو بكر وبكى وقال هامسا :

والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره يانبى الله ..

فقال رسول ﷺ : لا تحزن إن الله معنا ..

فنظر أبو بكر إلى أقدام المشركين وقال :

يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا ...

قال النبى عليه الصلاة والسلام : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟

قال النضر بن الحارث : ادخلوا الغار ...

فتقدم أمية بن خلف نحو فم الغار فرأى العنكبوت والحمامتين الوحشيتين .. فرفع يديه وقال :

وما أربكم إلى الغار إن عليه لعنكبوتا كان قبل ميلاد محمد ...

فقال أبو جهل بن هشام فى مرارة :

أما والله إنى لأحسبه قريبا يرانا ولكن بعض سحره قد أخذ على أبصارنا..

وأنزل الله تعالى :

﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم﴾... (الآية ٤٠ سورة التوبة)

وجهزت أم رومان زوجة أبى بكر أحب جهاز (أسرعه) ووضعت لرسول الله ﷺ وأبى بكر سفرة (زادا) فى جراب، وكان فى السفرة شاة مطبوخة فقطعت

أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب وأبقت الأخرى نطاقا لها (ربطت فم القربة بالباقى) ولما ذهبت إلى الغار ورأى رسول الله ﷺ ما فعلت فسماها ذات النطاقين .. ثم قال : أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين فى الجنة..

ولما سمع رسول الله ﷺ رغاء الإبل نزل من الغار هو وأبو بكر فوجد عامر ابن فهيرة وعبد الله بن أريقط فركب النبى عليه الصلاة والسلام وركب أبو بكر وركب عامر بن فهيرة والدليل. فقال رسول الله ﷺ عند خروجه من مكة متوجها إلى يثرب :

والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله وأكرمها على الله، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت ...

ثم أردف النبى عليه الصلاة والسلام :

الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيئا. اللهم أعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام. اللهم اصحبنى فى سفرى وأخلفنى فى أهلى وبارك لى فيما رزقتنى ولك فذللنى، وعلى صالح خلقى فقومنى، وإليك رب فحببنى، وإلى الناس فلا تكلنى. رب المستضعفين وأنت ربى أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السماوات والأرض، وكشفت به الظلمات، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين أن تحل على غضبك أو تنزل بى سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجأة نقمتك وتحول عافيتك وجمع سخطك .. لك العتبى عندى خير ما استطعت لا حول ولا قوة إلا بك ..

وخرج رسول الله ﷺ من مكة يوم الاثنين .

وقال النبى عليه الصلاة والسلام لأبى بكر :

أله الناس (أشغل الناس عنى، وتكفل بالجواب لمن سأل عنى، فإنه لا ينبغى لنبى أن يكذب) وأخذ الدليل (عبد الله بن أريقط) بهم على طريق الساحل، وصار أبو بكر الصديق إذا سأله سائل عن رسول الله ﷺ : من هذا الذى بين يديك؟

فيقول أبو بكر : هذا الرجل يهدينى الطريق (يعنى طريق الخير).

وكانت قريش قد أرسلت لأهل السواحل أن من قتل أو أسر رسول الله ﷺ أو أبا بكر كان له مائة ناقة (من قتلهما أو أسرهما كان له مائتان).

وبينما سراقة بن مالك بن جعشم أمير بنى مدلج فى مجلس من مجالس قومه إذ أقبل رجل منهم حتى قام عليهم وهم جلوس .. وقال :

ياسراقة إنى رأيت أسودة (أشخاصا) بالسواحل أراه محمدا وأصحابه ... فعرف سراقة أنهم هم فأومأ إليه أن اسكت .. ثم قال سراقة :

إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيت فلانا وفلانا، انطلقوا بأعيننا (بمعرفتنا) يطلبون ضالة لهم ..

ثم لبث فى المجلس ساعة ثم قام إلى منزله فأمر جاريته أن تخرج فرسه العود خفية إلى بطن الوادى وتحبسها عليه، وأخذ سراقة رمحه وخرج به من ظهر البيت فخطط بزجه (الحديدة التى تكون فى أسفل الرمح) الأرض وخفض عاليه (أمسك بأعلاه، وجعل أسفله فى الأرض. لئلا يراه أحد من قومه فيشاركه إذا قتل أو أسر رسول الله ﷺ وأبا بكر) وركب فرسه ففرت به حتى دنا من النبى عليه الصلاة والسلام وأبى بكر وعامر بن فهيرة والدليل، فعثرت بسراقة فرسه فخر عنها فقام وأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها الأزلام فاستقسم بها فخرج السهم الذى يكره (لا يضره) فركب فرسه وعصى الازلام فجعل فرسه تقرب به حتى سمع قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات. فلما كان بينه وبينهم قيد (مقدار رمح أو ثلاثة) قال أبو بكر :

يارسول الله هذا الطَّلَبُ قد لحقنا ..

وبكى أبو بكر، واستطرد :

أما والله ماعلى نفسى أبكى ولكن أبكى عليك ..

صاح سراقة وقال : يامحمد من يمنعك منى اليوم؟

قال رسول الله ﷺ : يمنعنى الجبار الواحد القهار ..

ونزل جبريل عليه السلام وقال :

يامحمد إن الله عز وجل يقول : جعلت الأرض مطيعة لك فأمرها بما شئت..

فقال رسول الله ﷺ : يا أرض خذيه ...

فأخذت الأرض أرجل فرس سراقة فساخت (غابت) يداها وكانت الأرض جلدة فخر سراقة عنها.

وزجرها فلم تنهض فعرف سراقة أن رسول الله ﷺ قد منع فقال :

يامحمد، قد علمت أن هذا عملك فادع الله ينجينى مما أنا فيه، ولك على أن أرد عنك الطلب.

فقال رسول الله ﷺ : يا أرض أطلقيه ...

فأطلقت الفرس .. ولكن سراقة تبعهم فساخت قوائم فرسه فى الأرض حتى بلغتا جزءا من بطنها فخر عنها، وساق سراقة فرسه فلم تتحرك فقال سراقة :

يامحمد الأمان وعزة العزى لو أنجيتنى لأكون لك لا عليك ..

فقال رسول الله ﷺ وهو رافع يديه إلى السماء :

اللهم إن كان فيما يقول فأطلق له جواده ..

فأطلق الله تعالى له قوائم فرسه حتى وثب على الأرض سليما .. فوقع فى نفسه حين لقى من الحبس عنهم أن سيظهر رسول الله ﷺ فقال له :

يامحمد إن قومك قد جعلوا فيك الدية (مائة ناقة).

يقول سراقة : وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أخف عنا ..

فقال سراقة بن مالك :

يامحمد إنى لأعلم أنه سيظهر أمرك على العالم وتملك رقاب الناس فعاهدنى أنى إذا أتيتك يوم ملكك فأكرمنى ..

فأمر رسول الله ﷺ عامر بن فهيرة فكتب لسراقة بن مالك رقعة من أدم ثم ألقاها إليه فرجع إلى مكة وجعل لا يلقى أحدا من الطلب إلا رده وقال :

كفيتم هذا الوجه .. قد عرفتم بصرى بالطريق وقد سرت فلم أر شيئا فارجعوا ..

ونزل رسول الله ﷺ بخيمة أم معبد (عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة ابن أصرم) الخزاعية فأرادوا القرى (لحما أو تمرا).

فقالت أم معبد :

والله ما عندنا طعام، ولا لنا منيحة ولا لنا شاة إلا حائل، والله لو كان عندنا شئ ما عوزناكم ..

فقال رسول الله ﷺ :

يا أم معبد هل عندك من لبن؟

قالت أم معبد : لا والله ..

فرأى النبى عليه الصلاة والسلام شاة خلفها الجهد عن الغنم (لم تطق اللحاق بها لما بها من الهزال) فتساءل رسول الله ﷺ :

هل بها من لبن ؟

قالت أم معبد : هى أجهد من ذلك ..

قال رسول الله ﷺ : أتأذنين فى حلابها؟

قالت أم معبد :

والله ما ضربها من فحل قط .. فشأنك (أصلح شأنك) بها إن رأيت منها حلبا فاحلبها.

فبعث رسول الله ﷺ معبدا وكان صغيرا فقال له :

ادع هذه الشاة ..

ثم قال رسول الله ﷺ : ياغلام هات فرقا ..

فمسح النبى عليه الصلاة والسلام بيده ضرعها وظهرها وسمى الله تعالى وقال : اللهم بارك فى شاتنا ..

فدرت واجترت وتفاحجت (فتحت ما بين رجليها للحلب). فدعا رسول الله ﷺ بإناء يربض (يرويهم).

فحلب فيها ثجا (بقوة لكثرة اللبن فعلاه البهاء) فسقى النبى عليه الصلاة والسلام أم معبد فشربت حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا علا بعد نهل (مرة ثانية بعد الأولى) ثم شرب ﷺ فكان آخرهم شربا وقال عليه الصلاة والسلام :

ساقى القوم آخرهم شربا ..

ثم حلب رسول الله ﷺ فيه وغادره ..

ولما جاء زوج أم معبد (أبو معبد) عند المساء يسوق أعنزا عجافا ورأى اللبن الذى حلبه رسول الله ﷺ عجب وقال :

يا أم معبد ما هذا اللبن ولا حلوب فى البيت؟ (الشاة عازب).

فقالت أم معبد : مر بنا رجل مبارك ..

قال أبو معبد : صفيه ..

قالت أم معبد :

رأيت رجلا ظاهر الوضاءة متبلج الوجه (مشرقه) فى أشفاره (أجفان عينيه) وطف (طول) وفى عينيه دعج (شدة سواد فى شدة بياض) وفى صوته صحل (بحة أى ليس حاد الصوت) غصن بين الغصنين، لا تشنؤه من طول (لا تبغضه لفرط طوله) ولا تقتحمه من قصر (لا تحتقره من قصر) ولم تعبه ثجلة (عظم البطن وكبرها) ولم تزر به صعلة (صغر الرأس) كأن عنقه إبريق فضة (العنق الشديد البريق) إذا نطق فعليه البهاء، وإذا صمت فعليه الوقار، له كلام كخرزات النظم، وأزين أصحابه منظرا، وأحسنهم وجها، يحفون به، إذا أمر ابتدروا أمره وإذا نهى انتهوا عند نهيه ..

فقال أبو معبد : هذا والله صاحب قريش الذى تطلب، ولو صادفته لالتمست أن أصحبه ولأجهدن إن وجدت إلى ذلك سبيلا.

وعلم بريدة بن الخصيب الأسلمى ما جعلته قريش لمن يأخذ النبى عليه الصلاة والسلام، فطمع فى ذلك وخرج هو وسبعون من أهله فلما رآه رسول ﷺ سأله : من أنت :

قال : بريدة بن الخصيب ..

فالتفت النبى عليه الصلاة والسلام وقال :يا أبا بكر برد أمرنا وصلح ..

وتساءل رسول الله ﷺ : ممن أنت؟

قال بريدة بن الخصيب : من أسلم من بنى سهم ..

فالتفت النبى عليه الصلاة والسلام لأبى بكر وقال :

سلمنا إن شاء الله تعالى، وخرج سهمك يا أبا بكر (كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير).

وقال بريدة بن الخصيب لرسول الله ﷺ : من أنت؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام:

– أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله ..

فقال بريدة بن الخصيب : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله..

فأسلم بريدة بن الخصيب وكل من كان معه وصلوا خلف رسول الله ﷺ العشاء الآخرة.

ثم قال بريدة بن الخصيب : يارسول الله لاتدخل يثرب إلا ومعك لواء ..

فحَلّ بريدة عمامته ثم شدها فى رمح ومشى بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام .. ثم تساءل بريدة : تنزل علام يانبى الله؟

قال رسول الله ﷺ : إن ناقتى هذه مأمورة .

فقال بريدة بن الخصيب : الحمد لله الذى أسلمت بنو سهم (يعنى قومه) طائعين غير مكرهين ..

ولقى الزبير بن العوام رسول الله ﷺ (كان الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام) فكسا الزبير النبى عليه الصلاة والسلام وأبا بكر بثياب بياض ..

وإذا رجل من اليهود صعد على أطم (محل مرتفع من آطامهم) فرأى موكب رسول الله ﷺ فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يامعشر العرب هذا جدكم (حظكم الذى تنتظرون).

فاستقبله ﷺ زهاء خمسمائة من الأنصار فقالوا :

– اركبا آمنين مطاعين ..

ونزل رسول الله ﷺ بقباء فى دار بنى عمرو بن عوف فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول على كلثوم بن الهدم (كان شيخ بنى عمرو بن عوف) وكان يومئذ مشركا ثم أسلم (أسلم قبل وصول رسول الله ﷺ يثرب وكان بطنا من بطون الأوس).

وكان أبو بكر الصديق وبلال بن رباح وعامر بن فهيرة فى بيت واحد، فأصابتهم الحمى فقد كانت يثرب وبيئة فأصاب أصحاب رسول الله ﷺ بها بلاء وسقم حتى أجهدهم ذلك (وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ) حتى جهدوا، وكانوا يصلون وهم قعود فلما رآهم النبى عليه الصلاة والسلام قال :

اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم ..

فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل ..

ودخلت أم المؤمنين عائشة على أبيها أبى بكر وعامر بن فهيرة وبلال مولى أبى بكر تعودهم وبهم ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك فدنت من أبيها أبى بكر وقالت : كيف تجدك يا أبت؟

فقال أبو بكر :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

فقالت عائشة : والله مايدرى أبى ما يقول ..

ثم دنت إلى عامر بن فهيرة وقالت : كيف تجدك ياعامر؟

قال عامر بن فهيرة :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه

فقالت عائشة : والله مايدرى ما يقول ..

وكان بلال إذا أدركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بفج وحولى أذخر وجليل

وهل أردنْ يوما مياه مجنة وهل يبدونْ لى شامة وطفيل

ثم قال بلال بن رباح : اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء ..

فذكرت عائشة لرسول الله ﷺ ما سمعت من أبى بكر وعامر بن فهيرة وبلال بن رباح وقالت :

– إنهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى.

فقال رسول الله ﷺ : اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة أو أشد وبارك لنا فى مُدّها وصاعها، وانقل وباءها إلى مهيعة الجحفة (وهى قرية كان بها حينئذ يهود على اثنين ومائتين ميلا من مكة) فإذا بالمدينة تعود أصح بلاد الله ..

ودخل رسول الله ﷺ دار زيد بن سهل (أبو طلحة) وأرسل يستدعى أصحابه من المهاجرين والأنصار ليؤاخى بينهم على المواساة والحق .. فأقبل خمسون من المهاجرين وخمسون من الأنصار.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام لهم :

إنى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه، وحدثوا به بعدكم : إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا ثم تلا ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس﴾(١) وإنى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وأواخى بينكم كما آخى الله تعالى بين الملائكة. قم يا أبا بكر.

فقام أبو بكر الصديق فجثا بين يدى رسول الله ﷺ فقال :

– إن لك عندى يدا الله يجزيك بها، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذتك فأنت منى بمنزلة قميصى من جسدى.

ودعا النبى عليه الصلاة والسلام خارجة بن زيدوكان صهرا لأبى بكر (كانت ابنته تحت أبى بكر).

وقال ﷺ : تآخوا فى الله أخوين أخوين.

وآخى بين أبى بكر وخارجة بن زيد .

ولما اطمأنت مدينة رسول الله ﷺ وألف الله بين قلوب الأوس والخزرج بعد سنوات من الحرب والثأر والعداوة .. بعث النبى عليه الصلاة والسلام السرايا لتتحسس أخبار قريش.

أبو بكر .. المقاتل :

كان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وزيرى رسول الله ﷺ يستشيرهما فى كثير من الأمور .. قال النبى عليه الصلاة والسلام :

---

(١) سورة الحج آية ٧٥.

– أتانى جبريل فقال لى : إن الله أمرك أن تستشير أبا بكر.

وقال رسول الله ﷺ : إن الله أيدنى بأربعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الأرض أبى بكر وعمر.

فهل اقتصر دور أبى بكر على إبداء الرأى و ..؟ لقد كان سباقا إلى حمل السيف والجهاد فى سبيل الله عز وجل.

يوم بدر :

علم رسول الله ﷺ أن عيرا لقريش قدم بها أبو سفيان بن حرب من الشام..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : هذا أبو سفيان بتجارة قريش فاخرجوا لها لعل الله عز وجل ينفلكموها.

فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون فخف معه رجال وأبطأ آخرون، وذلك إنما كانت ندبة لمال يصيبونه، وكان أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة راكب ونيف، وأكثر أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام مشاة معهم ثمانون بعيرا وفرس (كان للمقداد بن عمرو، وقيل للزبير بن العوام).

ولما كان رسول الله ﷺ وأصحابه بوادى ذى قار وأتاه الخبر من قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فقال النبى عليه الصلاة والسلام لأصحابه :

– إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فما تقولون؟ ألعير أحب إليكم من النفير؟

كان رسول الله ﷺ يخير أصحابه بين الغنيمة والحرب ..

قالت طائفة من أتباع النبى عليه الصلاة والسلام.

– بل العير أحب إلينا من لقاء العدو ..

وقالت طائفة أخرى : هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له إذا خرجنا للعير..؟

وقال آخرون : يارسول الله عليك بالعير ودع العدو.

ورأى أبو بكر الصديق فى وجه حبيبه ﷺ الحزن، فقام وقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن وتحدث المقداد بن عمرو وسعد بن معاذ.

فأشرق وجه رسول ﷺ بقول سعد بن معاذ .. فقال :

–سيروا وأبشروا فإن الله تعالى وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأنى أنظر الآن إلى مصارع القوم.

ووقف أبو بكر ومعه سيفه أمام عريش (قبة) رسول الله ﷺ، فلما رأى قريشا ألف رجل (كثير عددهم شديد بأسهم) وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا أخذ ﷺ يدعو ربه :

–اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك.. اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا .. فأخذ أبو بكر الصديق بيده وقال مترفقا :

– حسبك حسبك يارسول الله فقد ألححت على ربك ..

فخرج النبى عليه الصلاة والسلام وهو يقول :

– ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر* بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾[1].

ثم استقبل رسول الله ﷺ القبلة ومد يديه فجعل يهتف (يصيح) بربه حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه فقال :

– يانبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعد.

فأنزل الله عز وجل :

﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾.[2]

والتقى الجمعان .. فراحت السيوف تطعن القلوب وتطيح بالرءوس وأخذ رسول الله ﷺ يدعو ربه فى عريشه :

---

(١) الآية ٤٥، ٤٦ سورة القمر. (٢) الآية ٩ سورة الأنفال.

- اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا.

وخفق النبى عليه الصلاة والسلام خفقة.. ثم انتبه وقال :

- أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثناياه النقع (الغبار)

ونصر الله نبيه وهزم المشركين فولوا الأدبار بعد أن تركوا على أرض بدر جثث أئمة الكفر ... وساق المسلمون أسارى قريش أمامهم كما تساق الإبل.

وسأل رسول الله ﷺ أبا بكر وعليا وعمر :

- ماترون فى هؤلاء الأسارى؟

فقال أبو بكر : يانبى الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام.

فقال رسول الله ﷺ : وماترى يا ابن الخطاب؟

قال عمر : لا والله يارسول الله ما أرى الذى رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم، فتمكن عليا من عقيل (ابن أبى طالب) وتمكننى من فلان (نسيب لعمر) فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها.

فسكت رسول الله ﷺ فاقترب أبو بكر منه وقال :

- بأبى أنت وأمى قومك فيهم الآباء والأبناء والعمومة والإخوان وبنو العم، وأبعدهم منك قريب فامنن عليهم أو فادهم. هم عشيرتك وقومك لاتكن أول من يستأصلهم، وأن يهديهم الله خير من أن يهلكهم.

فسكت النبى عليه الصلاة والسلام فدنا عمر منه وقال :

- يارسول الله ما تنتظر بهم؟ اضرب أعناقهم يوطئ الله بهم الإسلام ويذل أهل الشرك، هم أعداء الله، كذبوك وأخرجوك. يارسول الله، اشف صدور المؤمنين، لو قدروا منا على مثل هذا ما أقالونا أبدا.

ثم قام النبى عليه الصلاة والسلام فدخل داره فمكث فيها ساعة فقال بعض الناس:

- القول ما قال أبو بكر ..

وقال آخرون : القول ما قال عمر ..

وخرج النبى عليه الصلاة والسلام فقال للناس:

- ما تقولون فى صاحبيكم هذين (أبى بكر وعمر) ؟ دعوهما فإن لهما مثلا، مثل أبى بكر فى الملائكة كمثل ميكائيل ينزل برضا الله وعفوه على عباده، ومثله فى الأنبياء كمثل إبراهيم كان ألين على قومه من العسل أوقد له قومه النار فطرحوه فيها فما زاد على أن قال ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾. وقال : ﴿فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم﴾[1]. وكعيسى إذ يقول : ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾[2]. ومثل عمر فى الملائكة كمثل جبريل ينزل بالسخط من الله والنقمة على أعداء الله، ومثله فى الأنبياء كمثل نوح، كان أشد على قومه من الحجارة إذ يقول : ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾[3] فدعا عليهم دعوة أغرق الله بها الأرض جميعا، ومثل موسى إذ يقول : ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم﴾[4] . وإن بكم عيلة فلا يفوتنكم رجل من هؤلاء إلا بفداء أو ضربة عنق.

يوم أحد والخندق :

لما دار العام أقبلت قريش بعددها وعدتها لتثأر ليوم بدر .. فالتقى أصحاب رسول الله ﷺ والمشركون عند أحد .. وخرج عبد الرحمن بن أبى بكر من بين صفوف قريش وطلب المبارزة فلم ينتظر أبو بكر فقام إليه فقال له رسول الله ﷺ:

- يا أبا بكر شم سيفك ومتعنا بنفسك.

لقد خرج أبو بكر عن شهواته النفسية ونسى أنه أب وأراد أن يقتل ابنه المشرك. يقول عبد الرحمن بن أبى بكر بعد أن شرح الله صدره للإسلام لأبيه : رأيتك يوم أحد فصدفت (أعرضت) عنك، فقال أبو بكر : لكنى لو رأيتك ماصدفت عنك.

---

(١) سورة إبراهيم آية ٣٦. (٢) سورة المائدة آية ١١٨.

(٣) سورة نوح آية ٢٦. (٤) سورة يونس آية ٨٨.

وخالف الرماة أمر رسول ﷺ، وخلوا الجبل فانكشف ظهر المسلمين ونزلت بهم الهزيمة فلجأ النبى عليه الصلاة والسلام هو وأبو بكر وعمر وعلى وعثمان ونفر قليل فرجف جبل أحد بهم فقال له النبى عليه الصلاة والسلام:

- اثبت فما عليك إلا نبى وصديق (أبو بكر) وشهيد (عثمان) ..

وأنزل الله قوله ﴿وشاورهم في الأمر﴾(١) فاستشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر. وشهد أبو بكر مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق وبنى قريظة.

وذات ضحى جلس النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه فى مسجده فقال النبى عليه الصلاة والسلام : من أصبح منكم صائما؟

قال أبو بكر الصديق : أنا ..

فتساءل رسول الله ﷺ : من تصدق بصدقة؟

قال أبو بكر : أنا ...

قال النبى عليه الصلاة والسلام : من شهد جنازة؟

قال أبو بكر الصديق : أنا.

فسأل النبى عليه الصلاة والسلام : من أطعم اليوم مسكينا؟

قال أبو بكر : أنا.

قال رسول الله ﷺ : من جمعهن فى يوم واحد وجبت له (غفر له).

وجلس رسول الله ﷺ يوما فى مسجده حتى طلعت الشمس .. فقال لأصحابه:

يأتى قوم يوم القيامة نورهم كنور الشمس..

فقال أبو بكر : نحن هم يارسول الله؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام: لا، ولكم خير كثير، ولكنهم الفقراء المهاجرون الذين يحشرون من أقطار الأرض ..

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٩.

صلح الحديبية :

رأى رسـول ﷺ فـى النـوم أنه دخـل مكة هـو وأصـحـابه آمنين مـحلقين رءوسـهم ومقـصرين (بـعضـهم مـحلق وبـعضـهم مقـصـر) وأنه دخل البيت وأخـذ مـفـتـاحـه وعـرف مع المعـرّفين (طاف هـو وأصـحـابه) .فـأخـبـر النبى عـلـيه الصـلاة والسلام أصحابه أنه يريد الخروج للعمرة .. فتجهزوا للسفر.

وفى عـام سـتـة بعد هـجـرة رسـول الله ﷺ – فـى ذى القـعـدة – اسـتـنفـر النبى عليه الصـلاة والسـلام العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعـراب إلى العـمرة، واسـتـخلف علـى المدينة عـبـد الله بـن أم مكتـوم. وخـرج رسـول الله ﷺ ومـعـه خـمسـمائة من أصـحابه، ولـم يخرج مـعه بسـلاح إلا سـلاح المسافـر، السـيـوف فى القرب، وساق معه سبعين بدنة فيها جمل أبى جهل الذى غنمه يوم بدر.

ولما كان رسـول الله ﷺ بعسـفان لقيه بشـر بن سـفيان الكعبى وقال :

– يارسـول الله هذه قـريش قـد سـمـعت بمسـيـرك فـخرجـوا مـعـهم العـوذ المطافـيل (النوق ذات اللبن معـهـا أولادها أو النسـاء مـعـهـا أطفـالها) قـد لبسـوا جلود النمـور، وقـد نزلـوا بذى طوى يعـاهـدون الله لا تدخلـهـا عليـهم أبدا. وهـذا خـالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموا إلى كراع الغميم..

فقـال رسول اللـه ﷺ : ياويح قريش قـد أكلتهم الحـرب، ماذا عليـهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب فإن أصـابونى كان ذلك الذى أرادوا، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسـلام وافـريـن، وإن لـم يفـعلوا قـاتلوا وبهم قـوة، فـمـا تظن قـريش؟ فـوالله لا أزال أجـاهـد على هـذا الذى بعـثنى الله به حـتى يظـهـره الله أو تنفـرد هـذه السالفة (صـفحة العنق).

ثم اسـتطرد رسـول الله ﷺ : من رجل يـخـرج بـنا على طريق غـيـر طريقـهـم التى هـم بها؟

فقال ناجية بن جندب الأسـلمى : أنا يارسـول الله ..

فسلك بالمسلمين طريقا وعرا أجـدل (كـثـير الحجـارة) بين شـعـاب حتى نال منهم الجهد. فلما خـرجوا منه إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى طلب منهم النبى عليه الصلاة والسـلام أن يسـتغفروا الله ويتوبـوا إليه.

وأمـــر رســـول اللـه ﷺ الناس فــقــال : اسـلكوا ذات الـيــمين بين ظــهــرى الحمض..

ونزل النبى ﷺ وأصـحـابه بأقصـى الـحـديبـية. ولما اطمـأن أتاه بديل بن ورقـاء الخزاعى فى نفر من خزاعة فقالوا :

– ما الذى جاء بك؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إنا لم نأت لقتال أحد ولكن جئنا معتمرين وإن قـريشـا قـد نـهكتـهم الـحـرب وأضـرت بهـم فـإن شـاءوا مـددناهم (جعلنا بيننا وبينهم مدة نترك الحرب فيها) مدة ويخلوا بينى وبين الناس فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فـيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا (استـراحوا) فوالله لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى أو لينفذن الله أمره ..

فقال بديل بن ورقاء : سأبلغهم ما تقول ..

فبعـثت قريش مكرز بن حفص أخا بنى عـامر بن لؤى فلما رآه رسـول الله ﷺ قال : هـذا رجل غادر ..

فلما انتهى مكرز إلى النبى عليـه الصلاة والسـلام وكلمه قال لـه رسـول الله ﷺ نـحـواً ممـا قـال لبـديـل بن ورقـاء الـخـزاعـى وأصـحـابه، فــعـاد مكرز إلـى قـريش فـبعـثت بـحليس بن عـلقمـة سـيد الأحـابيش فلمـا رآه النبى عليـه الصـلاةوالسـلام قال:

– إن هـذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ..

فلمـا رأى الـحليس الـهـدى يسيل عـليه من عـرض الوادى فى قـلائده مع أكل أوباره من طول الـحـبس عن مـحله. واسـتـقـبله الناس يلبـون قـد شــعـثـوا فـقـال الحليس:

– سـبحـان الله مـا ينبـغى لهـؤلاء أن يصـدوا عن البيـت، أبى الله أن يحج لخم وجذام ونهد وحمير ويمنع ابن عـبد الله؟ هـلكت قريش ورب الكعبة إنما القوم أتوا عماراً ..

ورجع الحليس إلى قـريش بعـد أن لقى رسـول الله ﷺ وبعـثت قريش عـروة ابن مسعود الثقفى فجلس بين يدى النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

– يامحمد أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم؟ إن قريشا قد خرجت معهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا، وأيم الله لكأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا..

فقال أبو بكر الصديق : امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه؟

فتساءل عروة بن مسعود : من هذا يا محمد؟

قال رسول الله ﷺ : هذا ابن أبى قحافة ..

فقال عروة : أما والله لولا يد كانت عندى لكافأتك بها ولكن هذه بهذه ..

ورأى عروة أصحاب رسول الله ﷺ فاستفحل عجبه، لقد جاء كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه فلم ير ملكا فى قومه قط مثل النبى عليه الصلاة والسلام فى أصحابه. فرجع إلى قريش وطلب منهم أن يقبلوا ما عرض عليهم رسول الله ﷺ فقالوا :

– لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور، ولكن نرده عامنا هذا ويرجع إلى قابل ..

ويعث النبى عليه الصلاة والسلام خراش بن أمية الخزاعى إلى مكة وحمله على بعير له يقال له الثعلب ليبلغ أشراف قريش عنه ما جاء له فعقروا جمل النبى عليه الصلاة والسلام وأرادوا قتله فمنعه الحليس بن علقمة سيد الأحابيش، فخلوا سبيل خراش بن أمية فعاد إلى رسول الله ﷺ .

وأرسل النبى عليه الصلاة والسلام عثمان بن عفان إلى مكة ليخبر سادة قريش أن رسول الله ﷺ لم يأت لحرب وإنما جاء زائرا معظما لهذا البيت. فذهب عثمان إلى مكة. وبلغ النبى عليه الصلاة والسلام أن عثمان بن عفان قد قتل فقال رسول الله ﷺ :

– لانبرح حتى نناجز القوم ..

ودعا النبى عليه الصلاة والسلام الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة. وكان أول من بايع النبى ﷺ أبو سنان الأسدى. ولم يتخلف عنه ﷺ إلا الجد بن قيس أخو بنى سلمة ألصق جسده بإبط ناقته يستتر إليها من الناس..

ولما علمت قريش أن أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام قد بايعوه بيعة الرضوان (بايعوه على ألا يفروا) فخافت قريش وبعثت سهيل بن عمرو أخا بنى عامر وقالت له :

– ائت محمدا وصالحه، ولا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فو الله لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوة أبدا ...

فلما أتى سهيل بن عمرو ورآه رسول الله ﷺ مقبلا قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل ..

ولما انتهى سهيل إلى النبى عليه الصلاة والسلام تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح.

ولما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب وأتى أبا بكر وقال :

– يا أبا بكر أليس برسول الله؟

فقال أبو بكر : بلى.

قال عمر بن الخطاب : أو لسنا بالمسلمين؟

قال أبو بكر : بلى .

قال عمر : أو ليسوا بالمشركين؟

قال أبو بكر : بلى.

قال عمر بن الخطاب : فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟

قال أبو بكر : ياعمر الزم غرزه (اتبع أمره ولا تخالفه) فإنى أشهد أنه رسول الله ...

فقال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ..

ثم أتى عمر النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

– يارسول الله ألست برسول الله؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى ..

قال عمر بن الخطاب : أو لسنا بالمسلمين ؟

قال رسول الله ﷺ : بلى.

قال عمر : أو ليسوا بالمشركين؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى ..

فتساءل عمر بن الخطاب : فعلام نعطى الدنية فى ديننا؟

قال رسول الله ﷺ : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعنى ..

وتم الصلح على ألا يدخل المسلمون مكة هذا العام، ويعودوا من حيث كانوا إلى العام القابل. وعلى أن تخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام يطوفون فيها بالبيت الحرام، وعلى ألا يحملوا معهم سوى سلاح الراكب، والسيوف فى القرب، وعلى أن يتهادنوا (يتهادن الطرفان ويكفا عن الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس) ومن أحب أن يدخل فى عقد محمد دخل فيه (دخلت خزاعة فى عقده وعهده) ومن أراد أن يدخل فى عقد قريش دخل فيه (تواثبت بنو بكر فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم) وعلى أن من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم. ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ..

ولما فرغ الصلح قام النبى عليه الصلاة والسلام إلى هديه فنحره ثم جلس فحلق رأسه (كان خراش بن أمية بن الفضل الخزاعى الذى حلق رأس رسول الله ﷺ) فلما رأى المسلمون رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون..

ثم رجع رسول الله ﷺ وأصحابه إلى المدينة.

وأراد رسول الله ﷺ أن يبعث الرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام فقال :

لقد هممت أن أبعث رجالا من أصحابى إلى ملوك الأرض يدعونهم إلى الإسلام كما بعث عيسى بن مريم الحواريين ..

فقال أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام وهم ينظرون نحو أبى بكر وعمر ابن الخطاب :

- الا تبعث أبا بكر وعمر فهما أبلغ ؟

قال رسول الله ﷺ : لاغنى بى عنهما إنما منزلتهما من الدين كمنزلة السمع والبصر من الجسد.

وشهد أبو بكر مع رسول الله ﷺ وسلم فتح حصون خيبر وعمرة القضاء.

يوم الفتح :

نامت العداوة التى كانت بين قريش وأصحاب رسول الله ﷺ نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرا، فرأت بنو بكر أن تستعين بقريش للثأر من خزاعة. وبينما كان الخزاعيون آمنين لا يخشون غدرا على ماء لهم يقال له الوتير قريبا من مكة، وإذا بنو بكر ومعهم رجال من قريش متنكرين ومنقبين فبيتوا خزاعة ليلا وهم غافلون فقتلوا منهم رجالا. فانطلق عمرو بن سالم إلى المدينة فلقى رسول الله ﷺ وأخبره بما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوتير، فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

- نصرت ياعمرو بن سالم .

وذاع فى مكة أن صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى، وعكرمة بن أبى جهل وشيبة بن عثمان، وسهيل بن عمروقد اشتركوا مع بنى بكر فى الغدر بخزاعة. فخشيت قريش أن يبلغ ذلك رسول الله ﷺ (فمظاهرتهم لبنى بكر نقض صريح لصلح الحديبية) وقد يهيج ذلك الحدث المسلمين ويحركهم للسير إلى مكة. فندموا على مافعلوا وبعثوا أبا سفيان بن حرب إلى المدينة فدخل على ابنته أم المؤمنين أم حبيبة (رملة بنت أبى سفيان) فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته وقالت :

- فراش رسول الله ﷺ وأنت مشرك نجس فلم أحب أن تجلس على فراشه.

فقال أبو سفيان بن حرب : يا بنية والله لقد أصابك شئ بعدى.

ثم خرج فأتى النبى عليه الصلاة والسلام فكلمه فلم يرد عليه رسول الله ﷺ.

ثم ذهب أبو سفيان إلى أبى بكر الصديق فكلمه أن يكلم رسول الله ﷺ فقال أبو بكر : ما أنا بفاعل.

ورجع أبو سفيان بن حرب إلى مكة خائبا دون أن يشد رسول الله ﷺ العقد ويزيد فى المدة.

ودخل رسول الله ﷺ بيته وأمر عائشة أن تجهزه وتخفى ذلك. ثم خرج النبى عليه الصلاةوالسلام إلى المسجد فدخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها حنطة تنسف وتنقى فقال أبو بكر :

– يابنية لم تصنعين هذا الطعام؟

فسكتت عائشة. فقال أبو بكر: أيريد رسول الله ﷺ أن يغزو؟

فصمتت. فقال أبو بكر: يريد بنى الأصفر؟ (الروم) ؟

فصمتت. فقال أبو بكر : فلعله يريد أهل نجد؟

فصمتت عائشة. فقال أبو بكر : فلعله يريد قريشا؟

فصمتت. فدخل رسول الله ﷺ فقال أبو بكر :

– يارسول الله أتريد أن تخرج مخرجا؟

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : نعم.

فقال أبو بكر : فلعلك تريد بنى الأصفر؟

قال رسول الله ﷺ : لا .

تساءل أبو بكر : أتريد أهل نجد؟

فقال رسول الله ﷺ : لا.

فقال أبو بكر : فلعلك تريد قريشا.

قال النبي عليه الصلاة والسلام : نعم.

قال أبو بكر : يارسول الله أليس بينك وبينهم مدة؟

قال رسول الله ﷺ : ألم يبلغك ما صنعوا ببنى كعب؟

ودخل عمر بن الخطاب فسمع أبا بكر يقول :

- هم قومك ..

فلما علم عمر أن النبى عليه الصلاة والسلام قد عزم على السير إلى مكة قال :

- هم رأس الكفر، زعموا أنك ساحر وأنك كذاب، وأيم الله لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة.

وأمر رسول الله ﷺ الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذى يريده وأرسل إلى أهل البادية ومن حوله من المسلمين فى كل ناحية رسلا يقولون :

- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة.

فقدمت مدينة رسول الله ﷺ من قبائل العرب : أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة .. حتى إذا ما اكتمل عقد المسلمين أعلم النبى عليه الصلاة والسلام الناس أنه سائر إلى مكة .. ثم قال :

- اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها. اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يروننا إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فجأة.

وخرج جيش المسلمين (كان أكثر من عشرة آلاف رجل) لعشر مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة. واستجاب الله عز وجل لدعوة نبيه ﷺ فأخذ على سمع وأبصار قريش فلم يروا النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه إلا فجأة .. ودخل مكة لثلاث عشرة بقين من رمضان.

وأتى أبو بكر بأبيه يقوده فلما رآه النبى عليه الصلاة والسلام قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه؟

فقال أبو بكر : يارسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى إليه أنت.

فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره. ثم قال له : أسلم.

فنطق أبو قحافة بشهادة الحق. ففرح أبو بكر بإسلام أبيه وقال :

والذى بعثك بالحق لإسلام أبى طالب كان أقر لعينى من إسلامه، وذلك لأن إسلام أبى طالب كان أقر لعينك ..

وذات يوم لقى أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب وكانت بينهما محاورة فأغضب أبو بكر عمر بن الخطاب فانصرف عنه مغضبا فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه فى وجه أبى بكر. ثم ندم عمر بن الخطاب فأتى منزل أبى بكر فسأل :

- أثمَّ أبو بكر ؟

فقالوا : لا ..

وانطلق أبو بكر إلى رسول الله ﷺ وهو آخذ بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال رسول الله ﷺ لما رآه :

- أما صاحبكم فقد غامر ..

فسلم أبو بكر وقال :

- يارسول الله إنى كان بينى وبين عمر شئ فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى علىَّ فأقبلت إليك.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- يغفر الله لك يا أبا بكر. يغفر الله لك يا أبا بكر. يغفر الله لك يا أبا بكر.

وقدم ابن الخطاب على ما كان منه من الغضب فسلم فلما رآه رسول الله ﷺ جعل وجهه يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال :

- يارسول الله والله أنا كنت أظلم. يارسول الله والله أنا كنت أظلم ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إن الله أرسلنى إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدق، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركون لى صاحبى؟ فهل أنتم تاركون لى صاحبى؟

يقول عبد الله بن عمر : كنت عند النبى ﷺ وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال:

يامحمد مالى أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها فى صدره بخلال؟

فقال : ياجبريل أنفق ماله على قبل الفتح، قال : إن الله تعالى يقرأ عليه السلام، ويقول : قل له : أراض أنت عنى فى فقرك هذا أم ساخط، فقال أبو بكر: أسخط على ربى؟ أنا عن ربى راض. أنا عن ربى راض. أنا عن ربى راض.

وبينما كان رسول الله ﷺ جالسا مع جبير بن مطعم أتت امرأة النبى عليه الصلاة والسلام تسأله شيئا فقال لها :

– ارجعى إلى ...

فقالت المرأة : فإن رجعت فلم أجدك يارسول الله؟ (كأنها تقول : تعرض بالموت).

فقال لها رسول الله ﷺ : فإن رجعت ولم تجدينى فأتى أبا بكر ..

يقول محمد بن سيرين : لم يكن أحد بعد النبى أهيب لما لا يعلم من أبى بكر، ولم يكن أحد بعد أبى بكر أهيب لما لا يعلم من عمر، وإن أبا بكر كان إن نزلت به قضية لم نجد لها فى كتاب الله أصلا ولا فى السنة أثرا قال : أجتهد رأيى فإن يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمنى وأستغفر الله.

وجلس رسول الله ﷺ يوما يسمع نفرا منهم وهم يقرءون القرآن ويفقههم فى الدين فقال عمرو بن العاص:

يارسول الله أى الناس أحب إليك؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : عائشة ..

قال عمرو بن العاص : من الرجال ؟

قال رسول الله ﷺ : أبوها (يعنى أبا بكر).

فقال عمرو بن العاص : ثم من ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : ثم عمر بن الخطاب.

يوم تبوك :

أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ إلى غزو الروم فقال عليه الصلاة والسلام :

– أيها الناس إنى أريد الروم ..

كانت أول مرة أظهر مغازيه فهل كان ذلك لبعد الشقة ؟ لشدة الحر؟ لكثرة العدو؟ لجدب من البلاد؟ وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ؟ ليأخذ الناس أهبتهم؟ وحض النبى عليه الصلاة والسلام أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله.

يقول عمر بن الخطاب : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك مال عندى فقلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما. فجئت بنصف مالى فقال لى رسول الله ﷺ : ما أبقيت لأهلك؟ فقلت : مثله (نصفه). وأتى أبو بكر بأربعة آلاف درهم. فقال له رسول الله ﷺ : هل أبقيت لأهلك شيئا؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله ... فقال عمر لأبى بكر : لا أسابقك إلى شئ أبدا.

لقد جاء عمر بصدقته فأظهرها وقال : يارسول الله هذه صدقتى ولى عند الله معاد ..

وجاء أبو بكر بصدقته فأخفاها وقال : يارسول الله هذه صدقتى ولله عز وجل عندى معاد..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ياعمر وترت قوسك بغير وتر. ما بين صدقتكما كما بين كلمتيكما.

وخرج جيش رسول الله ﷺ فى رجب سنة تسع من الهجرة فعقد الألوية فدفع لواءه الأعظم لأبى بكر الصديق.

وكان الحر شديدا فنزل جيش المسلمين منزلا أصابهم فيه عطش حتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده (على صدره) وكان أصحاب رسول الله ﷺ لم يشكوا إليه فلما رأى أبو بكر الصديق ذلك قال للنبى عليه الصلاة والسلام :

– يارسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا ..

فقال رسول الله ﷺ : أتحب ذلك؟

قال أبو بكر الصديق : نعم.

وكانت السماء صافية كماء البحر .. فرفع النبى عليه الصلاة والسلام يديه ودعا ربه عز وجل فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون إليه ولم تتجاوز هذه السحابة عسكر المسلمين.

وكان رسول الله ﷺ يستخلف على عسكره أبا بكر يصلى بالناس.

وأقام النبى عليه الصلاة والسلام بتبوك بضع عشرة ليلة، ولم يلق كيدا فقد فر جيش الروم لما علم بمقدم رسول الله ﷺ. فرجع إلى المدينة. فأقام ﷺ رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميرا على الحج سنة تسع من الهجرة ليقيم للمسلمين حجهم.

وشهد أبو بكر مع رسول الله ﷺ حجة الوداع فى العام العاشر من الهجرة.

ورأى رسول الله ﷺ رؤيا فقصها على أبى بكر الصديق : – يا أبا بكر رأيت كأنى استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف.

قال أبو بكر : خيرا يارسول الله يبقيك الله حتى ترى ما يسرك ويقر عينك.

فقال رسول الله ﷺ وسلم مثل ذلك ثلاث مرات وأعاد أبو بكر مثل ذلك فقال له فى الثالثة.

– يا أبا بكر رأيت كأنى استبقت أنا وأنت درجة فسبقتك بمرقاتين ونصف.

قال أبو بكر الصديق : يارسول الله يقبضك الله إلى رحمته ومغفرته وأعيش بعدك سنتين ونصفا.

مرض رسول الله ووفاته :

رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع وهو يشتكى فلما ثقل المرض واستعز برسول الله ﷺ قال :

– مروا أبا بكر فليصل بالناس ...

فقالت أم المؤمنين عائشة : يانبى الله إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن ..

فقال رسول الله ﷺ : مروه فليصل بالناس ..

فعادت عائشة إلى قولها : يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق ضعيف الصوت كثير البكاء إذا قرأ القرآن ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إنكن صواحب يوسف فمروه فليصل بالناس ..

كانت عائشة تريد أن يصرف ذلك عن أبيها فقد عرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقام النبى عليه الصلاة والسلام أبدا وأنهم سيتشاءمون به فى كل حدث كان.

وكان أبو بكر غائبا فقال عبد الله بن زمعة بن الأسود :

– قم ياعمر فصل بالناس.

فقام ابن الخطاب .. وكبّر، فلما سمع رسول الله ﷺ صوت عمر وكان رجلا مجهرا (الجهارة هى ارتفاع الصوت) فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون. يأبى الله ذلك والمسلمون.

فبعث الناس إلى أبى بكر فجاء بعد أن صلى عمر بن الخطاب تلك الصلاة فصلى بالناس .. فقال عمر لعبد الله بن زمعة:

– ويحك ماذا صنعت بى يا ابن زمعة، والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ولولا ذلك ماصليت بالناس ..

فقال عبد الله بن زمعة :

– والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس.

وخرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين (اليوم الذى قبض فيه) والناس يصلون الصبح فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله ﷺ حين رأوه فرحا به وتفرجوا فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم، وتبسم النبى عليه الصلاة والسلام لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم وأبو بكر يؤمهم. ورجع رسول الله ﷺ وانصرف الناس .. ثم رجع أبو بكر إلى أهله بالسنح (موضع كان لأبى بكر فيه مال وكان ينزل بأهله).

وانتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى .. فقام عمر بن الخطاب فقال :

– إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفى وإن رسول الله ﷺ ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله ﷺ مات.

وأقبل أبو بكر – حين بلغه الخبر – وعمر بن الخطاب يكلم الناس لم يلتفت إلى شئ حتى دخل على النبى عليه الصلاة والسلام فى بيت عائشة ورسول الله ﷺ مسجى (مغطى الوجه) فى ناحية البيت عليه بردة حبرة (ضرب من ثياب اليمن) فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله ﷺ ثم أقبل عليه فقبله .. ثم قال :

– بأبى أنت و أمى طبت حيا وميتا، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا.

ثم رد البردةعلى وجه النبى عليه الصلاة والسلام وخرج وابن الخطاب مازال يكلم الناس فقال أبو بكر :

– على رسلك ياعمر .. أنصت ..

فأبى عمر بن الخطاب إلا أن يتكلم. فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس. فلما سمع الناس كلام أبى بكر أقبلوا عليه وتركوا عمر بن الخطاب.

حمد أبو بكر الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين﴾(١).

فبهت الناس وكأنهم لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر ودهش عمر ووقع إلى الأرض ما تحمله قدماه، وعرف أن رسول الله ﷺ قد مات. وبكى الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومد عمر بن الخطاب يده إلى أبى بكر وقال له :

- امدد يدك لأبايعك.

فقال أبو بكر.

- امدد يدك أنت ياعمر.

فقال الفاروق :

- ولكنك أفضل منى.

قال الصديق : ياعمر إن الخلافة فى حاجة إلى قوة.

ولكن عمر بن الخطاب مد يده وقال للصديق :

- ولتكن قوتى خادمة لفضلك.

الخليفة الأول - العزيمة الكبرى:

اجتمع الأنصار فى سقيفة بنى ساعدة وطلب سعد بن عبادة منهم أن يبايعوه خليفة لرسول الله ﷺ فأجابوه جميعا. فانطلق عويم بن ساعدة الأنصارى ومعن بن عدى مسرعين إلى أبى بكر ثم ذهبا إلى عمر بن الخطاب وقالا :

- هاتيك الأنصار قد اجتمعت فى ظلة بنى ساعدة يبايعون سعد بن عبادة.

فخاف ابن الخطاب من وقوع فتنة الإمارة فانطلق إلى أبى بكر الصديق فوجده فى بيت رسول الله ﷺ فخرجا مسرعين إلى سقيفة بنى ساعدة فلقيهم

(١) آل عمران : ١٤٤.

أبو عبيدة بن الجراح فتماشوا ثلاثتهم إلى ظلة بنى ساعدة فإذا بالأنصار يدورون حول سعد بن عبادة ويقولون :

– أنت المرجى ونجلك المرجى(قيس بن سعد بن عبادة)

فحمد أبو بكر الله وأثنى عليه وقال :

– إن الله بعث محمدا رسولا إلى خلقه وشهيدا على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة، وإنما هى من حجر منحوت وخشب منجور. ثم قرأ ﴿ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾.(١) وقالوا ﴿مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾(٢) فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والإيمان به والمواساة له والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم، وكل الناس مخالف زار عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف الناس لهم وإجماعهم عليهم، فهم أول من عبد الله فى الأرض وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم. وأنتم معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم فى الدين، ولا سابقتهم العظيمة فى الإسلام، رضيكم الله أنصارا لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تفتاتون بمشورة ولاتقضى دونكم الأمور.

فقام الحباب بن المنذر فقال :

– يامعشر الأنصار املكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور، فأنتم والله أحق بهذا الأمر، فإنه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن يدين، أنا جذيلها (الجذل عود ينصب للإبل الجربى تحتك به فتستشفى) المحكك (الذى كثر به الاحتكاك حتى صار مملسا)

---

(١) سورة يونس آية ١٨.

(٢) سورة الزمر آية ٣

وعذيقها (العذق النخلة) المرجب (إنى ذو رأى يشفى بالاستضاءة به كثيرا فى مثل هذه الحادثة وأنا كثير التجارب والعلم بموارد الأحوال كالنخلة الكثيرة الحمل).

فقال عمر بن الخطاب : إذن يقتلك الله.

فقال الحباب بن المنذر : بل إياك يقتل .

فقال أبو عبيدة بن الجراح : يامعشر الأنصار إنكم أول من نصر وآزر فلاتكونوا أول من بدل وغير.

فقام بشير بن سعد (أبو النعمان بن بشير) وكان خزرجيا مثل سعد بن عبادة فقال :

– يامعشر الأنصار إنا والله لئن كنا أولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى هذا الدين ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا، والكدح لأنفسنا، فما ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك، ولا نبتغى به من الدنيا عرضا، فإن الله ولى المنة علينا بذلك، ألا إن محمدا ﷺ من قريش وقومه أحق به وأولى، وأيم الله لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمر أبدا فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم.

فقال أبو بكر وكان حريصا على توحيد الكلمة :

– هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا؟

فقال عمر بن الخطاب :

– والله لأن أقدم فأنحر كما ينحر البعير أحب إلى من أن أتقدم على أبى بكر..

وقال أبو عبيدة بن الجراح : لا والله ولا نتولى هذا الأمر عليك، فإنك أفضل المهاجرين، وثانى اثنين إذ هما فى الغار، وخليفة رسول الله ﷺ على الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغى له أن يتقدمك أو يتولى هذا الأمر عليك؟ ابسط يدك نبايعك.

وقال عمر بن الخطاب : أيكم يطيب نفسا أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله ﷺ ؟ رضيك رسول الله ﷺ لديننا أفلا نرضاك لدنيانا؟

كان الناس يعرفون فضل أبى بكر، وكان أحب إليهم من ضياء العيون فأقبلوا بوجوههم عليه وارتفع نداؤهم من كل جانب :

- لانريد سواك يا أبا بكر ..

- أنت لها ..

وبسط أبو بكر يده فبايعه عمر بن الخطاب ثم أبو عبيدة بن الجراح، وخف إليه بشير بن سعد فبايعه وأسيد بن حضير زعيم الأوس .. فبايع الناس أبا بكر الصديق.

وقيل لأبى قحافة (أبو أبى بكر) : قد ولى ابنك الخلافة.

فقرأ أبو قحافة :

- ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾(١) ..

ثم تساءل : لم ولوه؟

قيل له : لسنه .

قال أبو قحافة : أنا أسن منه.

دخل أبو بكر وعمر ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار على النبى عليه الصلاة والسلام بقدر ما يسع البيت فقالوا:

- السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ..

ثم صفوا صفوفا لا يؤمهم أحد وكان أبو بكر فى الصف الأول فقال :

- اللهم إنا نشهد أنه ﷺ قد بلغ ما أنزل إليه ..

فقالوا : آمين.

فقال أبو بكر : ونصح لأمته.

فقالوا : آمين.

قال أبو بكر : وجاهد فى سبيلك حتى أعز الله دينه وتمت كلمته.

---

(١) سورة آل عمران آية ٢٦.

فقالوا : آمين.

فقال أبو بكر الصديق : فاجعلنا إلهنا ممن اتبع القول الذى أنزل معه، واجمع بيننا وبينه حتى تعرفه بنا وتعرفنا به فإنه كان بالمؤمنين رءوفا رحيما، لا نبتغى بالإيمان به بدلا ولا نشترى به ثمنا أبدا.

قالوا : آمين.

واختلفوا فى الموضع الذى يدفن فيه النبى عليه الصلاة والسلام فقال قائل:

– يدفن فى البقيع ..

وقال آخر : ينقل ويدفن عند إبراهيم الخليل ..

فقال أبو بكر الصديق :

إن عندى فى هذا خبرا سمعت رسول الله ﷺ يقول :

لا يدفن نبى إلا حيث قبض.

وجاء أبو طلحة فرفع فراش النبى عليه الصلاة والسلام الذى توفى فيه فحفر، ودفن رسول الله ﷺ فى اللحد.

وجلس أبو بكر على منبر رسول الله ﷺ فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله .. ثم قال :

– أيها الناس إنى قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيى، وما وجدتها فى كتاب الله، ولا كانت عهدا عهد إلى رسول الله ﷺ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا، وأن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هدى به رسول الله فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له وإن الله قد جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله وثانى اثنين إذ هما فى الغار .. فقوموا فبايعوه.

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة.

ثم تكلم أبو بكر فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

- أيها لناس، إن الله الجليل الكريم، العليم الحكيم، الرحيم الحليم، بعث محمدا بالحق، وأنتم معشر العرب كما قد علمتم من الضلالة والفرقة، ألف بين قلوبكم،ونصركم به وأيدكم، ومكن لكم دينكم وأورثكم سيرته الرشيدة المهدية، فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة. وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به ألفتكم ويقيم به كلمتكم، فأعينونى على ذلك بخير، ولم أكن لأبسط يدا ولا لسانا على من لم يستحل ذلك إن شاء الله، وأيم الله ما حرصت عليها ليلا ولا نهارا، ولا سألتها قط فى سر ولا علانية، ولقد قلدت أمرا عظيما مالى به طاقة ولا يد، ولوددت أنى وجدت أقوى الناس عليه مكانى، فأطيعونى ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم.

وكان أول من ولى شيئا من أمور المؤمنين عمر بن الخطاب ولاه أبو بكر القضاء فكان أول قاض فى الإسلام وقال له خليفة رسول الله ﷺ :

- اقض بين الناس فإنى فى شغل.

وأمر الخليفة الأول عبد الله بن مسعود بعس المدينة .

ولما ذاع موت رسول الله ﷺ وبويع لأبى بكر بالخلافة ظهر النفاق وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية، وصار المسلمون كالغنم الشاردة فى الليلة المطيرة، وارتدت بعض القبائل عن الإسلام، فمسيلمة الكذاب قد دانت له اليمامة، وطلحة العنسى قد غلظ أمره، وجاء رجال من عبس وذبيان وكلموا الخليفة الأول فى أن يقيموا الصلاة وألا يؤتوا الزكاة، فراح أصحاب رسول الله ﷺ يتشاورون فى الأمر، وهنا ظهرت العزيمة الكبرى، والقوة والتصميم، فقال أبو بكر فى حزم:

- والله لو منعونى عناقا (عنزا) كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه.

وكان رجال من الصحابة ومعهم عمر بن الخطاب يرون موادعة القوم. فأسامة بن زيد وجلة الأنصار والمهاجرين قد انطلقوا إلى الشام لحرب الروم.

قال عمر بن الخطاب : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلا بحقها وحسابهم على الله.

فقال أبو بكر فى شدة : أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام؟ والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال، وقد قال : إلا بحقها.

أبو بكر الصديق الرجل الهادئ الرقيق ينقلب إلى صواعق وشهب تحرق وتمحق المرتدين ومانعى الزكاة؟

وعمر الرجل القوى يريد الموادعة؟؟

ولكن الفاروق المؤمن ما لبث إلا أن رأى أن الله قد شرح صدر الخليفة الأول للقتال فعرف أنه الحق.

وعاد جيش أسامة بن زيد إلى مدينة رسول الله ﷺ فاستخلفه أبو بكر عليها وقال له ولجنده :

– أريحوا وأريحوا ظهوركم (رواحلكم).

ثم خرج أبو بكر فى رجال من المسلمين إلى ذى القصة لقتال أسد وغطفان ومانعى الزكاة فقيل له :

– ننشدك الله ياخليفة رسول الله أن تعرض نفسك فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو فابعث رجلا فإن أصيب أمرت آخر ..

فقال أبو بكر الصديق : لا والله ولأواسينكم بنفسى.

وعقد خليفة رسول الله ﷺ أحد عشر لواء وأوصى الأمراء وكتب إلى من بعث إليه من جميع المرتدين كتابا .. (نسخة واحدة يأمرهم فيه أن يرجعوا إلى الإسلام، ويحذرهم، وسير الكتب إليهم مع رسله) وخرج الخليفة الأول مع الجيش شاهرا سيفه فأخذ على بن أبى طالب بزمام راحلته وقال له:

– إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك كما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: شم سيفك وارجع مكانك .. لاتفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدا.

وهزم الله المرتدين فقتل مسيلمة الكذاب والأسود العنسى و... وعادت القبائل التى بخلت بأموالها على الإسلام صاغرة وخمدت نيران الفتنة.

وكان على خاتم أبى بكر الصديق ... نعم القادر الله.

وقيل للخليفة الأول : ياخليفة رسول الله ألا تستعمل أهل بدر؟

فقال أبو بكر الصديق : إنى أرى مكانهم ولكنى أكره أن أدنسهم بالدنيا.

كان أبو بكر ربانيا فى كل مشاعره وسلوكه وعلاقته بالناس، فقد قام يوم جمعة وقال :

إذا كان بالغداة فأحضروا صدقات الإبل تقسم ولا يدخل علينا أحد إلا بإذن..

فلما سمع الناس ذلك قالت امرأة لزوجها :

– خذ هذا الخطام لعل الله يرزقنا جملا ...

فأتى الرجل فوجد أبا بكر وعمر قد دخلا إلى الإبل فدخل معهما فالتفت أبو بكر فرأى الرجل فسأله :

– ما أدخلك علينا؟

ثم أخذ منه الخطام فضربه فلما فرغ أبو بكر من قسم الإبل دعا بالرجل فأعطاه الخطام وقال له:

– استقد (اقتص منى).

فقال عمر بن الخطاب : والله لا يستقيد. لا تجعلها سنة ...

فقال أبو بكر : فمن لى من الله يوم القيامة؟

فقال عمر بن الخطاب : أرضه.

فأمر الخليفة الأول غلامه أن يأتيه براحلة ورحلها وقطيفة (كساء له خمل) وخمسة دنانير فأرضاه بها.

وكان عمر بن الخطاب يتعاهد عجوزا كبيرة عمياء فى حواشى مدينة رسول الله ﷺ من الليل فيستسقى لها ويقوم بأمرها، وكان إذا جاءها وجد غيرة

قد سبقه إليها فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة، فلا يسبق إليها إلا من هذا الإنسان .. فمن يكون هذا الإنسان؟ فرصده عمر فإذا هو أبو بكر الصديق كان يأتيها وهو خليفة فقال له عمر: أنت لعمرى ..

وجلس عمر بن الخطاب فى مجلس القضاء عاما كاملا فى انتظار شاك أو مظلوم يقول له :

– فلان ظلمنى أو ضربنى أو أكل مالى.

ولكن أحدا لم يأت إليه .. فانطلق إلى خليفة رسول الله ﷺ وطلب منه إعفاءه من القضاء فقال الخليفة الأول:

– أمن مشقة القضاء جئت تطلب الإعفاء ياعمر؟

فقال الفاروق : لا يا خليفة رسول الله ولكن لا حاجة بى عند قوم مؤمنين عرف كل منهم ماله من حق فلم يطلب أكثر منه وما عليه من واجب فلم يقصر فى أدائه، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقدوه وإذا مرض عادوه وإذا افتقر أعانوه، وإذا احتاج ساعدوه وإذا أصيب واسوه، دينهم النصيحة وخلقهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. ففيم يختصمون ياخليفة رسول الله؟.

كان يعلم علم اليقين أن من تمام توقير الله عز وجل توقير عباد هذا الرب العلى الحكيم.

ولما أراد أبو بكر الصديق غزو الروم دعا على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد ابن زيد وأبا عبيدة بن الجراح ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر فقال الخليفة الأول :

– إن الله عز وجل لا تحصى نعماؤه، ولاتبلغ جزاءها الأعمال، فله الحمد : قد جمع الله كلمتكم وأصلح ذات بينكم وهداكم إلى الإسلام، نفى عنكم الشيطان فليس يطمع أن تشركوا به ولا تتخذوا إلها غيره، فالعرب اليوم بعز أم وأب، وقد رأيت أن أستنفر المسلمين إلى جهاد الروم بالشام ليؤيد الله المسلمين ويجعل الله

كلمته العليا مع أن للمسلمين فى ذلك الحظ الأوفر، لأنه من هلك منهم هلك شهيدا، وما عند الله خير للأبرار، ومن عاش مدافعا عن الدين مستوجبا على الله ثواب المجاهدين، وهذا رأيى الذى رأيته فليشر امرؤ علىَّ برأيه.

فقام عمر بن الخطاب فقال : الحمد لله الذى يخص بالخير من شاء من خلقه، والله ما استبقنا إلى شئ من الخير قط إلا سبقتنا إليه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. قد والله أردت لقاءك بهذا الرأى الذى رأيت فما قضى أن يكون حتى ذكرته فقد أصبت أصاب الله بك سبيل الرشاد، سَرِّبْ (أرسل قطعة قطعة) إليهم الخيل فى إثر الخيل، وابعث الرجال بعد الرجال، والجنود تتبعها الجنود، فإن الله ناصر دينه ومعز الإسلام وأهله.

فقام عبد الرحمن بن عوف فقال : ياخليفة رسول الله إنها الروم وبنو الأصفر، حد حديد، وركن شديد، وما أرى أن نقتحم عليهم اقتحاما، ولكن نبعث الخيل فتغير فى قواصى (قاصية : بعيدة) أرضهم، ثم ترجع إليك، وإذا فعلوا ذلك بهم مرارا أضروا بهم وغنموا من أدانى أرضهم فقعدوا بذلك عن عدوهم، ثم تبعث إلى أراضى اليمن وأقاصى ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعا إليك ثم إن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم.

ثم سكت وسكت الناس فتساءل أبو بكر :

– ماترون؟

فقال عثمان بن عفان : إنى أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شفيق عليهم، فإذا رأيت رأيا تراه لعامتهم صلاحا فاعزم على إمضائه فإنك غير ظنين (ضنين).

فقال طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام وأبو عبيدة ابن الجراح وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار:

– صدق عثمان ما رأيت من رأى فأمضه فإنا لا نخالفك ولا نتهمك.

ولم يتكلم على بن أبى طالب فسأله الخليفة الأول:

– ماذا ترى يا أبا الحسن؟

فقال على بن أبى طالب : أرى أنك إن سرت إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نصرت عليهم إن شاء الله ..

فقال أبو بكر فى فرح: بشرك الله بخير ومن أين علمت ذلك؟

قال على بن أبى طالب : سمعت رسول الله يقول : لا يزال هذا الدين ظاهرا (غالبا) على كل ما ناوأه (خالفه عانده) حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون.

فقال خليفة رسول الله ﷺ : سبحان الله ما أحسن هذا الحديث لقد سررتنى به سرك الله.

ثم قام أبو بكر فى الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه ﷺ ثم قال:

- أيها الناس إن الله قد أنعم عليكم بالإسلام وأكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين، فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام فإنى مؤمر عليكم أمراء وعاقد لكم ألوية فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسن نيتكم وأشربتكم وأطعمتكم فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

قال أبو بكر يوما : يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الاية : ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[1] وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده - وفى رواية: إن القوم إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقاب.

ثم أردف الخليفة الأول : سمعت رسول الله ﷺ على أعواد المنبر يقول : اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإنها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان.

ثم قال الصديق : قال رسول الله ﷺ : ما من رجل يذنب ذنبا ثم يقوم فيتطهر ثم يصلى ثم يستغفر الله إلا غفر له. ثم قرأ هذه الآية :

---

(١) سورة المائدة: آية ١٠٥.

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون* أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾..[1]

ولما سير أبو بكر الجيوش إلى الشام منع المرتدين من المشاركة أو الإسهام فى حرب الروم والفرس فهل أراد أن يمهلهم حتى يتذوقوا حلاوة الإيمان من جديد؟ أو أراد أن يعرفهم بأن الدعوة الإسلامية ماضية إلى وجهتها سواء بهم أم بغيرهم من المسلمين؟

وكان أبو بكر يجلس مع أصحاب رسول الله ﷺ فسألهم ذات يوم :

– ماتقولون فى هاتين الآيتين : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾[2] ﴿والذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾؟[3]

قالوا : قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يذنبوا. ولم يلبسوا إيمانهم بظلم : خطيئة ..

فقال الخليفة الأول : لقد حملتموها على غير المحمل ..

فقالوا : ماترى يا أبا بكر؟

قال خليفة رسول الله ﷺ :

– قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره ولم يلبسوا إيمانهم بشرك.

ودخل عمر بن الخطاب على خليفة رسول الله ﷺ فوجده يجبذ لسانه فقال له عمر : مه؟ غفر الله لك.

فقال أبو بكر : إن هذا أوردنى الموارد ..

كان أبو بكر على الرغم من أنه أول من بشر بالجنة فقد كان لا يأمن مكر الله حتى لو كانت إحدى قدميه فى الجنة.

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٣٥ ، ١٣٦.
(٢) سورة فصلت آية ٣٠.
(٣) سورة الأنعام آية ٨٢.

أبو بكر يتناول السم :

وكان أبو بكر الصديق والحارث بن كلدة يأكلان خزيرة (لحم يقطع قطعا صغيرة ويصب عليه ماء حتى إذا نضج ذر عليه دقيق) أهديت لأبى بكر فقال الحارث بن كلدة :

– ارفع يدك يا خليفة رسول الله، والله إن فيها لسم سنة، وأنا وأنت نموت فى يوم واحد.

فرفع الخليفة الأول يده .. فلم يزالا عليلين ..

وذات ليلة استشعر أبو بكر الألم فلزم الفراش فجلس حوله امرأته أسماء بنت عميس وابنتاه أسماء وعائشة وابنه عبد الرحمن فقالوا :

– ألا ندعو لك الطبيب؟

فقال أبو بكر :قد رآنى..

فنظر عبد الرحمن إلى أخته أسماء وكأنه يسألها متى جاء؟ من بعث إليه؟ أسماء بنت عميس؟ عائشة ثم قالوا : فأى شئ قال لك؟

قال خليفة رسول الله ﷺ : قال إنى فعّال لما أريد ..

وكان أبو بكر الصديق يقول :

– والله لوددت أنى كنت شجرة إلى جنب الطريق فمر علىّ بعير فأخذنى فأدخلنى فاه فلاكنى ثم ازدردنى ثم أخرجنى بعراً ولم أكن بشرا ..

صفته :

نظرت أم المؤمنين عائشة إلى رجل من العرب مارا وهى فى هودجها فقالت:

– مارأيت رجلا أشبه بأبى بكر من هذا ..

فقال شعيب بن طلحة : صفى لنا أبا بكر ..

فقالت عائشة بنت أبى بكر : رجل أبيض نحيف خفيف العارضين، أجنأ، لايستمسك إزاره، يسترخى عن حقويه، معروق الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة عارى الأشاجع.

فضـــله :

صحب أبو بكر الصديق النبى عليه الصلاة والسلام من حين أسلم إلى حين توفى لم يفارقه سفرا ولا حضرا إلا فيما أذن له رسول الله ﷺ ، وكان أول من أظهر إسلامه وكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله وبذل ماله فى سبيل الله، قال رسول الله ﷺ :

– ما نفعنى مال قط مانفعنى مال أبى بكر..

فبكى أبو بكر وقال : هل أنا ومالى إلا لك يارسول الله؟

فقد كان النبى عليه الصلاة والسلام يقضى فى مال أبى بكر كما يقضى فى ماله نفسه، وقال النبى عليه الصلاة والسلام:

– ما أحد عندى أعظم يدا من أبى بكر، واسانى بنفسه وماله وأنكحنى ابنته.

وكان أبو بكر شجاعا فقد سأل على بن أبى طالب بعض أصحابه :

– أخبرونى من أشجع الناس؟

قالوا : أنت.

قال على : أما أنى ما بارزت أحدا إلا انتصفت عليه منه ولكن أخبرونى بأشجع الناس؟

قالوا : لا نعلم . فمن؟

قال على بن أبى طالب : أبو بكر. إنه يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشا فقلنا : من يكون مع رسول الله ﷺ لئلا يهوى إليه أحد من المشركين فو الله مادنا منه أحد إلا أبو بكر شاهرا بالسيف على رأس رسول الله ﷺ لايهوى إليه أحد إلاهوى إليه فهو أشجع الناس.

وخطب رسول الله ﷺ الناس فقال : إن الله تبارك وتعالى خير عبدا بين الدنيا وبين ماعنده فاختار ذلك العبد ما عند الله تعالى.

فبكى أبو بكر الصديق وقال : نفديك بابائنا وأمهاتنا ..

فعجب الناس لبكاء الصديق أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيِّرَ فكان النبى عليه الصلاة والسلام هو المخير وكان أبو بكر أعلمهم.

وكان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به وإن لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ فى ذلك الأمر سنة قضى بها فإن أعياه خرج فسأل المسلمين وقال :

- أتانى كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى فى ذلك بقضاء؟

فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله ﷺ فيه قضاء فيقول الصديق :

- الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا.

فإن أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله ﷺ جمع رءوس الناس وخيارهم فاستشارهم فإن أجمع أمرهم على رأى قضى به.

وكان أبو بكر وعلى بن أبى طالب من أفصح خطباء أصحاب رسول الله ﷺ.

ولما أراد النبى عليه الصلاة والسلام أن يبعث معاذ بن جبل إلى اليمن استشار ناسا من أصحابه، فيهم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأسيد بن حضير فتكلم القوم كل إنسان برأيه فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- ماترى يامعاذ؟

قال معاذ بن جبل : أرى ما قال أبو بكر ..

فقال رسول الله ﷺ : إن الله يكره فى السماء أن يخطأ أبوبكر الصديق فى الأرض.

وكان أبو بكر أفضل الصحابة بعد رسول الله ﷺ ثم عمر ثم عثمان ثم على ثم سائر العشرة ثم باقى أهل البيعة (الذين بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة يوم صلح الحديبية) ثم باقى الصحابة.

يقول رسول الله ﷺ : إن روح القدس جبريل خبرنى أن خير أمتك بعدك أبو بكر ...

وقال النبى عليه الصلاة والسلام لأبى بكر وعمر :

– هذان سيدا كهول (الكهل هو الرجل الذى وخطه الشيب) أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين.

وسأل رسول الله ﷺ شاعره يوما:

– هل قلت فى أبى بكر شيئا؟

قال حسان بن ثابت : نعم.

فقال رسول الله ﷺ : قل وأنا أسمع ..

قال شاعر النبى عليه الصلاة والسلام :

وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد … طاف العدو به إذ صعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا … من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك النبى عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجذه (أقصى الأضراس فى الفم) فقد سره أن يسمع ذلك وقال لحسان بن ثابت :

– صدقت ياحسان هو (أبو بكر) كما قلت.

وقد نزل من الآيات فى مدح أبى بكر أو تصديقه، من فوق سبع سماوات تتلى إلى يوم يبعثون كقوله تعالى: ﴿ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه﴾(1) فإن الصاحب المذكور أبو بكر: ﴿والليل إذا يغشى* والنهار إذا تجلى* وما خلق الذكر والأنثى* إن سعيكم لشتى* فأما من أعطى واتقى* وصدق بالحسنى* فسنيسره لليسرى﴾(2) فقد كان

---

(1) سورة التوبة آية ٤٠.   (2) سورة الليل آية ١ – ٧.

أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة فقد كان يشترى ويعتق عجائز ونساء إذا أسلمن. وقوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾[1] و﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾[2]و﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين﴾[3]

وقد وردت أحاديث فى فضل الصديق والفاروق فقال رسول ﷺ :

- إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم.

يقول عبد الله بن عمر : خرج رسول الله ﷺ ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال : هكذا نبعث يوم القيامة.

ثم قال ابن عمر : قال رسول الله ﷺ : أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر ثم عمر.

وقال عبد الله بن مسعود : قال النبى عليه الصلاة والسلام : إن لكل نبى خاصة من أمته وإن خاصتى من أصحابى أبو بكر وعمر.

وفاته :

اشتكى خليفة رسول الله ﷺ فلما ثقل المرض جاءته ابنته أم المؤمنين عائشة فلما رأت أباها قد حضرته الوفاة فتمثلت :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فنظر الصديق إليها كالغضبان وقال معاتبا :

- ليس كذلك ولكن ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾[4]..

---

(١) سورة الرحمن آية ٤٦.
(٢) سورة الحجر آية ٤٧.
(٣) سورة الأحقاف آية ١٥.
(٤) سورة ق آية ١٩.

ولما استشعر أبو بكر دنو أجله أراد أن يعين خليفة من بعده حتى يجنب المسلمين ما عساه أن يحدث من فتنة واضطراب، وكان عزمه معقودا على استخلاف ابن الخطاب فجعله يصلى بالناس ثم بعث أبو بكر ليستشير كبار الصحابة : عبد الرحمن بن عوف وعثمان وغيرهم. فأجمعوا على عمر بن الخطاب .. فكتب عهده باستخلافه.

ولما حضرت خليفة رسول الله ﷺ الوفاة قال لمن حوله :

– إذ أنا مت وفرغتم من جهازى فاحملونى حتى تقفوا بباب البيت الذى فيه قبر النبى عليه الصلاة والسلام فقفوا بالباب وقولوا : السلام عليك يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن فإن أذن لكم بأن فتح الباب – وكان الباب مغلقا بقفل – فأدخلونى وادفنونى، وإن لم يفتح الباب فأخرجونى إلى البقيع وادفنونى به.

وقال أبو بكر لابنته عائشة : إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا دينارا ولادرهما، ولكنا أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وأنه لم يبق من فئ – خراج وغنيمة – المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشى وهذا البعير الناضح – الذى يحمل الماء – وجرد هذه القطيفة فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر.

وكان آخر ما تكلم به الخليفة الأول : توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين.

ولما أرادوا دفن الصديق ذهبوا إلى البيت الذى فيه قبر رسول الله ﷺ وقالوا:

السلام عليك يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن ..

فسقط القفل وانفتح الباب وسمع هاتف من داخل البيت يقول :

– أدخلوا الحبيب إلىَّ فإن الحبيب إلى الحبيب مشتاق.

ودفن فى بيت ابنته عائشة، وجعل رأسه عند كتفى رسول الله ﷺ. وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وكانت وفاته لثمانى ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة.

٢

عمر بن الخطاب

«إِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ
وقلبِهِ» .

حديث نبوى شريف

في الجاهلية :

ولد عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، فى بيت الشرف، فعنى أبوه وأمه (حنتمة بنت هشام بن المغيرة المخزومية أخت أبى جهل) بتربيته، فشب على ولاء كامل لعادات الجاهليين، وتقاليدهم من حمية وعصبية وفتوة ولعب بالميسر ومعاقرة للخمر ورعى الغنم كما كان يرعاها الغلمان من قريش، وتربى على الشجاعة والصدق والأمانة والوفاء والإخلاص.

ولما أصبح غلاما كان شجاعا جريئا معروفا بالذكاء. وعلى الرغم من أن ابن عمه زيد بن عمرو بن نفيل كان على ملة إبراهيم عليه السلام فإن عمر لم يلتفت إلى اتجاه ابن عمه ولم يفكر فيه فقد كان يرى فيه رجلا ذا مزاج منحرف ذهب به صاحبه هذا المذهب.

وإلى عمر بن الخطاب كانت السفارة فى الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا (رسولا) وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا أو مفاخرا.

عمر والراهب والنبوة :

ولما بلغ عمر بن الخطاب ثمانى عشرة سنة خرج عسيفا (أجيرا) مع الوليد ابن المغيرة (كان يرعى إبله ويرفع أحماله ويحفظ متاعه) فلما كان بالبلقاء (موضع يشمل النصف الجنوبى من شرق الأردن) لقيه رجل من علماء الروم فجعل ينظر إليه ويطيل النظرثم قال :

– أظن اسمك ياغلام عامرا أو عمران أو نحو ذلك؟

فقال عمر بن الخطاب : اسمى عمر ..

قال الرجل الرومى : اكشف عن فخذيك ..

فكشف عمر فإذا على أحدهما شامة سوداء فى قدر راحة الكف ..

فقال الرومى : اكشف عن رأسك ..

فكشف عمر عن رأسه فإذا هو أصلع .. فقال الرومى : اعتمل بيمينك ..

فإذا هو أعسر أيسر..

فصاح الرجل الرومى : أنت ملك العرب وحق مريم البتول ..

فضحك عمر بن الخطاب ساخرا مستهزئا .. فتساءل الرومى :

– أو تضحك؟ وحق مريم البتول إنك ملك العرب وملك الروم وملك الفرس.
فتركه عمر بن الخطاب مستهينا بكلامه.

وكان عمر بعد ذلك يقول : تبعنى ذلك الرومى وهو راكب حمارا فلم يزل معى حتى باع الوليد متاعه وابتاع بثمنه عطرا وثيابا، وقفل إلى الحجاز والرومى يتبعنى لا يسألنى حاجة، ويقبل يدى كل يوم إذا أصبحت كما تقبل يد الملك حتى خرجنا من حدود الشام.

إسلامه :

ولما بعث الله عز وجل رسوله بالهدى ودين الحق رأى عمر أن دعوة النبى عليه الصلاة والسلام تهدد النظام الذى قام عليه بناء قومه، فوقف فى وجهه وأخذ عليه كل سبيل. فكان شديد البأس على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه فدعا رسول الله ﷺ ربه :

– اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك أبى جهل بن هشام أو عمر بن الخطاب.

وذات ضحى خرج عمر بن الخطاب متوشحا سيفه فلقيه نعيم بن عبد الله النحام (كان مسلما ولكنه أخفى إسلامه خوفا من اضطهاد قومه) فلما رأى الغضب يملأ وجه عمر سأله عن وجهته فقال عمر :

– أريد محمدا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها، وعاب دينها وسب آلهتها، فأقتله.

فقال نعيم فى دهاء : والله لقد غرتك نفسك من نفسك ياعمر. أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا؟

ثم أردف نعيم بن عبد الله : أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ أنت تزعم أنك هكذا، وقد دخل عليك هذا الأمر فى بيتك؟

تساءل عمر بن الخطاب : وما ذاك؟ وأى أهل بيتى؟

قال نعيم بن عبد الله النحام : ختنك، ابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما.

فرجع عمر بن الخطاب إلى دار أخته فاطمة مغضبا. وكان عندها خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها. فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم. وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها. وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها. فلما دخل قال:

– ماهذه الهمهمة التى سمعت؟

قالت فاطمة وسعيد : ما سمعت شيئا.

قال عمر : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه..

وبطش بختنه سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها عمر فشجها.

فلما فعل ذلك قالت له أخته فاطمة وختنه سعيد بن زيد:

– نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع مابدا لك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى وقال لأخته :

– أعطينى هذه الصحيفة التى كنتم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد؟

قالت فاطمة بنت الخطاب : إنا نخشاك عليها ..

قال عمر بن الخطاب : لا تخافى واللات لأردها إليك بعد أن أقرأها ..

وطمعت فاطمة بنت الخطاب فى إسلام أخيها .. فقالت :

– يا أخى إنك نجس على شركك وإنه لا يمسه إلا المطهرون ..

فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة فإذا فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم* طه* ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى* إلا تذكرة لمن يخشى* تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى* الرحمن على العرش استوى* له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ ..(١)

فذعر عمر ورجع إلى نفسه. واستشعر رقة تغشوه .. فقال :

– ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !!

فلما سمع خباب بن الأرت ذلك خرج من مخبئه وقال :

– والله ياعمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة رسول الله ﷺ، فقد دعا البارحة لاثنين فقال : اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمربن الخطاب أو عمرو بن هشام. وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ..

فقال عمر بن الخطاب : دلني ياسعيد علي محمد حتى آتيه فأسلم ..

وعرف خباب بن الأرت من عمر الصدق فقال :

هو فى بيت الأرقم بن أبى الأرقم معه نفر من أصحابه ..

فأخذ عمر بن الخطاب سيفه فتوشحه. ثم عمد إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم. فضرب الباب فلما سمع أصحاب رسول الله ﷺ صوته. قام بلال بن رباح فنظر من خلل الباب ورجع إلى النبى عليه الصلاة السلام وقال :

– يارسول الله هذا عمر بن الخطاب جاء متوشحا سيفه ..

فقال حمزة بن عبد المطلب : ائذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن أراد شرا قتلناه بسيفه ..

فأذن بلال لعمر بن الخطاب. ونهض النبى عليه الصلاةوالسلام حتى لقيه فى الحجرة فأخذ بحجزته ثم جذبه جذبة شديدة وقال :

– ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فو الله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ..

---

(١) سورة طه : الآيات ١-٦.

فقال عمر بن الخطاب :

- يارسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ..

فكبر النبى عليه الصلاة والسلام تكبيرة عرف من فى دار الأرقم أن عمر بن الخطاب أسلم . وقال رسول الله ﷺ :

- قد هداك الله ياعمر ..

وأراد عمر أن يعلن إسلامه على الملأ .. فتساءل :

- أى قريش أنقل للحديث؟

قال جعفر بن أبى طالب وزيد بن محمد والأرقم بن أبى الأرقم :

-جميل بن معمر ..

فخرج عمر بن الخطاب حتى جاء الناس فى الحجر واجتمعوا. وأتى جميل ابن معمر فأصغى إليه فيما بينه وبينه : إنى صبوت ..

قال جميل بن معمر : أصبوت؟

قال عمر بن الخطاب : نعم ..

فقال جميل بن معمر بأعلى صوته : ألا إن ابن الخطاب قد صبأ.

فقال عمر من خلفه : كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

فقام الناس فلم يزل يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس وأعيا فقعد وهم على رأسه فقال :

- افعلوا مابدا لكم فلوكنا ثلاثمائة نفر تركناها لكم أو تركتموها لنا (يعنى مكة).

وبينما هم كذلك أقبل العاص بن وائل السهمى (خال عمر بن الخطاب) عليه حلة فقال : ما شأنكم؟

قالوا : صبأ عمر.

قال العاص بن وائل : فمه رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل .

فانفرجوا عنه كأنما كانوا ثوبا كشط عن عمر ..

وانطلق عمر إلى دار أبى جهل (كان يعلم أنه أشد أهل مكة عداوة لرسول الله ﷺ) فضرب عليه بابه فتساءل أبو جهل :

– ماهذا ؟

قال عمر بن الخطاب : عمر بن الخطاب.

فقال أبو جهل: مرحبا وأهلا بابن أختى .. ما جاء بك؟

قال عمر : جئتك ببشارة؟

فتساءل أبو جهل : ماهى؟

قال عمر بن الخطاب : أشعرت أنى قد صبوت.

قال أبو جهل : أو فعلت؟

قال عمر بن الخطاب :نعم .

قال أبو جهل : لا تفعل.

قال عمر : إنى قد آمنت بالله ورسوله محمد ﷺ وصدقت ما جاء به ..

فدخل أبو جهل وضرب الباب فى وجه عمر وقال فى غيظ :

– قبحك الله وقبح ما جئت به.

ولما أسلم عمر بن الخطاب نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال:

– يامحمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر ..

وكان المسلمون لا يستطيعون أن يصلوا بالكعبة آمنين حتى أسلم عمر بن الخطاب فقال :

– يارسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم ..

قال عمر بن الخطاب: ففيم الاختفاء؟ والذى بعثك بالحق ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإسلام غير هائب ولا خائف. والذى بعثك بالحق لنخرجن، والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم...

وخرج أصحاب رسول الله ﷺ فى صفين : حمزة بن عبد المطلب فى مقدمة أحدهما وعمر بن الخطاب فى مقدمة الآخر. فثار التراب لشدة وطء المسلمين. وقد شهر عمر سيفه وقال بأعلى صوته :

– لا إله إلا الله محمد رسول الله ..

ودخل أتباع النبى عليه الصلاة والسلام المسجد وطافوا بالكعبة وراحوا يصلون آمنين مطمئنين. ولما رجع رسول الله ﷺ إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم قال فى استبشار :

– لقد فرقت بين الحق والباطل .. أيها الفاروق ..

وفى سبب إسلام عمر بن الخطاب يقول عمر :

– خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم. قال أبو جهل بن هشام : يامعشر قريش : إن محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضى من أسلافكم يتهافتون فى النار، ألا من قتل محمدا فله علىّ مائة ناقة حمراء وسوداء. وألف أوقية من الفضة، وكذا وكذا ثوبا، وغير ذلك فقال عمر : أنا لها. فقال الملأ من قريش : أنت لها ياعمر .. وتعاهد معهم على ذلك. قال عمر : فخرجت متقلدا سيفى متنكبا كنانتى، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة. فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ : ﴿إنه لقول رسول كريم* وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون﴾(١) قلت : كاهن علم ما فى نفسى؟ فقرأ ﴿ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون﴾(٢)فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع. ثم انصرف فتبعته فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) سورة الحاقة آية ٤٠ – ٤١.

(٢) سورة الحاقة آية ٤٢.

– من هذا ؟

قلت : عمر.

قال النبى عليه الصلاة والسلام : ياعمر ما تدعنى لا ليلا ولا نهارا؟

فخشيت أن يدعو على فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ..

فقال عليه الصلاة والسلام : ياعمر أتسره؟

قلت : لا والذى بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك.

فحمد رسول الله ﷺ الله تعالى ثم قال :

– هداك الله ياعمر ..

ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات. ثم انصرف رسول ﷺ إلى بيته.

وإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ (كانو أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة سبقوا عمر بن الخطاب إلى الإسلام) قد فرحوا بإسلامه (كان إسلامه فى العام السادس من النبوة) فإن قريشا قد ملأ الحزن والغيظ قلوب ساداتها وقالوا:

– لقد انتصف القوم (المسلمون) منا ..

ولما أسلم عمر بن الخطاب نزل جبريل عليه السلام على النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

يقول عبد الله بن مسعود : والله لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالكعبة (أى عندها) ظاهرين آمنين حتى أسلم عمر فقاتلهم (المشركين) حتى تركونا فصلينا وجهرنا بالقراءة (بقراءة القرآن).

وكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يقرأون القرآن إلا سرا.

ويقول صهيب بن سنان الرومى : لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقاً. ودعا إلى الإسلام علانية، وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا. لقد كان إسلام عمر بن الخطاب فى ذى الحجة وهو ابن ست وعشرين سنة، وقد سبقه إلى الإسلام أخوه الأكبر زيد بن الخطاب. وكان عمر أول من جهر بالإسلام.

ومنذ أن دخل عمر بن الخطاب فى الإسلام اشتد الصراع بين قريش وأصحاب رسول الله ﷺ، وأخذ طابع الجد، فقد رأى المشركون أن إسلام حمزة بن عبد المطلب ثم إسلام عمر بن الخطاب يؤذن بأن رسول الله ﷺ ينتزع كل يوم سيدا من ساداتهم، ويملك يدا قوية من أيديهم الضاربة، وأنهم لو صبروا على ذلك لرجحت كفة النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه، وأصبحت له اليد العليا والغلبة عليهم، وإذن فليتعجلوا وليأخذوا رسول الله ﷺ وأتباعه قبل أن يأخذوهم وإلا انطلق السهم من الرمية.

أما المسلمون فقد رأوا فى إسلام عمر قوة لهم وإعزازا لدينهم .. وأنزل الله: ﴿يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾.(١) لقد كان إسلام عمر حدثا بارزا من أحداث الدعوة الإسلامية، فقد عز جانب المستضعفين وقويت شوكة المسلمين. لقد كان كثير من أصحاب رسول الله ﷺ يخفون إسلامهم قبل أن يعلن عمر إسلامه فلما أسلم ابن الخطاب أعلن هؤلاء إسلامهم حتى العبيد منهم فقد وجدوا أن من تمام إيمانهم أن يجهروا بدينهم وأن يحتملوا الأذى فى سبيل الله عز وجل.

سأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ يوما :

– يارسول الله أليس هذا مقام إبراهيم أبينا؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى.

فقال عمر بن الخطاب : فلو اتخذت منه مصلى ..

فلم تمض أيام حتى نزل قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾(٢)

لقد كان عقله المضئ تنبثق منه أمنية أو فكرة فينزل بها الوحى بعد قليل .. من أجل هذا قال رسول الله ﷺ :

– لو كان بعدى محدثون لكان عمر.

---

(١) سورة الأنفال آيه ٦٤.

(٢) سورة البقرة آية ١٢٥.

هجرته علانية :

ولما بايع رسول الله ﷺ الأنصار على الإسلام على النصرة له وللمسلمين الذين يهاجرون إليهم (كان ذلك فى بيعتى العقبة الأولى والثانية) وأذن لأصحابه أن يهاجروا إلى يثرب وأن ينزلوا منازل إخوانهم الأنصار حيث يستبدل المهاجرون أهلا بأهل وبلدا ببلد .. فهاجر أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام سرا ومستخفين يلتمسون لذلك الوسائل التى تخفى عن قريش أمرهم حتى يبلغوا مأمنهم فى دار هجرتهم.. أما عمر بن الخطاب فقد أبت نفسه إلا أن يخرج من مكة على الملأ، وأعلنها صريحة مدوية، وكأنه ينذر قريشا بحرب أعلنها قبل أن يهاجر إلى يثرب .. فقد تقلد سيفه وتنكب قوسه (وضعها فى منكبه) وانتضى فى يده أسهما (أخرجها من الكنانة فجعلها فى يده) وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال :

– شاهت الوجوه (قبحت) من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى.

فما تبعه أحد .. ثم مضى إلى يثرب.

يقول البراء بن عازب الأنصارى : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب ابن عمير ثم عبد الله بن أم مكتوم ثم عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا (كانوا من المستضعفين) فقلنا : مافعل رسول الله ﷺ قال : هو على أثرى.

ثم قدم النبى عليه الصلاة والسلام وأبو بكر.

وأصبح عمر بن الخطاب وجها بارزا من وجوه المسلمين، فحظى باحترام وتقدير المهاجرين والأنصار على السواء، فإن شخصية ابن الخطاب جدير بها أن تحل محل الصدارة حيث كان، وتجعل منه الرجل الذى إذا حضر تعلقت به الأنظار وشخصت نحوه القلوب. فكان أقرب الناس إلى النبى عليه الصلاة والسلام وألزمهم له، وكأنه ظل لرسول الله ﷺ، فقد كان ابن الخطاب أحرص أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام ملازمة لرسول الله ﷺ وإرواء روحه من النظر إليه والاستماع إليه.

وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ليملأ المسلم بتلك المؤاخاة فراغ مشاعره التى خلت من مشاعر الأخوة وعلائق النسب التى قطعها الإسلام بين المسلمين وذوى قرابتهم من المشركين.

فآخى رسول الله ﷺ بين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك.

واطمأنت برسول الله ﷺ دار هجرته وأظهر الله تعالى بالمدينة دينه و ألف بين قلوب الأوس والخزرج فماتت العداوة التى ظلت بينهما سنوات طويلة فبعث النبى عليه الصلاة والسلام السرايا ليتحسس أخبار قريش.

جهاده في سبيل الله :

ولما كان يوم بدر أراد رسول الله ﷺ أن يستنفد كل وسائل الصلح قبل أن يخوض القتال مع المشركين فما أرسله الله إلا رحمة للعالمين. فبعث النبى عليه الصلاة والسلام إليهم عمر بن الخطاب ليقول لهم :

– ارجعوا فإنه إن يلى هذا الأمر منى غيركم أحب إلى من أن تلوه منى.

فتلقفها حكيم بن حزام فقال لسادات قريش :

– قد عرض نصفا فاقبلوه فو الله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف.

ولكن عدو الله أبا جهل بن هشام قال :

– والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم.

فرجع عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما حدث.

وكانت وقعة بدر .. ونصر الله نبيه وهزم المشركين، فوقف النبى عليه الصلاة والسلام على شفة القليب وقال :

– ياعتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام بئس عشيرة النبى، كذبتمونى وصدقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا.

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله كيف تكلم أجسادا قد جيفوا؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لايستطيعون أن يجيبونى.

لم يكن عمر بن الخطاب من أبطال المسلمين فى الحرب شأنه فى هذا شأن الصديق حيث لم يعرف لهما ما عرف لعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وحمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبى وقاص وغيرهم من النكاية بالعدو فى ميدان القتال (ليس هذا يعنى أنهما لم يكونا ذوى بأس وقوة أو لأنهما كانا يضنان بأنفسهما عن الاستشهاد فى سبيل الله) ولكن النبى عليه الصلاة والسلام حجزهما ليكونا بجانبه وليكونا وزيرين للنبى عليه الصلاة والسلام فى السلم والحرب .. وكان رسول الله ﷺ ينزل رأى عمر من نفسه منزلة خاصة، لأنه ﷺ كان يعلم أنه من المحدثين الملهمين ذوى القريحة اللماحة والبصيرة النافذة. يقول رسول الله ﷺ :

– إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

ويقول النبى عليه الصلاة والسلام : رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا، تركه الحق وماله من صديق.

واستشار رسول الله ﷺ أصحابه فى شأن أسارى بدر .. فكان رأى أبى بكر قبول الفدية منهم، ولكن عمر بن الخطاب كان يرى قتلهم .. وكان رأى رسول الله ﷺ مع رأى أبى بكر ولم يهو ما قاله عمر .. فلما كان الغد وجد النبى عليه الصلاة والسلام وأبا بكر يبكيان فقال :

– يانبى الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت لبكائكما؟

فقال ﷺ : لقد عرض علىَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة.

والشجرة قريبة حينئذ.

وأنزل الله تعالى : ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة﴾[1] لقد جاء القرآن من فوق سبع سماوات موافقا لرأى عمر بن الخطاب.

ويوم أحد لما خالف الرماة أمر النبى عليه الصلاة والسلام وكانت هزيمة المسلمين وتفرقوا فى كل وجه .

وبينما عمر بن الخطاب فى رهط من المسلمين قعود مر بهم أنس بن النضر (عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ) فتساءل :

– ما يقعدكم؟

قال المسلمون الجالسون مع عمر :

– قتل رسول الله ﷺ ..

فقال أنس بن النضر : فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه.

ثم قام أنس بن النضر فجالد قريشا حتى قتل وبه سبعون ضربة فى وجهه.

ورأى عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ مع على بن أبى طالب وأبى بكر وسعد بن أبى وقاص وأبى دجانة ففرح وانطلق وراءه .. لقد أدرك أن المشركين أطلقوا هذه الفرية حتى ألقوا الرعب فى قلوب أصحابه.

يقول عبد الله بن عباس :

– لما انتقض أحد (جبل أحد) قال رسول الله ﷺ : اسكن فما عليك إلا نبى وصديق وشهيد (كان عليه النبى عليه الصلاة والسلام وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد).

وأقبل أبو سفيان بن حرب على فرس فوقف على أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام وهم فى عرض الجبل فنادى بأعلى صوته :

---

(١) سورة الأنفال : آية ٦٧.

- أين ابن أبى قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ الحرب سجال حنظلة بحنظلة (يعنى حنظلة بن أبى عامر بحنظلة بن أبى سفيان).

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله أجيبه؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم فأجبه ..

قال أبو سفيان بن حرب : أعل هبل ..

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب:

- قل له : الله أعلى وأجل ..

فقال أبو سفيان بن حرب : إن لنا العزى ولا عزى لكم ..

فقال عمر : الله مولانا ولا مولى لكم ..

قال أبو سفيان بن حرب : ألا إن الأيام وإن الحرب سجال .

فقال عمر بن الخطاب : ولاسواء، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ..

قال أبو سفيان : إنكم لتقولون ذلك جبنا إذاً وحزنا ..

ثم أردف أبو سفيان : يا ابن الخطاب قم إلى أكلمك ..

فقام عمر إليه فقال أبو سفيان بن حرب : أنشدك بدينك هل قتلنا محمدا؟

قال عمر : اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن ..

فقال أبو سفيان : أنت عندى أصدق من ابن قميئة ..

ثم صاح أبو سفيان بن حرب : إنكم واجدون فى قتلاكم عبثا ومثلا إن ذلك لم يكن من رأى سراتنا ..

ثم أدركته حمية الجاهلية فقال : وأما إذا كان ذلك فلم نكرهه ..

ولم يفكر أبو سفيان وفرسان قريش فى أن يصعدوا إلى الجبل ليقضوا على رسول الله ﷺ، فالخيل لا تستطيع الصعود إليه، وإن صعدوا إليه رجالة لم يثقوا بالظفر به لأن معه أكثر أصحابه وهم مستميتون فى الدفاع عنه ﷺ. فقنع أبو سفيان والذين معه بما حققوه من نصر وأملوا يوما ثانيا يكون لهم فيه الظفر فنادى أبو سفيان بن حرب :

– ألا إن موعدكم بدر الصفراء على رأس الحول ..

فوقف عمر بن الخطاب ينتظر ما يقول النبى عليه الصلاة والسلام فقال له:

– قل نعم ..

فانصرف أبو سفيان إلى أصحابه .. ورحلوا إلى مكة.

وكانت حفصة بنت عمر تحت خنيس بن حذافة السهمى .. فلما استشهد يوم أحد تزوجها النبى عليه الصلاة والسلام، تزوج حفصة توثيقا لرابطةالأخوة بينه وبين عمر، وتمكينا لها وتكريما لعمر، وتعريفا بمنزلته عنده، وفتحا لبيته يدخله حيث شاء وفيه ابنته حفصة. وبهذه الصلة الوثيقة بالنبى عليه الصلاة والسلام استطاع الفاروق أن يتلقى فيضا زاخرا من نفحات النبوة وأن ينهل من ينابيع الحكمة وأن يكسو روحه من أنوارها ويملأ عقله وقلبه من هديها.

وذات يوم كان عمر بن الخطاب وبعض الصحابة جلوسا عند النبى عليه الصلاة والسلام فجاء رجل شديد بياض الثياب شديد سواد شعر الرأس لا يرى عليه أثر سفر ولا يعرفه من أصحاب رسول الله أحد فجلس إلى النبى عليه الصلاة والسلام فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه ثم قال :

– يامحمد ما الإسلام؟

قال رسول الله ﷺ : شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت.

قال الرجل : صدقت.

فعجب أصحاب رسول الله ﷺ منه يسأل النبى عليه الصلاة والسلام ويصدقه. ثم قال :

– يامحمد ما الإيمان؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام:

– أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره..

قال الرجل : صدقت ..

فعجب صحابة النبى عليه الصلاة والسلام من الرجل يسأل رسول الله ﷺ ويصدقه. ثم قال :

– يامحمد ما الإحسان؟

قال رسول الله ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك..

قال الرجل : فمتى الساعة؟

قال رسول الله ﷺ : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ..

فتساءل الرجل : فما أماراتها؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : أن تلد الأمة ربتها – تلد العجم العرب – وأن ترى الحفاة العراة العالة – الفقير – رعاة الشاء يتطاولون فى البناء..

ولقى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب بعد ثلاث فسأله :

– أتدرى من الرجل؟

قال عمر بن الخطاب : الله ورسوله أعلم.

قال النبى عليه الصلاة والسلام : ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم ..

ورأى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وهو يبول قائما فقال له :

– ياعمر لا تبل قائما ..

يقول عمر بن الخطاب : فما بلت قائما بعد ..

ثم انطلق النبى عليه الصلاة والسلام يبول فاتبعه عمر بماء فسأله :

– ماهذا ياعمر؟

قال عمر بن الخطاب : ماء.

فقال رسول الله ﷺ : ما أمرت كلما بلت أن أتوضأ ولو فعلت لكانت سنة.

وخرج رسول الله ﷺ على أصحابه ورأسه يقطر ماء فصلى بهم فى ثوب واحد متوشحا به قد خالف بين طرفيه فلما انصرف قال عمر بن الخطاب:

– يارسول الله تصلى بنا فى ثوب واحد؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

نعم أصلى فيه .. وفيه – أى قد جامعت فيه.

وذات يوم رأى رسول الله ﷺ على عمر بن الخطاب قميصا أبيض فسأله:

– ثوبك هذا غسيل أم جديد؟

فقال الفاروق : لا بل غسيل..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : البس جديدا وعش حميدا ومت شهيدا..

وسأل عمر بن الخطاب النبى عليه الصلاة والسلام يوما : يانبى الله كيف بمن يصوم يومين ويفطر يوما؟

فقال رسول الله ﷺ : أو يطيق ذلك أحد؟

قال الفاروق : يارسول الله كيف بمن يصوم يوما ويفطر يوما؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : ذلك صوم داود – أحب الصيام إلى الله صيام داود فإنه كان يصوم يوما ويفطر يوما، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويصلى ثلثه وينام سدسه.

فتساءل ابن الخطاب : كيف بمن يصوم يوما ويفطر يومين؟

قال رسول الله ﷺ : وددت أنى طوقت ذلك.

وسمع رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب يحلف بأبيه فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ..

يقول عمر بن الخطاب : فما حلفت بها ذاكرا ولا آثرا .

قال رسول الله ﷺ : وإن أحدكم ليخرج بصدقته من عندى متأبطها وإنما هى نار ..

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله كيف تعطيه وقد علمت أنها نار.

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

– فما أصنع يأبون إلا مسألتى ويأبى الله عز وجل لى البخل.

ولبس عمر ثوبا جديدا فقال :

– الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى جلوتى ..

ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من لبس ثوبا جديدا فقال : الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى جلوتى ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق أو ألقى فتصدق به كان فى كنف الله وفى حفظ الله وفى ستر الله حيا وميتا .. قالها ثلاثا.

وشهد عمر بن الخطاب مع النبى عليه الصلاة والسلام غزوة الخندق وصلح الحديبية.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل متواضعا من سمائه العالية إلى أرض البشر فيخالط أصحابه فيطيب بذلك نفوسهم ويرضى مشاعرهم .. فكان يعاملهم جميعا معاملة الإخوة والأصحاب .

وكان عمر بن الخطاب يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر إلى عظمته بإيمان وإعجاب وتقدير .

وذات يوم استأذن عمر النبى عليه الصلاة والسلام فى العمرة فأذن له وقال صلى الله عليه وسلم :

– ياأخى لا تنسنا من دعائك .

يا أخى ؟ أقالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر حقا ؟ ماذا يصنع النبى عليه الصلاة والسلام بدعاء عمر عند الكعبة وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

ولكن ابن الخطاب كان يقول كلما ذكرها :

– ما أحب أن لى بها ما طلعت عليه الشمس لقوله ياأخى .

نعم شهادة عظيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤاخى الناس وشهادة لعظمة عمر فإنه أهل لذلك الإخاء .

وكان عمر بن الخطاب يناقش الأمور التى تحتاج إلى مناقشة ويسلم تسليما لقضايا لا يعرف أحيانا حكمتها ولكنه مقتنع بها لأن النبى عليه الصلاة والسلام جاء بها .. فهو يقبل الحجر الأسود فى الكعبة ويقول كأنه يخاطبه :

– إنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ووالله لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

ويهرول كاشفا عن منكبيه ويقول :

– فيم هذه الرملات (الهرولة) والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الإسلام ونفى الكفر ؟

وذات يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى مسجده وحوله أصحابه فقال عليه الصلاة والسلام :

– بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر قلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر، فذكرت غيرتك فوليت مدبرا .

فبكى الفاروق وقال : أعليك أغار يارسول الله ؟

ودخل عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه رافعات أصواتهن، فلما سمعن صوت عمر انقمعن (انزوين وانكمشن) وسكنّ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر بن الخطاب :

– يا عدوات أنفسهن تهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– ياعمر ما لقيك الشيطان سالكا فجّا إلا سلك فجّا غير فجك .

وخرج عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح خيبر ..

وذات ضحى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم جلوس بالمسجد فنظر إلى عمر وقال :

– بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قُمُص فمنها ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر وعليه قميص يجره .

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– فما أولته يارسول الله ؟ ..

قال لبس عمر بن الخطاب الإسلام فكان له منه رداء يكسوه من رأسه إلى أخمص قدميه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– ببينما أنا نائم إذ أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أنى لأرى الرى يجرى فى أظافرى ثم أعطيت فضلى (مابقى منى) عمر بن الخطاب .

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– فما أولت ذلك يارسول الله ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : العلم .. لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب.

وشهد عمر بن الخطاب عمرة القضاء وفتح مكة وغزوة حنين، ولما طال حصار الطائف استشار النبى عليه الصلاة والسلام نوفل بن معاوية فى المقام عليهم فقال:

– يارسول الله ثعلب فى جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك.

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أفلا أوذن بالرحيل؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى.

ولما رجع رسول الله ﷺ من حصار الطائف إلى الجعرانة فقسم التبر والغنائم وهو فى حجر بلال بن رباح فقال رجل – عبد الله بن أبى بن سلول – :

- اعدل يا محمد فإنك لم تعدل ..

فقال رسول الله ﷺ :

- ويلك ومن يعدل بعدى إذا لم أعدل؟

فقال عمر بن الخطاب : دعنى يارسول الله حتى أضرب عنق هذا المنافق ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إن هذا فى أصحاب أو أصيحاب له يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

يقول ابن عباس : إن النبى ﷺ قال : بينما أنا جالس فى مسجدى أتحدث مع جبريل إذ دخل عمر بن الخطاب فقال : أليس هذا أخاك عمر بن الخطاب؟ فقلت : بلى أخى : أله اسم فى السماء كما له اسم فى الأرض؟ فقال : والذى بعثك بالحق إن اسمه فى السماء أشهر من اسمه فى الأرض .. اسمه فى السماء فاروق وفى الأرض عمر.

الشيطان يخشي عمر :

وخرج النبى عليه الصلاة والسلام فى بعض مغازيه فلما رجع إلى المدينة جاءت جارية سوداء فقالت :

- يارسول الله كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف ..

قال رسول الله ﷺ : إن كنت نذرت فاضربى وإلا فلا .

فجعلت الجارية السوداء تضرب بالدف فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل على بن أبى طالب وهى تضرب ثم دخل عثمان بن عفان وهى تضرب ثم دخل عمر بن الخطاب فألقت الدف تحت استها وقعدت عليه فقال رسول الله ﷺ :

- إن الشيطان ليخاف منك ياعمر، إنى كنت جالسا وهى تضرب فدخل أبو بكروهى تضرب ثم دخل على وهى تضرب ثم دخل عثمان وهى تضرب ثم دخلت أنت ياعمر فألقت الدف.

سرية عمر بن الخطاب :

وبعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب فى ثلاثين رجلا إلى عجز (طائفة من هوازن وهو محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء) يقال له تربة، وأرسل رسول الله ﷺ دليلا من بنى هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر لهوازن فهربوا فجاء عمر بن الخطاب محلهم فلم يجد منهم أحدا فانصرف راجعا إلى مدينة رسول الله ﷺ فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة أميال قال له الدليل (من بنى هلال).

– هل لك جمع آخر من خثعم؟

فقال عمر بن الخطاب : لم يأمرنى رسول الله ﷺ بهم إنما أمرنى بقتال هوازن.

غزوة العسرة :

وخرج الفاروق عمر مع النبى عليه الصلاة والسلام يوم تبوك (غزوة العسرة) .. فلما كان المسلمون فى الطريق (كان الحر شديدا).

أصاب الناس الجوع والمجاعة فصارت تمص التمرة الواحدة جماعة يتناولونها .

فقال الناس : يارسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا (الإبل التى تحمل الماء) فأكلنا وادّهنا.

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله إن فعلت فنى الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعلها فى ذلك ..

فقال رسول الله ﷺ : نعم .

فدعا النبى عليه الصلاة والسلام بنطع فبسطه ثم دعاهم رسول الله ﷺ بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتى بكف ذرة ويجيء الآخر بكف من تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير. فدعا رسول الله ﷺ بالبركة.

ثم قال ﷺ لهم : خذوا فى أوعيتكم ..

فأخذوا حتى ماتركوا فى العسكر وعاء إلا ملئوه وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة فقال النبى عليه الصلاة والسلام.

– أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بها عبد غير شاك إلا وقاه الله النار.

ثم أسند رسول الله ﷺ ظهره إلى نخلة وقال :

– ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلا عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت. وإن منِ شر الناس رجلا فاجرا جريئا يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شئ منه ..

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين ليلة يصلى ركعتين ولم يتجاوز تبوك. ثم استشار النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه فى مجاوزتها ..

فقال عمر بن الخطاب : إن كنت أمرت بالسير فسر ..

فقال رسول الله ﷺ : لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه ..

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله إن للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام وقد دنونا (اقتربنا) وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا.

لقد كان عمر بن الخطاب من أبرز أصحاب رسول الله ﷺ فى مواقف المشورة .. وهذا تصريح بأن غزوة تبوك لم يقع بها مقاتلة مع الروم ولا حصل فيها غنيمة.

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

القرآن يوافق عمر :

وأقبل عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول إلى النبى عليه الصلاة والسلام وأخبره أن أباه (كان عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين فى المدينة) قد مات، ودعا رسول الله ﷺ ليصلى عليه، فوافق النبى عليه الصلاة والسلام وخرج مع

عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول (كان من أكابر الصحابة) فلما قام رسول الله ﷺ ليصلى على عبد الله بن أبى بن سلول قال عمر بن الخطاب:

يارسول الله أتصلى على ابن أبى وقد قال يوم كذا (خرج عبد الله بن أبى ابن سلول مع رسول الله ﷺ فى غزوة بنى المصطلق - غزوة المريسيع - فأحدث فتنة كاد يقتتل فيها المهاجرون والأنصار وقال : لقد كاثرونا - يقصد المهاجرين - فى ديارنا، وكادوا يجعلوننا غرباء فى بلدنا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز - يقصد نفسه - منها الأذل - يعنى النبى عليه الصلاة والسلام - فلما علم رسول الله ﷺ أخبر أسيد بن حضير رئيس الأوس فقال : والله يا رسول الله إنه هو الأذل وأنت الأعز .. وقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ألا تبعث إلى هذا المنافق من يضرب عنقه؟ فرفض النبى عليه الصلاة والسلام، وقال : كلا أترى ياعمر كيف يقول الناس محمد يقتل أصحابه؟ وأنزل الله عز وجل فى عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه المنافقين ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ ولما علم ابنه عبد الله وكان من أصدق الصحابة إيمانا أراد أن يقتل أباه عبد الله بن أبى بن سلول ورصده على مشارف مدينة رسول الله ﷺ فلما دنا ليدخلها جرد عبد الله سيفه وشهره فى وجه أبيه، وقال له: والله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، لتعلم من الأذل ومن الأعز؟ ولما جاء النبى عليه الصلاة والسلام شكا عبد الله بن أبى ابنه عبد الله إليه فقال رسول الله ﷺ، : دعه يا عبد الله يدخل وترفق به. فقال عمر بن الخطاب : أليس هو القائل كذا وكذا وكذا؟

فتبسم نبى الرحمة وقال : أخر عنى ياعمر.

كان الأمر عند عمر بن الخطاب «حق أو لاحق» كان على طبيعة واحدة مع الحق لا يعرف فيه هوادة أو لينا، ولا يقبل مهادنة أو موادعة معه .. فلما أكثر على النبى عليه الصلاة والسلام قال :

- أما إنى خيرت فاخترت، ولو أعلم أنى لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها.

فصلى النبى عليه الصلاة والسلام .. ثم انصرف. فلم يمكث يسيرا حتى نزل قوله تعالى ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾ لقد جاء القرآن موافقا رأى ابن الخطاب ولكنه تعجب من جرأته على رسول الله ﷺ يومئذ.

يقول عبد الله بن مسعود : فضل الناس عمر بن الخطاب بأربع ، منها ذكر الأسرى يوم بدر أمر بقتلهم فأنزل الله تعالى : ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ (١) .

لقد جاء القرآن موافقا لرأى عمر بن الخطاب فى مواقف كثيرة فقد كان الفاروق يرى الرأى فينزل به القرآن، يقول على بن أبى طالب.

– إن فى القرآن لرأيا من رأى عمر ..

ويقول عبد الله بن عمر : ما قال الناس فى شئ وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر .

ويقول أبو حفص : وافقت ربى فى ثلاث قلت : يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾(٢) وقلت : يارسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن

فقالت زينب بنت جحش : مالك يابن الخطاب؟ إن الوحى ينزل فى بيوتنا .. فنزلت آية الحجاب ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾(٣) .. وقلت لأزواج النبى ﷺ لما تمالأن عليه فى الغيرة؟ قلت لهن : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن. فنزلت كذلك.

كذلك نزل القرآن بموافقته فى أسرى بدر. وفى تحريم الخمر فقال :

– اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ..

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٥. (٢) سورة الأحزاب آية ٥٤.

(٣) سورة المائدة آية ٩٠.

فـأنزل الله تعـالى : ﴿يا أيهـا الذين آمنوا إنما الخمـر والميسـر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[1]

ويقـول عمـر بن الخطاب : وافـقت ربى .. لما نـزلت هذه الآية ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ قلت أنا : فتبارك الله أحسـن الخالقين .. فنزلت ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.[2]

وأكثر رسـول الله ﷺ الاستغفار لقوم فقال عمر :

– سـواء عليهم ..

فأنزل الله عز وجل ﴿سواء عليهم استغفرت لهم﴾.[3]

ولما اسـتشـار رسـول الله ﷺ أصـحـابه فـى الخـروج إلى بـدر أشـار الفـاروق بالخـروج ..

فنزل قوله تعالى : ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾[4].

ولما اسـتشار النبى عليه الصلاة والسـلام أصـحـابه فى قصـة الإفك قال عـمر ابن الخطاب:

– من زوجكها (يعنى عائشة) يارسـول الله؟

قال النبى عليه الصلاة والسـلام : الله.

فتساءل الفاروق :

– افتظن أن ربك دلس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

فنزل قوله تعالى : ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾.[5]

وكذلك قصة عـمر فى الصـيام .. فلمـا جامع زوجـته بعـد الانتهـاء (كان ذلك مـحـرما فى أول الإسلام) فنزل قـوله عز وجل : ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون

(١) سورة المؤمنون آية ١٢.
(٢) سورة المؤمنون آية ١٤.
(٣) سورة المنافقون آية ٦.
(٤) سورة الأنفال آية ٥.
(٥) سورة البقرة آية ١٨٧.

أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾.

ولقى يهودى عمر بن الخطاب فقال له :

– إن جبريل الذى يذكره صاحبكم (يعنى رسول الله ﷺ) عدو لنا ..

فقال الفاروق : من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين .

فنزلت على لسان عمر بن الخطاب.

واختصم رجلان (أحدهما يهودى والآخر منافق) إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقضى بينهما فقال الذى قضى عليه (المنافق):

– ردنا إلى عمر بن الخطاب.

فأتيا إليه فقال الرجل (اليهودى) :

– قضى لى رسول الله ﷺ على هذا فقال : ردنا إلى عمر ..

فتساءل عمر بن الخطاب : أكذاك؟

قال الرجل الذى قضى عليه : نعم.

قال عمر بن الخطاب : مكانكما حتى أخرج إليكما ..

ثم خرج مشتملا على سيفه فضرب الرجل (المنافق) الذى قال : ردنا إلى عمر بسيفه فقتله. وأدبر الآخر فقال :

– يارسول الله قتل عمر والله صاحبى ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– ما كنت أظن أن يجترئ عمر على قتل مؤمن.

فأنزل الله تعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾[1] فأهدر دم الرجل المنافق وبرئ عمر بن الخطاب من قتله.

ودخل غلام عمر عليه وكان نائما فقال : اللهم حرم الدخول ..

فنزلت آية الاستئذان : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾[2]

لقد وافق عمر بن الخطاب ربه فى واحد وعشرين موضعا.

وذات ليلة سأل النبى عليه الصلاة والسلام أبا بكر :

– متى توتر – تصلى صلاة الوتر–؟

قال أبو بكر الصديق : أول الليل بعد العتمة..

ثم نظر إلى عمر وسأله :فأنت ياعمر؟

قال الفاروق : آخر الليل ..

فقال رسول الله ﷺ :

أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالوثقى، وأما أنت ياعمر فأخذت بالقوة ..

وذات يوم أقبل أعرابى من أهل البادية على رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه فقال الأعرابى فى غلظة لنبى الله :

– أعطنى، فليس المال مالك ولا مال أبيك. فتبسم نبى الرحمة عليه الصلاة والسلام وقال : صدقت إنه مال الله ..

فغضب عمر بن الخطاب وهم أن يبطش بالأعرابى فرده رسول الله ﷺ برفق ومازال على شفتيه بسمته الرقيقة وقال :

– دعه ياعمر إن لصاحب الحق مقالا ..

---

(١) سورة النساء آية ٦٥.

(٢) سورة النور آية ٢٧.

ودخل عمر بن الخطاب مع النبى عليه الصلاة والسلام مسجده فرأى رجلا توضأ فترك موضع الظفر على قدمه فأمره ﷺ أن يعيد الوضوء والصلاة ..

يقول عمر بن الخطاب :

– فرجع الرجل فأعاد الوضوء والصلاة.

وجاء الأسود بن سريع النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– يارسول الله إنى حمدت الله تعالى بمحامد ومدح وإياك (مدحتك أيضا بعد أن حمدت الله ومدحته).

فقال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى يحب المدح هات ما امتدحت به ربك تعالى.

فجعل الأسود بن سريع ينشده .. فجاء رجل يستأذن آدم (الذى يميل لونه إلى السواد) طوال أعسر أيسر (يعمل بكلتا يديه اليمنى واليسرى) فاستنصت للأسود كما يصنع بالهر (أى أن رسول الله ﷺ ربت عليه كما ربت على الهر فى عطف ورقة) فدخل الرجل فتكلم ساعة ثم خرج ثم أخذ الأسود ينشد النبى عليه الصلاة والسلام .. ثم رجع الرجل بعد فاستنصت النبى ﷺ فتساءل الأسود بن سريع :

– من ذا الذى تستنصتنى له ؟

فقال رسول الله ﷺ : هذا رجل لا يحب الباطل هذا عمر بن الخطاب .

ثم جلس رسول الله ﷺ يحدث أصحابه فقال : أتيت بكفة ميزان فوضعت فيه وجئ بأمتى فوضعت فى الكفة الأخرى فرجحت بأمتى ثم رفعت فجئ بأبى بكر فوضع فى كفة الميزان فرجح بأمتى ثم رفع أبو بكر وجئ بعمر بن الخطاب فوضع فى كفة الميزان فرجح بأمتى ثم رفع الميزان إلى السماء وأنا أنظر.

فهنأ معاذ بن جبل وأبو أمامة أبا بكر وعمر.

ولما نزل قوله تعالى : ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾[1] أرسل رسول الله ﷺ إلى أهل قباء – من الأنصار – فسألهم :

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٨.

- ما هذا الطهور الذى أثنى عليكم به؟

فقالوا: يارسول الله ماخرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : هو هذا ..

وأتى رسول الله ﷺ الأنصار ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فتساءل:

- أمؤمنون أنتم؟

فسكت القوم .. ثم أعاد سؤاله .. فقال عمر بن الخطاب :

- يارسول الله إنهم لمؤمنون وأنا منهم ..

فقال عليه الصلاة والسلام : أتؤمنون بالقضاء؟

قالوا : نعم.

قال ﷺ : وتصبرون على البلاء؟

قالوا : نعم .

قال عليه الصلاة والسلام : أتشكرون على الرخاء؟

قالوا : نعم ..

قال ﷺ : مؤمنون ورب الكعبة.

هكذا يكون المؤمن، وكان عمر كل أحواله صبر وشكر ورضى، وكان يحث الناس على أن يكونوا مثله فلا يجزعون لبلية ولا يألمون من قرح ولا يسخطون على ما يصيبهم من محن.

وذات ضحى خرج النبى عليه الصلاة والسلام على أصحابه وهم جلوس فى مسجده فقال :

- بينا أنا نائم رأيت أنى أنزع على حوضى أسقى الناس فأتى أبو بكر فأخذ الدلو من يدى ليروحنى فنزع ذنوبين، وفى بعض نزعه ضعف والله يغفر له، ثم

أخذها عمر فاستحالت بيده غربا (الدلو العظيمة) فلم أر عبقريا من الناس يفرى (فرى الشئ قطعه لإصلاحه) فريه حتى ضرب الناس بعطن (الأعطان والمعاطن : مبارك الإبل عند الماء).

وقال رسول الله ﷺ : إن من عباد الله لأناسا ماهم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله.

قال عمر بن الخطاب : يارسول الله تخبرنا من هم؟

قال ﷺ : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم .. ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(١)

يقول عبد الله بن عباس : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى باهى (فاخر) ملائكته بالناس يوم عرفة عامة وباهى بعمر بن الخطاب خاصة، وما فى السماء ملك إلا وهو يوقر عمر وما فى الأرض شيطان إلا وهو يفر من عمر.

ويقول أبو بكر الصديق : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر.

ويقول عبد الله بن عمر : قال لى أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة.

وخطب عمر بن الخطاب إلى قوم من قريش بمدينة رسول الله ﷺ عليه وسلم فردوه وخطب المغيرة بن شعبة الثقفى إليهم فزوجوه فأخبر ابن الخطاب النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– لقد ردوا رجلا ما فى الأرض خير منه.

---

(١) سورة يونس آية ٦٢.

كان رسول الله ﷺ من أتباعه السمع والبصر والفؤاد، بل كان نور العيون التى يبصرون بها، ونبض القلوب التى تمسك عليهم الحياة .. فلما انتقل النبى عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى وصك الخبر أذنى عمر لم يصدق مسمعه فكمده الحزن، وعقد الهول لسانه، وذهب الدهش بعقله، ونزل النبأ عليه كالصاعقة .. وأفاق عمر على قول أبى بكر وهو يعلن أن النبى عليه الصلاة والسلام قد مات. فهل مات رسول الله ﷺ فى صورة مفاجئة لأصحابه؟ لقد مرض وأمر أبا بكر أن يصلى بالناس .. وهل رسول الله إلا كسائر البشر؟ لماذا أمسك عمر سيفه وهدد كل من قال : إن رسول الله ﷺ قد مات؟ كان حزن وهلع عمر أعظم من حزن الناس كلهم ...؟

عمر .. وخليفة رسول الله :

وأبى عمر بن الخطاب إلا أن يكون بجوار أبى بكر فى هذا الجو الخانق المشحون بالحزن والأسى والوحشة .. فتقدم ابن الخطاب وبايع أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ .. وبايعه المسلمون. وكان الخليفة الأول لا يقوم على أمر من أمور الخلافة حتى يستشير عمر بن الخطاب، فقد كانا متلازمين حتى من كان يريد الوقيعة يسأل الصديق متجاهلا :

- والله ما ندرى أأنت الخليفة أم عمر؟

فيقول أبو بكر الصديق : هو لو كان شاء.

وواجه أبو بكر الفتن والمصاعب منذ الوهلة الأولى فقد ارتدت كثير من القبائل عن الإسلام وامتنع كثير من المسلمين عن إخراج الزكاة، وإن الذى تولى كبر هذه الفتنة ثلاثة نفر ادعوا النبوة وهم : مسيلمة بن حبيب الكذاب باليمامة، وكان أظهر أمره قبيل وفاة رسول الله ﷺ، ثم طلحة بن خويلد فى بنى أسد ثم سجاح. فبعث أبو بكر الجيوش لقمع الفتنة .. وتحقق لخليفة رسول الله ﷺ ما أراد .. ولما بلغ عمر بن الخطاب مقتل أخيه زيد فى معركة اليمامة قال :

- رحم الله زيدا سبقنى إلى الحسنيين .. أسلم قبلى واستشهد قبلى.

ونظر عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله وقال :

– ألا هلكت قبل زيد؟ هلك زيد وأنت حى؟ ألا واريت وجهك عنى؟

فقال عبد الله بن عمر : سأل الله الشهادة فأعطيها وجهدت أن تساق إلى فلم أعطها.

عقب معركة اليمامة :

– ولم يكن عمر بن الخطاب قاضيا بين الناس فى عهد أبى بكر فحسب، كان وزير أبى بكر يساعده ويستشيره فيما عرض له من الأمور. فقد جاء عمر إلى الخليفة الأول وقال له:

– إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإنى لأخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه وإنى لأرى أن يجمع القرآن ..

فقال أبو بكر الصديق : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟

فقال عمر بن الخطاب : هو والله خير..

يقول أبو بكر الصديق : فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى فرأيت الذى رأى عمر.

وأرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت الأنصارى فجاء وعمر عند خليفة النبى عليه الصلاة والسلام فقال لزيد :

– إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه.

يقول زيد بن ثابت الأنصارى : فوالله لو كلفنى نقل جبل ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن .

لقد كان يعلم عظم المسئولية الملقاة على عاتقه .. فتساءل :

– كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبى عليه الصلاةوالسلام؟

فقال أبو بكر : هو والله خير..

فلم يزل زيد بن ثابت يراجع خليفة رسول الله ﷺ، حتى شرح الله صدر زيد بن ثابت كما شرح من قبل صدر أبى بكر وعمر بن الخطاب.

وتتبع زيد القرآن يجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال.

يقول على بن أبى طالب :

– أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر .. إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين لوحين.

وجاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزارى إلى خليفة رسول الله ﷺ فقالا:

– ياخليفة رسول الله إن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة فإن رأيت أن تقطعناها. فأجابهما أبو بكر وكتب لهما وأشهد القوم وعمر بن الخطاب ليس فيهم فانطلق الأقرع وعيينة إلى عمر ليشهداه فيه. فنظر عمر إلى الكتاب ولما قرأ ما به تفل فيه ومحاه فتذمرا (غضبا) له وقالا له مقالة سيئة فقال ابن الخطاب:

– إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل، إن الله أعز الإسلام. اذهبا فاجهدا على جهدكما لا رعى الله عليكما إن رعيتما.

فأقبل الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن إلى خليفة رسول الله ﷺ وهما يتذمران فقالا :

– لاندرى والله أأنت الخليفة أو عمر؟

فقال الخليفة الأول وقد أدرك مغزى قولهما : لا بل هو لو شاء.

فجاء عمر بن الخطاب وهو مغضب حتى وقف على أبى بكر فقال : أخبرنى عن هذا الذى أقطعتهما .. أرض هى لك خاصة أو للمسلمين عامة؟

فقال أبو بكر : بل للمسلمين عامة .

فتساءل عمر بن الخطاب : فما حملك على أن تخص بها هذين؟

قال خليفة رسول الله ﷺ : استشرت الذين حولى فأشاروا على بذلك وقد قلت لك : إنك أقوى منى على هذا فغلبتنى.

وصية أبي بكر الصديق :

ولما مرض أبو بكر استشار عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان فى استخلاف عمر بن الخطاب فكان هواهما مع أبى بكر فبعث أبو بكر إلى عمر فلما جاء قال له :

– إنى أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه، فاتق الله ياعمر بطاعته، وأطعه بتقواه، فإن التقى أمر محفوظ ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط به عمله. فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تجف (تخف) يديك من دمائهم وأن تضمر بطنك من أموالهم وأن تكف لسانك عن أعراضهم فافعل ولا قوة إلا بالله.

تلك كانت وصية الخليفة الأول لعمر بن الخطاب.

ولما حضر أبا بكر الموت أوصى :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهد من أبى بكر الصديق عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر، ويتقى الفاجر، ويصدق الكاذب، إنى استخلفت من بعدى عمر بن الخطاب، فإن عدل فذلك ظنى فيه وإن جار وبدل فالخير أردت، ولا أعلم الغيب ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾(١).

وبعث خليفةرسول الله ﷺ إلى عمر بن الخطاب فدعاه .. ثم قال :

– ياعمر أبغضك مبغض وأحبك محب، وقدما يبغض الخير ويحب الشر..

فقال عمر بن الخطاب : لا حاجة لى فيها.

فقال أبو بكر الصديق: لكن لها بك حاجة، وقد رأيت رسول الله ﷺ وصحبته، ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه حتى أن كنا لنهدى لأهله فضل ما يأتينا

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٧.

منه، ورأيتني وصحبتي وإنما اتبعت أثر من كان قبلي والله مانمت فحلمت، ولا شهدت فتوهمت، وإني لعلى طريق ما زغت. تعلم ياعمر أن لله حقا في الليل لا يقبله بالنهار وحقا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق، وحق لميزان أن يثقل لا يكون فيه إلا الحق، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل، وحق لميزان أن يخف لا يكون فيه إلا الباطل. إن أول ما أحذرك نفسك، وأحذرك الناس فإنهم قد طمحت أبصارهم وانتفخت أهواؤهم، وإن لهم الخيرة عن زلة تكون فإياه تكونه فإنهم لن يزالوا خائفين لك فرقين منك ما خفت الله وفرقته. وهذه وصيتي فلا يك غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك. وإن أنت ضيعت وصيتي فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه.

أمير المؤمنين :

ومات أبو بكر .. وبايع الناس عمر بن الخطاب فقال عبد الله بن مسعود :

– أفرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين استخلف عمر، وصاحبة موسى حين قالت استأجره، والعزيز حين تفرس يوسف فقال لامرأته : أكرمي مثواه.

وصعد عمر بن الخطاب على منبر رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال مستهلا خلافته:

بلغني أن الناس هابوا شدتي، وخافوا غلظتي وقالوا : قد كان عمر يشتد ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه؟ ألا من قال هذا فقد صدق. فإني كنت مع رسول الله ﷺ عونه وخادمه وكان عليه الصلاة والسلام من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله تعالى : ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يغمدني أو ينهاني عن أمر فأكف، وإلا أقدمت على الناس لمكان لينه فلم أزل مع رسول الله على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض، والحمد لله على ذلك كثيرا، وأنا به أسعد. ثم قمت ذلك المقام مع أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ بعده، وكان قد علمتم في كرمه ودعته (الدعة : الخفض) ولينه، فكنت خادمه كالسيف، عونه بين يديه، أخلط شدتي بلينه، إلا أن يتقدم إلي فأكف وإلا أقدمت. فلم أزل على ذلك

حتى توفاه الله وهو عنى راض والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد، ثم صار أمركم إلى اليوم، وأنا أعلم فسيقول قائل : كان يشتد علينا والأمر إلى غيره، فكيف به إذا صار إليه ؟ واعلموا أنكم لا تسألون عنى أحدا قد عرفتموني وجربتموني وعرفتم من سنة نبيكم ما عرفت وما أصبحت نادما على شئ أكون أحب أن أسأل رسول الله ﷺ عنه إلا وقد سألته، فاعلموا أن شدتى التى كنتم ترون ازدادت أضعافا إذا صار الأمر إلىّ على الظالم والمعتدى والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويهم، وإنى بعد شدتى تلك واضع خدى بالأرض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم، وإنى لا آبى (امتنع) إن كان بينى وبين أحد منكم شئ من أحكامكم أن أمشى معه إلى من أحببتم منكم فلينظر فيما بينى وبينه أحد منكم. ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذونى بها : لكم على ألا أجتبى شيئا من خراجكم وما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم على إذا وقع فى يدى ألا يخرج منى إلا فى حقه، ولكم على أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، وأسد ثغوركم، ولكن على ألا ألقيكم فى المهالك، وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم. فاتقوا الله عباد الله وأعينونى على أنفسكم بكفها عنى، وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم.

ثم نزل .. ثم قال : كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله ﷺ فكيف يقال لى خليفة خليفة رسول الله يطول هذا؟

فقال له المغيرة بن شعبة الثقفى :

- أنت أميرنا ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين.

قال عمر بن الخطاب : فذاك إذن.

فكان عمر بن الخطاب أول من سمى أمير المؤمنين. وكانت خلافته فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

وذهب عمر بن الخطاب إلى دار أبى بكر يسأل زوجته أسماء بنت عميس : كيف كان أبو بكر يعبد ربه حين يخلو بنفسه؟

فقالت أسماء بنت عميس : كان إذا جاء وقت السحر قام فتوضأ وصلى ... ثم ظل يصلى .. يتلو القرآن ويبكى ويسجد ويبكى ويدعو ويبكى. وكنت آنئذ أشم فى البيت رائحة كبد تشوى.

فبكى أمير المؤمنين عمر وقال : ألا لابن الخطاب مثل هذا؟

لقد كان أبو بكر الصديق ربانيا فى كل مشاعره وسلوكه .. وكان عمر بن الخطاب يعبد الله كأنه يراه.

ثم قام عمر فقال : أيها الناس .. أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بى، وخلفت فيكم بعد صاحبى، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والأمانة فمن يحسن نزده حسنا ومن يسئ نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم.

لقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لا يخاف فى الله لومة لائم، وكيف يخشى إلا الله وهو صاحب الفطرة السليمة التى ترعرعت فى كنف النبوة فوجدت مجالا صالحا فشرح الله صدره لمحاسن الأمور. وكان أول قرار اتخذه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هو عزل قادة الجيوش الذين طارت شهرتم فى الأمصار مثل خالد بن الوليد فقال عمر :

– لا يلى لى عملا أبدا..

وكتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى عبيدة الجراح :

إن أكذب خالد نفسه فهو الأمير على ما كان عليه، وإن لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ماهو عليه، وانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله.

وأبى خالد بن الوليد أن يكذب نفسه .. فأمر أبو عبيدة بن الجراح فنزع عمامته وقاسمه ماله. كما عزل المثنى بن حارثة الشيبانى وسعد بن أبى وقاص .. وقد علل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ذلك بأنه خاف أن يفتن الناس بهم فيظنوا أنهم ينتصرون بهم لا بالله.

وفتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق ما بين صلح وعنوة كما فتح حمص ويعلبك صلحا، والبصرة والأبلة كلاهما عنوة.

وجمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الناس على صلاة التراويح فكان أول من سن قيام شهر رمضان جماعة، فقد أمر أبو حفص (كناه بهذا الاسم رسول الله ﷺ) أبا خيثمة وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل أن يصلوا بالناس فى شهر رمضان. كما أمر أن تضاء المساجد فى رمضان فكان أول من نورها فى رمضان.

وخرج ابن الخطاب يوما من المسجد فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله ﷺ يبكى فتساء ل أمير المؤمنين عمر :

- ما يبكيك؟

قال معاذ بن جبل : حديث سمعته من رسول الله ﷺ ..

فسأله الفاروق عن هذا الحديث فقال معاذ:

قال النبى عليه الصلاة والسلام : اليسير من الربا شرك - شرك فى العمل لا فى الاعتقاد ويسمى الشرك الأصغر وهو محبط للعمل - ومن عادى أولياء الله - وهم الذين آمنوا وكانوا يتقون - فقد بارز الله بالمحاربة. إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء - الذين يجتهدون فى إخفاء أعمالهم بعيدا عن الرياء وحب الظهور - الذين إن غابوا لم يفتقدوا - لا يسأل عنهم أحد لعدم شهرتهم - وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى - لأن الله نور بصائرهم وانكشفت لهم مواطن الهدى - يخرجون من كل غبراء مظلمة - ينجون ويتخلصون من كل ضلالة مظلمة.

ولو شاء أمير المؤمنين عمر أن يعيش فى نعيم مباح ويظفر بالمناعم المباحة لفعل ولكن عظمة نفسه واستقامة نهجه حملته على أن يلتزم الكفاف ويختار الشظف ..

كان عمر الملهم جالسا إلى طعامه يوما فدخل عليه حفص بن أبى العاص فرأى القديد اليابس الذى يأكل منه أمير المؤمنين عمر، فلما دعاه إلى الطعام اعتذر شاكرا فهل يجشم معدته مشقة هضم قديد يابس؟ وأدرك الفاروق سر عزوفه عن طعامه فتساءل : ما يمنعك عن طعامنا؟

فقال حفص بن أبى العاص : إنه طعام جشب غليظ وإنى راجع إلى بيتى فأصيب طعاما لينا قد صنع لى .

فقال عمر بن الخطاب : تراني عاجزا عن أن آمر بصغار المعزى فيلقى عنها شعرها وآمر برقاق البر فيخبز خبزا وآمر بصاع من زبيب فيلقى فى سمن حتى إذا صار مثل عين الحجل صب عليه الماء فيصبح كأنه دم غزال فآكل هذا، وأشرب هذا؟؟

فقال حفص وهو يضحك : إنك بطيب الطعام لخبير ..

فقال عمر بن الخطاب : والذى نفسى بيده لولا أن تنقص حسناتى لشاركتكم فى لين عيشكم، ولو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأرفهكم عيشا، ولنحن أعلم بطيب الطعام من كثير من آكليه، ولكننا ندعه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها .. وإنى لأستبقى طيباتى لأنى سمعت الله تعالى يقول عن أقوام ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾(١)

لقد منعه حياؤه من الله عز وجل عن كل ترف ونعيم فلم يأكل إلا تقوتا ولم يتناول من الطعام إلا كفافا .. على الرغم من أنه أمير المؤمنين.

لماذا سمي الفاروق؟

سأل عبد الله بن عباس أمير المؤمنين عمر :

– لأى شئ سميت الفاروق ؟

قال عمر بن الخطاب : أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام، فخرجت إلى المسجد فأسرع أبو جهل إلى النبى عليه الصلاة والسلام يسبه، فأخبر حمزة فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التى فيها أبو جهل فاتكأ على قوسه مقابل أبى جهل فنظر إليه فعرف أبو جهل الشر فى وجهه فقال : مالك يا أبا عمارة؟ فرفع القوس فضرب بها أخدعه فقطعه، فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر .. ورسول الله ﷺ مختف فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى، فانطلق حمزة فأسلم فخرجت بعده بثلاثة أيام فإذا فلان بن فلان المخزومى فقلت : أراغب عن دين آبائك، واتبعت دين محمد؟ فقال : إن فعلت فقد فعله من هو أعظم

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٠.

عليك حقا منى، قلت : ومن هو؟ قال أختك وختنك، فانطلقت فوجدت الباب مغلقا وسمعت همهمة ففتح الباب فدخلت فقلت : ما هذا الذى أسمع عندكم؟ قالوا : ماسمعت شيئا. فمازال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختنى فضربته ضربة فأدميته، فقامت إلى أختى فأخذت برأسى وقالت: قد كان ذلك على رغم أنفك. فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت : أرونى هذا الكتاب، فقالت أختى : إنه لا يمسه إلا المطهرون، فإن كنت صادقا فقم واغتسل، فقمت فاغتسلت وجئت فجلست فأخرجوا إلى صحيفة فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فقلت : أسماء طيبة طاهرة ﴿طه * ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾(١) إلى قوله تعالى ﴿له الأسماء الحسنى﴾ فتعظمت فى صدرى وقلت : من هذا فرّت قريش ؟ فأسلمت . وقلت أين رسول الله ﷺ ؟ قالت : فإنه فى دار الأرقم ، فأتيت الدار فضربت الباب فاستجمع القوم فقال حمزة : مالكم ؟ قالوا : عمر: قال: وإن كان عمر افتحوا له الباب، فإن أقبل منه وإن أدبر قتلناه، فسمع ذلك رسول اللّه ﷺ فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة. قلت : يارسول الله ألسنا على الحق؟ قال : بلى، قلت : ففيم الإخفاء؟ فخرجنا صفين أنا فى أحدهما وحمزة فى الآخر، حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلى وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها، فسمانى رسول الله ﷺ الفاروق يومئذ لأنى فرقت بين الحق والباطل.

وقدم أبو هريرة على مدينة رسول الله ﷺ من عند أبى موسى الأشعرى عامله على البصرة فقال له أمير المؤمنين عمر :

– بماذا قدمت ؟

قال أبو هريرة : قدمت بثمانمائة ألف درهم ..

فقال أمير المؤمنين عمر : أطيب ويلك؟

فقال أبو هريرة : نعم ..

فبات عمر بن الخطاب ليله أرقا (ذهب عنه النوم فى الليل) حتى إذا نودى بصلاة الصبح قالت له امرأته:

---

(١) سورة طه أول السورة.

– ما نمت الليلة ..

قال عمر بن الخطاب : كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس ما لم يكن يأتيهم مثله مذ كان الإسلام فما يؤمن عمر لوهلك وذلك المال عنده فلم يضعه فى حقه.

كان يعيش قلقا مؤرقا لاينام إلا غبا ولا يأكل إلا تقوتا، وليس يلبس إلا خشنا، فرق أهل بيته لحاله وقالوا :

– ارفق بنفسك ونم قليلا ..

فقال عمر : إذا نمت الليل أضعت نفسى وإذا نمت النهار ضيعت الرعية ..

فلما صلى الصبح اجتمع إليه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم :

إنه قد جاء الناس الليلة ما لم يأتهم مثله مذ كان الإسلام وقد رأيت رأيا فأشيروا علىّ.

قالوا : ماذا ترى يا أمير المؤمنين؟

قال عمر بن الخطاب : أكيل للناس بالمكيال ..

فقالوا : لا تفعل يا أمير المؤمنين، الناس يدخلون فى الإسلام ويكثر المال، ولكن أعطهم على كتاب فكلّما كثر الناس وكثر المال أعطيتهم عليه ..

فتساءل عمر بن الخطاب :

متى ؟

فقال على بن أبى طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تمسك منه شيئا ..

وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيرا يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يلتبس الأمر .

قال الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدون ديوانا وجنّد جنودا .

فـراقت فكرة تدوين الـديوان للعطايا لـعـمــر .. فـدعــا عـقـيل بـن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نساب العرب فقال لهم عمر :

– اكتبوا الناس على منازلهم..

فكتبوا فـبدءوا ببنى هاشم، ثم أتبعـوهـم أبا بكر وقومه ثم عمـر وقومه على الخلافة فلما نظر عمر فيه قال :

– ابدءوا بقـرابة النبى عليه الـصلاة والسـلام الأقرب فـالأقرب حـتى تضعـوا عمر حيث وضعه الله.

وكتب أمير المؤمنين عمر إلى حذيفة بن اليمان :

– أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم.

فكتب حذيفة إليه : إنا قد فعلنا وبقى شئ كثير.

فكتب إليه عمـر بن الخطاب : إنه فيؤهـم الذى أفاء الله عليـهم ليس هـو لعمر ولا لآل عمر اقسمه بينهم.

يقـول عبـد الله بن مـسـعـود : إن إسـلام عـمـر بن الخطاب كـان فـتـحـا وإن هـجرته كانت نصرا وإن إمارته كانت رحمة.

لقد كان الفاروق يحاسب نفسه ويخشى الله حق تقاته وكان يقول :

– أيها الـنـاس زنوا أنفسكم قـبل أن توزنوا وحاسبـوها قبل أن تحـاسبـوا فإنه أهـون عليـكم فى الحـسـاب غـدا أن تحـاسـبـوا أنفـسـكم وتزينوا للعـرض الأكـبـر ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾. (١)

وفى عام ستة عشر فتـحت الأهـواز والمدائن التى هـى مستقر ملك كسرى .. فبعث سعد بن أبى وقاص إلى المدينة بسـاط كسـرى ولبس كسـرى فنظر عمر بن الخطاب إلى ذلك وقال :

– إن قوما أدوا هـذا لأمـناء ..

فقال على بن أبى طالب :

– إنك عففت فعفت رعيتك ولو رتعت لرتعت.

---

(١) سورة الحاقة آية ١٨.

ثم نظر أمير المؤمنين عمر إلى ملابس كسرى وتاجه وهو مكلل بالجواهر النفيسة .. ثم قبض على مقبض سيف كسرى وقال :

- الحمد لله الذى جعل سيف كسرى فيما يضره ولا ينفعه.

ووزع أمير المؤمنين عمر الأموال والغنائم على المسلمين ..

يقول عمر بن الخطاب : قال رسول الله ﷺ : إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه فإن أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا لصاحبه، فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة وللبادئ منهما تسعون وللمصافح عشرة .

وكان أمير المؤمنين عمر إذا ذهب إلى السوق قال :

- قال رسول الله ﷺ : الذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء والبر بالبرّ ربا إلا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا إلا هاء هاء.

ورجع عمر إلى داره ذات ضحى فوجد رقعة من سجاد صغيرة لا تزيد عن متر وبعض متر فسأل امرأته عاتكة :

- أنىٌ لك هذه؟

قال زوجة أمير المؤمنين عمر :

- أهداها إلينا أبو موسى الأشعرى.

فقال عمر فى عجب : أبو موسى ؟ إيتونى به.

وأقبل عبد الله بن قيس تسبقه مخاوفه فلما رأى ظلال الغضب تكسو وجه عمر قال :

- لا تعجل على يا أمير المؤمنين ..

فرمى أمير المؤمنين عمر السجادة نحو أبى موسى الأشعرى وقال :

- ما يحملك على أن تهدى إلينا؟ خذها فلا حاجة لنا فيها.

وقام أمير المؤمنين عمر خطيبا فتساءل :

ماذا تقولون لو ملت برأسى هكذا ...

فقال رجل : إذن نقول بالسيف هكذا..

فقال عمر بن الخطاب : إياى تعنى بقولك؟

فقال الرجل فى إصرار : إياك أعنى بقولى .

فقال عمر فى ارتياح : يرحمك الله ... والحمد لله الذى جعل فيكم من يقوم عوجى.

لقد كان عمر بن الخطاب يشتد ثم يلين للناس يحركه خوفه وحرصه الشديد على أن يلقى العزيز الجبار صادق الحجة .. قال لعبد الرحمن بن عوف ذات ليلة :

– ياعبد الرحمن لقد لنت للناس حتى خشيت الله فى اللين، ثم اشتددت حتى خشيت الله فى الشدة.

وأيم الله لأنا أشد منهم فرقا وخوفا .. فأين المخرج؟

ثم بكى الفاروق . فقال عبد الرحمن بن عوف :

– أف لهم من بعدك .

لقد كان عمر يسمع أصحاب رسول الله ﷺ يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر فلم يغضب بل كان يقول لهم:

– رحم الله امرءا أهدى إلى عيوبى.

وعلى الرغم من غلظته وشدته فإنه كان يسير فى طرقات مدينة رسول الله ﷺ فإذا لقى صبيا أخذ بيده وقال له وعيناه تفيضان من الدمع :

– ادع لى يابنى فإنك لم تذنب بعد.

أى إنسان يخشى الله مثل عمر؟ لقد كان إذا استشعر أدنى تقصير صاح كالطفل الذى فقد أمه فى زحام السوق :

– ياليت أم عمر لم تلد عمر.

وكان أمير المؤمنين عمر يقول :

- أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامها حديد.

وقدم كعب الأحبار - كان من أحبار اليهود وأسلم - على مجلس أمير المؤمنين عمر فقال له:

- حدثنى عن الموت .

فقال كعب الأحبار : كأنه غصن شوك أدخل فى جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم أخذها رجل شديد الجذب فقطع منها ما قطع وأبقى منها ما بقى..

كان يخشى لقاء الله عز وجل، وماذا يقول له حين يقف بين يديه؟ لذلك كان لا يكف عن العس فى شوارع المدينة ليلا ليتفقد أحوال الرعية. . فقد قدم المدينة بعض التجار فى إحدى الأمسيات وخيموا عند مشارفها فاصطحب أبو حفص عبد الرحمن بن عوف ليتفقد أمر القافلة، وكان الليل قد تصرم وتنفس الهزيع الأخير منه. وجلس أمير المؤمنين وصاحبه على مقربة من القافلة .. ثم قال عمر لعبد الرحمن:

- فلنمض بقية الليل هنا نحرس ضيوفنا .

وبينما هما جالسان إذ سمع صوت بكاء صبى فانتبه أمير المؤمنين وصمت. وانتظر عمر أن يكف الصبى عن بكائه ولكنه لم يفعل بل تمادى فيه ... فانطلق نحو صوت الصبى فوجد أمه تنهنهه فنهرها الفاروق وقال :

- اتقى الله وأحسنى إلى صبيك.

ثم رجع عمر بن الخطاب إلى مكانه يحرس القافلة. ولكن بعد قليل عاود الصبى البكاء فأسرع عمر نحوه ونادى أمه وقال لها :

- قلت لك اتقى اللّه وأحسنى إلى صبيك.

ثم عاد إلى مجلسه بجانب عبد الرحمن بن عوف .. بيد أنه ما كاد يستقر حتى زلزله مرة أخرى بكاء الصبى فذهب إلى أمه وقال لها :

- ويحك إنى لأراك أم سوء. ما لصبيك لا يقر له قرار؟

فقالت المرأة وهى لا تعرف من تخاطب :

- ياعبد الله قد أضجرتنى .. إنى أحمله على الفطام فيأبى ..

فتساءل أمير المؤمنين عمر : ولم تحملينه على الفطام؟

قالت المرأة : لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم ..

ارتجف جسد عمر وكأنما أصابته حمى فقال :

- وكم له من العمر؟

قالت الأم : بضعة أشهر ..

قال أمير المؤمنين عمر : ويحك .. لا تعجليه .

وصلى عمر بالناس الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء فلما انتهى من صلاته قال :

- يا بؤسا لعمر .. كم قتل من أولاد المسلمين؟

ثم أمر مناديا ينادى فى المدينة : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض من بيت المال لكل مولود فى الإسلام.

ثم كتب الفاروق إلى جميع ولاته بهذا فى الأمصار.

فتح بيت المقدس :

وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى أهل إيليا (بيت المقدس) يدعوهم إلى الإسلام أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه فركب إليهم فى جنوده، واستخلف على دمشق سعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل.. ثم حاصر أبو عبيدة بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. فكتب أبو عبيدة إليه بذلك فاستشار الفاروق الناس فى ذلك فأشار ذو النورين بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم، وأشار على بن أبى طالب بالسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين فى حصارهم بينهم.. فهوى أمير المؤمنين عمر ما قال على ولم يهو ما قال عثمان بن عفان.

استخلف أمير المؤمنين عمر على بن أبى طالب على مدينة رسول الله ﷺ وركب على فرس ليسرع السير إلى الشام وسار بالجيوش حتى قدم الجابية فنزل بها فقال :

أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تكفوا أمر دنياكم واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حى ولا بينه وبين الله هوادة فمن أراد لحب (طريق) وجه الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن.

وصالح أمير المؤمنين عمر أهل الجابية .. ثم سار الفاروق عن طريق إيلياء على جمل أورق تلوح صلعته للشمس ليس عليه قلنسوة ولا عمامة تصطفق رجلاه بين شعبتى الرحل بلا ركاب، وطاؤه كساء أنبجانى ذو صوف هو وطاؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل، حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفا هى حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه.

وجئ لأمير المؤمنين عمر بطعام طيب مختلف ألوانه فلم يمد يده نحوه ولكنه نظر إليه وقال :

– كل هذا لنا، وقد مات إخواننا فقراء لا يشبعون من خبز الشعير؟

ثم أشار بيده فرفع الطعام وقال :

– ادعوا إلىّ رأس القوم ..

فدعوا إليه الجلوس فقال أمير المؤمنين عمر :

– اغسلوا قميصى وخيطوه وأعيرونى ثوبا أو قميصا ..

فأتى بقميص كتان فتفرسه عمر وقال : ماهذا؟

قالوا : كتان.

فتساءل الفاروق : وما الكتان؟

فأخبروه فنزع قميصه فغسل ورقع وأتى به فنزع قميصهم ولبس قميصه.

فقال الجلوس لعمر : أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل فلو لبست شيئا غير هذا وركبت برذونا لكان ذلك أعظم فى أعين الروم.

فقال عمر بن الخطاب : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلا.

وأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه فجعل يهملج (الهملجة : حسن سير الدابة فى سرعة وبخترة) فصاح عمر :

– احبسوا احبسوا ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا ...

ثم جعل يضرب وجهه ويقول : لا علّم الله من علّمك هذا من الخيلاء.

ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده .. وأتى بجمله فركبه..

ولقى أمير المؤمنين عمر رجلا من يهود فقال :

– السلام عليك يا فاروق .. أنت صاحب إيلياء .. لا والله لا ترجع حتى يفتح الله عليك بيت المقدس.

وتعرضت له مخاضة فنزل عمر بن الخطاب عن جمله ونزع موقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره فقال أبو عبيدة بن الجراح :

– قد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض. صنعت كذا وكذا.

فصك عمر بن الخطاب صدره وقال :

– أو لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة؟ إنكم كنتم أذل الناس وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله.

وصالح أمير المؤمنين عمر نصارى بيت المقدس:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها. إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزهم ولا من طيبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم .

ولا يضر أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم. وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية. وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان. وارتفع صوت أمير المؤمنين عمر :

– لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك.

فلبى المسلمون وراءه.

ودخل عمر بن الخطاب المسجد الأقصى من الباب الذى دخل منه النبى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء .

ثم قال : ارقبوا لى كعبا ..

ثم قصد أمير المؤمنين عمر المحراب.. محراب داود عليه السلام، وكان ذلك ليلا فصلى فيه. ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة. فتقدم فصلى بالناس، وقرأ بهم سورة ص وسجد فيها. ثم قرأ بهم فى الثانية صدر بنى إسرائيل (سورة الإسراء) ثم ركع .. ثم انصرف.

ثم سأل كعبا : أين ترى أن نجعل المصلى؟

قال كعب : إلى الصخرة ..

فقال الفاروق : ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعك نعليك..

فقال كعب : أحببت أن أباشره بقدمى ..

فقال ابن الخطاب : قد رأيتك .. بل نجعل قبلته صدره.

ثم قام من مصلاه إلى كناسة دفنت بها الروم بيت المقدس فى زمان بنى إسرائيل. فلما صار إليهم أبرزوا بعضها وتركو سائرها .. قال عمر بن الخطاب:

– يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع.

وجثا أبو حفص ثم نقل التراب عن الصخرة فى طرف ردائه .. ونقل المسلمون معه ذلك ... واستعمل أمير المؤمنين عمر علقمة بن محرز على إيلياء (بيت المقدس) .. ثم رجع الفاروق إلى مدينة رسول الله ﷺ .

يقول عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا فى الجنة.

فسأل رجل أمير المؤمنين عمر :

– يا أبا حفص هل نزخرفها؟

فقال أمير المؤمنين عمر : قال رسول اللّه ﷺ : ماساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم.

ثم أردف :

– قال رسول اللّه ﷺ : من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار .

وسئل ابن الخطاب : ماذا نقول بعد الوضوء؟

فقال أمير المؤمنين عمر : قال رسول الله ﷺ : ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء.

وأراد أمير المؤمنين عمر أن يكتب التاريخ، فأشار عليه على بن أبى طالب أن يكتبه من الهجرة فوافق عمر بن الخطاب..

وذات يوم قدم على أمير المؤمنين جماعة من الناس نازحين فسألهم عما صادفهم من أخبار الناس فى البلاد التى مروا بها. فقالوا :

- أما بلد كذا فإنهم يرهبون أمير المؤمنين ويخافون بأسه، وأما بلد كذا فإنهم جمعوا أموالا كثيرة تنوء بها السفن وهم فى الطريق بها إليك، وأما بلد كذا فإن بها قوما صالحين يدعون الله لك ويقولون : اللهم اغفر لعمر وارفع درجته.

فقال عمر بن الخطاب : أما من خافنى فلو أريد بعمر الخير ما خيف منه، وأما الأموال التى تنوء بها السفن فلبيت مال المسلمين ليس لعمر ولا لآل عمر شئ، وأما الدعاء الذى سمعتم بظهر الغيب فذلك ما أرجوه.

لم يكن عمر يريد مالا ولا زينة ولا زخرفا ولا سلطانا ولكن كان يبغى مغفرة من ربه ورضوانا.

عمر .. والمعارضة :

ولم يكن الفاروق يخاف نقدا ولا معارضة بل كان يتخذهما مشعلا يستضئ به سبيل أمره..

كان أمير المؤمنين يخطب يوما فقال :

- لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال.

فقامت امرأة من بين صفوف النساء وقالت :

ما ذاك لك يا أمير المؤمنين.

فسألها أبو حفص : ولم ؟

قالت المرأة : لأن الله تعالى يقول : ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾؟[1] فلم يضجر أمير المؤمنين عمر حين جاءته المعارضة لافحة ولم يضق بها بل تهلل وجهه وقال :

- أصابت امرأة وأخطأ عمر.

ولم يمنع عمر بن الخطاب أحدا أن يبدى رأيه فى شجاعة .. فذات يوم تحدث الفاروق مع رجل وتمسك هذا الرجل برأيه وقال لأمير المؤمنين :

---

(١) سورة النساء آية ٢٠.

- اتق الله ياعمر ..

فسكت أبو حفص ولكن الرجل عاد فكررها ولم يتكلم عمر بن الخطاب فزجر الرجل أحد الجالسين وقال له :

- صه فقد أكثرت على أمير المؤمنين ..

وهنا تكلم الفاروق وقال لصاحبه :

- دعه فلا خير فيكم إذا لم تقولوها. ولا خير فينا إذا لم نسمعها.

لقد قال الرجل ما رآه حقا ورأى أمير المؤمنين (الحاكم) أنه من الواجب أن يسمع منه ويصغى إليه فكانت الشجاعة والعدالة.

وكان أمير المؤمنين يستشير أكابر الصحابة ولم يحرم أحدا من إبداء رأيه ومجادلته ومعارضته، فقد كان يفرح بالكلمة الجريئة المحقة .. فذات يوم صعد المنبر ليحدث المسلمين فى أمر خطير فبدأ خطبته بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

- اسمعوا يرحمكم الله.

ولكن سليمان الفارسي وقف وقال : والله لا نسمع .. والله لا نسمع.

فنظر إليه الفاروق وتساءل :ولم يا سلمان؟

قال سلمان الفارسى : ميزت نفسك علينا في الدنيا.

فقال عمر بن الخطاب : كيف؟

قال سلمان الفارسى : أعطيت كلا منا بردة واحدة وأخذت أنت بردتين .

ففرح عمر ووثبت عيناه بين صفوف الناس ينبش عن ابنه عبد الله ثم تساءل :

- أين عبد الله بن عمر؟

فأجاب عبد الله : أنا يا أمير المؤمنين..

فقال عمر للناس وسلمان :

- تعلمون أنى رجل طوال، ولقد جاءت بردتى قصيرة فأعطاني عبد الله بردته فأطلت بها بردتى.

فامتلأت عينا سلمان بدموع الغبطة والثقة وقال فى صدق وفرح :

- الحمد لله .. والآن قل نسمع ونطع يا أمير المؤمنين.

فهل بلغ من حرية المعارضة أن يحسبوا للحاكم عدد أثوابه وملابسه .. ويحاسبوه بهذه اللهجة الجريئة الصارمة على أعين الناس؟

وقد كانت هناك اختلافات فى بعض المسائل الفقهية بين ابن الخطاب وعلى ابن أبى طالب .. فقد أرسل أمير المؤمنين عمر إلى امرأة مغيبة - زوجها غائب - كان يدخل عليها فأنكر ذلك وقيل لها :

- أجيبى عمر ..

فقالت المرأة : يا ويلاه مالى ولعمر؟

وبينما هى فى الطريق إلى أمير المؤمنين عمر دخلت دارا فألقت ولدها .. فصاح الصبى صيحتين .. ثم مات. فاستشار عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله ﷺ فقال بعضهم :

- ليس عليك شئ إنما أنت وال مؤدب.

وصمت أبو الحسن فأقبل عليه الفاروق وسأله :

- ما تقول ؟

قال على بن أبى طالب : إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم وإن كانوا قالوا فى هواك فلم ينصحوا لك..

فقال عمر بن الخطاب : ماذا ترى يا أبا الحسن؟

قال على بن أبى طالب : أرى ديته - الصبى - عليك فإنك أنت أفزعتها -المرأة- وألقت ولدها بسببك ..

فأخذ أمير المؤمنين عمر برأى على بن أبى طالب وأمر أن يقسم دية الصبى على قومه. وهكذا نزل الفاروق على رأى أبى الحسن ولم يجد غضاضة فى العمل باجتهاده وهو أمير المؤمنين، وقد كان فى رأى غيره - بعض صحابة رسول الله - له منجاة.

وأراد عمر بن الخطاب أن يزيد فى المسجد النبوى الشريف فلقى العباس ابن عبد المطلب عم النبى عليه الصلاة والسلام فقال له :

- سمعت رسول الله ﷺ قبل موته يريد أن يزيد فى المسجد وأن دارك قريبة من المسجد فأعطنا إياها نزد فيه وأقطع لك أوسع منها.

فقال العباس بن عبد المطلب : لا أفعل.

فقال أمير المؤمنين عمر : إذن أغلبك عليها.

قال العباس بن عبد المطلب : ليس ذلك لك بينى وبينك من يقضى بالحق.

فقال الفاروق : من تختار؟

قال عم رسول اللّه ﷺ : حذيفة بن اليمان ..

ولم يستدع أمير المؤمنين عمر حذيفة بن اليمان إلى مجلسه بل ذهب إليه هو والعباس .. فجلسا أمامه وقصا عليه الخلاف الذى بينهما .. فقال حذيفة :

- سمعت أن نبى اللّه داود عليه السلام أراد أن يزيد فى بيت المقدس فوجد بيتا قريبا من المسجد وكان هذا البيت ليتيم فأبى فأراد داود أن يأخذه قهرا فأوحى اللّه إليه (إن أنزه البيوت عن الظلم لهو بيتى) فعدل داود وتركه لصاحبه.

فنظر عم رسول اللّه ﷺ نحو أمير المؤمنين عمر وقال :

- ألا تزال تريد أن تغلبنى على دارى؟

فقال الفاروق : لا .

فقال العباس بن عبد المطلب : ومع هذا فقد أعطيتك الدار تزيدها فى مسجد رسول الله ﷺ.

فزاد أمير المؤمنين عمر المسجد النبوى الشريف.

عام الرمادة :

وفى سنة ثمانى عشرة من الهجرة أصاب الناس مجاعة شديدة وجدب وقحط وسمى بعام الرمادة. فقد كانت الريح تسفى ترابا كالرماد، واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوى إلى الإنس وجعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها

.. وأمر أمير المؤمنين عمر يوما بنحر جزور وتوزيع لحمه على أهل المدينة .. فلما ذبح ووزع اللحم وجد أمير المؤمنين عمر أمامه سنام الجزور وكبده .. (وهما أطيب ما فيه) فتساءل : من أين هذا ؟

فقالوا : من الجزور الذى ذبح اليوم ..

فقال وهو يزيح الطعام من أمامه :

– بخ بخ، بئس الوالى أنا إن طعمت طيبها وتركت للناس كراديسها (عظامها).

ثم نادى خادمه أسلم وقال له :

– يا أسلم ارفع هذه الجفنة وائتنى بخبز وزيت.

كان عمر بن الخطاب يرى نفسه واحدا من الناس آثره الله عز وجل بمزيد من التبعة والواجب حين ولاه أمرهم، واستخلفه عليهم ولم يؤثره بامتياز يجعل سلطانه وحكمه كلأ مباحا وقنصا بواحا. فأى ضمير وأية مسئولية كانت تسيطر على هذا الرجل الملهم المنقطع النظير ؟؟ فقد حرم نفسه لا من الطيبات المشروعة للحاكمين فحسب، بل من طيبات مشروعة عادية فى كل مكان وزمان. كان أول من يجوع إذا جاعت رعيته وآخر من يشبع إذا شبعت رعيته .. وكان يقول :

– كيف يعنينى شأن الناس إذا لم يصبنى ما يصيبهم؟

وكان لا يأكل إلا الزيت حين لم يجد الناس اللحم والسمن، وأخذ يأكل الزيت حتى تئن أمعاؤه وتقرقر فيضع كفه على بطنه ويقول :

– أيها البطن لتمرنن على الزيت ما دام السمن يباع بالأواقى.

ودخل عمر بن الخطاب دار ابنه عبد الله يوما فوجده يأكل لحما فنظر إليه فى غضب كيف يأكل لحما والناس فى خصاصة؟ فقال غاضبا :

– ألأنك ابن أمير المؤمنين تأكل لحما؟ ألا خبزا وملحا؟ ألا خبزا وزيتا؟

وعلم أمير المؤمنين عمر أن هناك رجلا محتكرا فقام الفاروق وقال :

– قال رسول الله ﷺ : الجالب مرزوق والمحتكر ملعون.

ثم أردف ابن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من احتكر على المسلمين طعاما ضربه الله بالجذام والإفلاس.

وخرج ذات ضحى إلى السوق فرأى إبلا سمانا فعجب وقال :

– إبل من هذه؟

قال الناس : إبل عبد الله بن عمر ..

فانتفض الفاروق وكأن القيامة قامت وقال بأعلى صوته :

– عبد اللّه بن عمر؟ بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين ..

وأرسل فى طلبه فجاء عبد الله فسأله :

– ماهذه الإبل يا عبد الله ؟

قال عبد الله بن عمر : إنها إبل أنضاء (هزيلة) اشتريتها بمالى وبعثت بها إلى الحمى (الرعى) أتاجر فيها وابتغى ما يبتغى المسلمون .

فقال عمر بن الخطاب ساخرا :

– ويقول الناس حين يرونها : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين.. واسقوا إبل ابن أمير المؤمنين .. وهكذا تسمن إبلك ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين.

ثم قال فى حزم :ياعبد الله بن عمر خذ رأس مالك الذى دفعته فى هذه الإبل واجعل الربح فى بيت مال المسلمين.

هل أتى عبد الله بن عمر منكرا؟ ألم يفعل كما يفعل الناس، يستثمر ماله الحلال؟ ولكن عمر بن الخطاب قد رفع شعار ابن أمير المؤمنين .. فلا تمنح له الفرص التى لا تتوافر لغيره من الرعية.

وجئ للفاروق يوما بغلمان صغار السن سرقوا ناقة رجل من مزينة فنظر أمير المؤمنين عمر إلى وجوههم الشاحبة وأجسادهم الضامرة ثم تساءل :

– من سيد هؤلاء؟

قالوا : حاطب بن أبى بلتعة.

فقال الفاروق عمر : إلى به ..

فلما جاء حاطب سأله عمر بن الخطاب : أنت سيد هؤلاء؟

قال حاطب بن أبى بلتعة : نعم يا أمير المؤمنين..

قال أمير المؤمنين عمر : لقد كدت أنزل بهم العقاب لولا ما أعلمه من أنكم تدئبونهم وتجيعونهم .. لقد جاعوا فسرقوا ولن ينزل العقاب إلا بك ..

ثم سأل الفاروق صاحب الناقة : يامزنى كم تساوى ناقتك؟

قال المزنى : أربعمائة ..

فقال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبى بلتعة : اذهب فأعطه ثمانمائة درهم .. ثم ألتفت أمير المؤمنين عمر للغلمان وقال : اذهبوا ولا تعودوا لمثلها.

وجاء بلال بن الحارث المزنى إلى قبر النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

- يارسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا.

فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام وقال له :

- إيت عمر فمره أن يستسقى للناس فإنهم سيسقون، وقل له : عليك الكيس (العقل) الكيس.

فأتى الرجل أمير المؤمنين عمر فأخبره فبكى عمر وقال :

- يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه.

فخرج أمير المؤمنين عمر فنادى فى الناس :

- الصلاة جامعة.

فصلى أمير المؤمنين عمر بالناس ركعتين .. ثم قال :

- أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون منى أمرا غيره خير منه؟

قال الناس : اللهم لا ..

قال عمر بن الخطاب : فإن بلال بن الحارث يزعم كذا وكذا ..

قالوا : صدق بلال ..

فقال عمر بن الخطاب :

– الله أكبر مدته فانكشف، ما أذن لقوم فى الطلب إلا وقد رفع عنهم البلاء.

فكتب الفاروق إلى أمراء الأمصار :

– أغيثوا أهل المدينة ومن حولها فإنه قد بلغ جهدهم.

وأخرج عمر بن الخطاب أهل المدينة إلى الاستسقاء. وخرج هو يرتدى قميص رسول الله ﷺ وخرج معه العباس بن عبد المطلب ماشيا وخطب ابن الخطاب فأوجز .. ثم صلى ثم جثا على ركبتيه وقال :

– اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا، اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بك. اللهم اسقنا وأحى العباد والبلاد. اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ.

فما برح من مكانه حتى نزل المطر مدرارا.

عمر يصل نسبه بالنبي عليه الصلاة والسلام :

وأراد عمر بن الخطاب أن يصل نسبه بنسب النبى عليه الصلاة والسلام فتقدم إلى أبى الحسن وخطب ابنته أم كلثوم فقال على بن أبى طالب :

– إنما حسبت بناتى على بنى جعفر.

فقال الفاروق :

– أنكحنيها ياعلى، فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من حسن صحابتها ما أرصد.

فقال أبو الحسن : قد فعلت ..

ففرح الفاروق وجاء إلى مجلس المهاجرين بين القبر (قبر رسول الله ﷺ)والمنبر وكانوا يجلسون : على وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف فقال لهم :

- زفونى ..

فزفوه .. وقالوا : بمن يا أمير المؤمنين؟

قال عمر بن الخطاب : بابنة على بن أبى طالب.

ثم قال ابن الخطاب : قال رسول الله ﷺ : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى. وكنت قد صحبته فأحببت أن يكون هذا أيضا.

عدله .. وكراماته :

نشر الفاروق العدل بين رعيته فلم تمض ليلة إلا خرج فى جولة من جولاته التى يخرج فيهاوحيدا أو بصحبته أحد، والناس نيام ليطمئن على رعيته ويبلو أحوالها وينفض الليل عن حاجاتها. وعند مشارف مدينة رسول الله ﷺ رأى رجلا بباب كوخ وعلم منه أن زوجه التى تئن وتعانى آلام المخاض وليس معها أحد يعينها (كان الرجل وامرأته من البادية وقد حطا رحالهما فى هذا المكان وحيدين غريبين). فرجع الفاروق إلى داره وقال لزوجته أم كلثوم بنت على :

- هل لك فى مثوبة ساقها الله إليك؟

قالت أم كلثوم : خيرا.

قال أمير المؤمنين عمر : امرأة غريبة تمخض وليس معها أحد ..

قالت أم كلثوم : نعم إن شئت ..

وقام الفاروق فأعد من الزاد والماعون ما تحتاج إليه المرأة الوالدة من دقيق وسمن ومزق ثياب يلف فيها الوليد. وحمل أمير المؤمنين القدر على كتف والدقيق على كتف وقال لزوجته : اتبعينى ..

وسارا حتى بلغا الكوخ فأشار لأم كلثوم بنت على فدخلت لتساعد المرأة فى مخاضها. وجلس أبو حفص خارج الكوخ ينصب الأثافى ويضع فوقها القدر ويوقد تحتها النار وينضج للوالدة طعاما والزوج ينظر إليه شاكرا. وقال لنفسه:

- إن هذا الرجل الطيب أولى من ابن الخطاب بالخلافة .

وشق رداء الصمت صراخ الوليد .. وأدركه صوت أم كلثوم من جوف الكوخ:

– يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام..

وصار الأعرابى كالصنم من فرط الدهش والعجب .. يا أمير المؤمنين؟ أهذا عمر بن الخطاب ؟؟

ورأى أبو حفص الرجل ينظر إلى الدخان وهو ينبعث من لحيته فى دهش وذهول فقال له :

– أن أبق مكانك لا ترع (لاتفزع).

وحمل أمير المؤمنين القدر، ولما اقترب من الكوخ نادى زوجته :

– خذى القدر يا أم كلثوم، وأطعمى الأم وأشبعيها.

فلما فعلت أم كلثوم أعادت إليه القدر فقدمه الفاروق إلى الأعرابى وقال له:

– كل واشبع فإنك قد سهرت طويلا وعانيت كثيرا.

ثم انصرف أمير المؤمنين هو وزوجته أم كلثوم بنت على.

وذات يوم جمعة صعد أمير المؤمنين عمر منبر رسول الله ﷺ وبينما هو يخطب عرض له فى خطبته وقال :

– ياسارية بن حصن، الجبل، من استرعى الذئب ظلم.

فتلفت الناس بعضهم إلى بعض فقال على : صدق والله ليخرجن مما قال.. فلما فرغ الفاروق من صلاته .. قال له على :

– ما شئ سنح لك فى خطبتك؟

فتساءل أمير المؤمنين عمر : وماهو؟

فقال على : قولك يا سارية الجبل الجبل من استرعى الذئب ظلم ..

فقال عمر بن الخطاب : وهل كان ذلك منى؟

قال على : نعم .. وجميع أهل المسجد قد سمعوه ..

قال أمير المؤمنين عمر : إنه وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وقد ظفروا وإن جاوزوا هلكوا فخرج منى ما تزعم أنك سمعته.

فجاء البشير بالفتح بعد شهر فذكر أنه سمع فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر بن الخطاب يقول :

– ياسارية الجبل الجبل ..

قالوا : فعدلنا إليه ففتح الله علينا ..

أليس هذا الرجل الملهم نورانيا ربانيا طار بصره فاخترق آلاف الأميال، وكأنه قمر صناعى أو تليفزيون إلهى فحذر صاحبه .. فاستجاب له وكان النصر المبين؟؟

وذات ضحى كان أمير المؤمنين عمر يجلس مع أصحابه فى ظل المسجد فوقف أعرابى عليه وقال :

ياعمر الخير جزيت الجنه

جهز بناتى واكسهنه

أقسم بالله لتفعلنه

فتساءل الفاروق : فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعرابى؟

قال الأعرابى :

أقسم بالله لأمضينه ..

فقال عمر بن الخطاب : فإن مضيت يكون ماذا يا أعرابى؟

قال الأعرابى :

والله عن حالى لتسألنه ثم تكون المسألات عنه

والواقف المسئول بينهنه إما إلى نار وإما جنه

فبكى أمير المؤمنين عمر حتى اخضلت لحيته بدموعه .. ثم قال لغلامه أسلم:

– يا غلام أعطه قميصى هذا لذلك اليوم، لا لشعره، والله لا أملك قميصا غيره.

وذات يوم كان الفاروق جالسا مع أصحابه فاقتحم المجلس رجل مكروب تغشاه وعثاء السفر ثم تساءل:

– أأنت عمر؟ ويل لك من الله ياعمر ..

ثم مضى غير وانٍ ولا مكترث .. فلحق به بعض الحاضرين يريدون أن يبطشوا به، ولكن أمير المؤمنين عمر أمرهم أن يعودوا إلى مجلسهم. وانطلق الفاروق خلف الرجل ليعرف لماذا قال له : ويل لك ياعمر؟ ماذا فعل؟ هل ظلمه؟

ولما لحق أمير المؤمنين بالرجل قال له : ويلى من الله لماذا؟

قال الرجل : لأن عمالك وولاتك لا يعدلون بل يظلمون..

فتساءل أبو حفص : أى عمالى تعنى؟

قال الرجل : عامل لك فى مصر اسمه عياض بن غنم ..

ولا يكاد الرجل ينتهى من شكواه حتى بعث الفاروق رجلين من أصحابه إلى مصر وقال لهما :

– اركبا إلى مصر وائتيانى بعياض بن غنم ..

وجاء مصرى إلى مدينة رسول الله ﷺ فشكا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واليها عمرو بن العاص وزعم أن الوالى أجرى الخيل فأقبلت فرس المصرى فحسبها محمد بن عمرو فرسه وصاح :

– فرسى ورب الكعبة ..

ثم اقتربت وعرفها صاحبها فغضب محمد بن العاص ووثب على المصرى يضربه بالسوط ويقول له :

– خذها وأنا ابن الأكرمين.

وبلغ ذلك أباه عمرو بن العاص فخشى أن يشكوه المصرى، فحبس المصرى زمنا ومازال محبوسا حتى أفلت وقدم إلى المدينة فلقى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فلما سمع شكواه قال : ثم جلس ..

واستقدم عمرو بن العاص وابنه محمدا .. فمثلا فى مجلس القصاص فنادى الفاروق :

– أين المصرى ؟

فقال الرجل : هأنذا يا أمير المؤمنين .

فقدم إليه عمر بن الخطاب الدرة وقال له :

– دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين ..

فضربه حتى أثخنه وكان الحاضرون من المسلمين يشتهون أن يظل المصرى يضرب ابن عمرو بن العاص .. ابن الأكرمين ..

والفاروق يقول : اضرب ابن الأكرمين ..

ثم قال عمر للمصرى : اجعلها على صلعة عمرو فو الله ما ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه ..

فقال عمرو بن العاص فزعا :

– يا أمير المؤمنين قد استوفيت واستشفيت ..

وقال المصرى معتذرا : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى ..

فقال عمر بن الخطاب : أما والله لو ضربته (عمرو بن العاص) ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه.

والتفت إلى عمرو بن العاص وقال له مغضبا :

– أيا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟

لقد قال أمير المؤمنين الملهم قولة خالدة ما قالها حاكم قبله.

وفقد عمر بن الخطاب رجلا من أصحابه فقال لعبد الرحمن بن عوف :

- انطلق بنا إلى منزل فلان فننظر.

فأتيا منزله فوجدا بابا مفتوحا وهو جالس وامرأته تصب له فى الإناء فتناوله إياه .. فقال أمير المؤمنين عمر لعبد الرحمن بن عوف:

- هذا الذى شغله عنا؟

فقال عبد الرحمن بن عوف : ومايدريك ما فى الإناء؟

فقال عمر بن الخطاب : أتخاف أن يكون هذا هو التجسس؟

قال عبد الرحمن بن عوف : بل هو التجسس..

فتساءل الفاروق : وما التوبة؟

قال عبد الرحمن بن عوف :

- لا تعلمه بما اطلعت عليه من أمره، ولا يكونن فى نفسك إلا خيرا .

ثم انصرفا .. فلقى عمر فى الطريق رجلا فسأله عمر بن الخطاب :

- ما اسمك؟

قال الرجل : جمرة.

فقال أبو حفص : ابن من؟

قال جمرة : ابن شهاب.

قال أمير المؤمنين : ممن؟

قال جمرة بن شهاب : من الحرقة.

فقال ابن الخطاب : أين مسكنك؟

قال جمرة بن شهاب : الحرة.

قال عمر : بأيها؟

قال جمرة بن شهاب : بذات لظى ..

فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : أدرك أهلك فقد احترقوا.

فانطلق جمرة بن شهاب .. فوجد أهله قد احترقوا .. كما قال له أبو حفص النورانى الربانى.

وأتى أهل مصر ذات ضحى قصر عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا:

– أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها..

فتساءل عمرو بن العاص : وما ذاك؟

قال أهل مصر : إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى أفضل مايكون ثم ألقيناها فى هذا النيل..

فقال لهم عمرو بن العاص : إن هذا لا يكون أبدا فى الإسلام وإن الإسلام يهدم ما كان قبله.

فأقاموا والنيل لايجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء. فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى أمير المؤمنين عمر بذلك.

فكتب الفاروق : أن قد أصبت بالذى قلت وإن الإسلام يهدم ماكان قبله.

وبعث الفاروق بطاقة فى داخل كتابه، وكتب إلى عمرو بن العاص:

– إنى قد بعثت إليك ببطاقة فى داخل كتابى فألقها فى النيل.

فلما قدم كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها:

– من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله يجريك فأسأل الواحد القهار أن يجريك.

فألقى عمرو بن العاص البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم .. فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة .: وقطع الله تلك السنة (إلقاء جارية فى النيل) عن أهل مصر .. إلى اليوم .. بكرامة الفاروق عمر.

وفى سنة اثنتين وعشرين من الهجرة فتحت أذربيجان .. والدينور وماسبذان وهمذان وطرابلس الغرب والرى وعسكر وقومس..

البكاء من خشية الله :

ورأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الأموال التى تتدفق على مدينة رسول الله ﷺ وسمع الأخبار تأتى إليه من البلاد والأقطار التى فتحتها جيوش المسلمين فمزقت دولة الفرس وزلزلت سلطان الروم، فكاد أن يحمله الزهو على أجنحته، ولكنه تذكر فضل الله ونصره فدعا المسلمين للاجتماع .. ثم قال :

– أيها الناس لقد رأيتنى وأنا أرعى غنم خالات لى من بنى مخزوم نظير قبضة من تمر أو من زبيب.

ثم نزل من على المنبر بين دهش المجتمعين وتساؤلهم لماذا فعل أمير المؤمنين بنفسه هذا؟ كثيرا ما كان يذكر أنه عمير فجعله الإسلام عمر وأن الإسلام رفعه مكانا مرموقا..!

تقدم عبد الرحمن بن عوف نحو أمير المؤمنين وهو على مقربة من المنبر وقال له :

– ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين؟

فقال أبو حفص : ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسى فقالت لى : أنت أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها قدرها.

لقد كان الفاروق يخشى الله خشية الحر الذى يرجو لله عز وجل وقارا، ويضرع لربه إجلالا وإكبارا، ويخجل أن يلقاه بتقصير .. أى تقصير. لذلك كان أمير المؤمنين عمر يقول دوما :

– كنت وضيعا فرفعك الله، وكنت ضالا فهداك الله، وكنت ذليلا فأعزك الله، فما تقول لربك غدا إذا أتيته؟؟

وكان يسأل عبد الله بن قيس :

– يا أبا موسى هل يسرك أن إسلامنا مع رسول الله وهجرتنا معه وشهادتنا وعملنا كله يرد علينا لقاء أن ننجو كفافا لا لناولا علينا؟

فيقول أبو موسى الأشعرى: لا والله يا أبا حفص فلقد جاهدنا وصلينا وصمنا وعملنا خيرا كثيرا وأسلم على أيدينا خلق كثير وإنا لنرجو ثواب ذلك .

فيقول عمر بن الخطاب ودموعه تبلل لحيته :

– أما أنا فو الذى نفسى بيده لوددت أن ذلك يرد إلى ثم أنجو كفافا رأسا برأس.

وعلى الرغم من أن رسول الله ﷺ قد بشره بالجنة فقد كان يخشى الله ويستحى من ربه جل جلاله وإنه لأقوى من كل شهوة وزلة.

وتأخر أمير المؤمنين عمر عن خطبة الجمعة فجاء مهرولا فى بردة بها إحدى وعشرون رقعة تحتها قميص لم يجف بعد من البلل. ثم لا يكاد يصعد المنبر حتى يعتذر للناس:

– حبسنى عنكم قميصى هذا .. كنت أنتظره حتى يجف إنه ليس لى قميص غيره.

وذات يوم تلقى أبا حفص من أحد ولاته هدية من الحلوى فسأل أمير المؤمنين الرسول الذى جاء بها :

– ماهذا ؟

قال رسول عتبة بن فرقد :

– حلوى يصنعها أهل أذربيجان وقد أرسلنى بها إليك عتبة ..

فذاقها عمر بن الخطاب فوجد لها مذاقا شهيا .. فقال :

– أو كل الناس هناك يأكلون هذا؟

فقال رسول عتبة بن فرقد : لا وإنما هو طعام الخاصة ..

فأعاد أمير المؤمنين عمر إغلاق الإناء جيدا وقال :

– أين بعيرك؟ خذ جملك هذا وارجع به لعتبة وقل له : عمر يقول لك : اتق الله وأشبع المسلمين مما تشبع منه.

هذا هو أمير المؤمنين الذى ليس له مكان الصدارة ولا فى مقدمة موكب .. إلا فى المخاطر . وإذا أقبلت نعمة لا تمتد إليها يده إلا بعد أن تكون قد مرت برعيته .. كلها.

وإذا أراد أمير المؤمنين عمر أن يتذكر ويتبصر ويرتجف كعصفور احتواه إعصار قرأ قوله تعالى : ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾[1] لقد كان يدعو أبا موسى الأشعرى ليتلو عليه بصوته العذب آيات من القرآن العظيم ويقول له :

– ذكرنا ربنا أبا موسى..

فيقرأ عبد الله بن قيس .. ويبكى عمر بن الخطاب .

ودخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل ولبس ثيابا حسانا فضربه بالدرة حتى أبكاه فقالت أخته حفصة :

– لم ضربته يا أمير المؤمنين؟

قال الفاروق : رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه.

وكتب قيصر إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إن رسلى أتتنى من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليفة شئ من الشجر، تخرج مثل آذان الحمير، ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ ثم يخضر فيكون كالزمرد الأخضر ثم يحمر فيكون كالياقوت ثم يينع فينضج فيكون كأطيب فالوذج أكل ثم ييبس فيكون

(١) سورة الإسراء آية ١٤.

عصمةالعقيم وزادا للمسافر؟ فإن تكن رسلى صدقتنى فلا أدرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة.

فكتب إليه الفاروق : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم، إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا هى الشجرة التى أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فإن : ﴿مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾(١)

واختصم مسلم ويهودى إلى أمير المؤمنين عمر فرأى أبو حفص الحق لليهودى فقضى له فقال اليهودى:

- والله لقد قضيت بالحق ..

فضربه الفاروق بالدرة وقال : وما يدريك؟

قال اليهودى : والله إنا نجد فى التوراة ليس قاض يقضى بالحق إلا كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه مادام مع الحق فإذا ترك الحق عرجا وتركاه.

لقد كان أمير المؤمنين عمر إذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به وإن لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ فى ذلك الأمر سنة قضى بها فإن أعياه أن يجد فى القرآن والسنة نظر : هل كان لأبى بكر فيه قضاء ؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به وإلا دعا رءوس المسلمين فإن اجتمعوا على أمر قضى به.

وذات ليلة كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام فتساءل:

- والله ما أدرى أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم ..

فقال سلمان الفارسى : يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا ..

فقال الفاروق : ماهو؟

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٩.

قال سلمان الفارسى : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته فى غير حقه فأنت ملك. فالملك يعسف الناس(يظلمهم ويقسو عليهم) فيأخذ من هذا ويعطى هذا، أما الخليفة فلا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا فى حق .. وأنت بحمد الله كذلك.

فسكت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وركب أمير المؤمنين عمر فرسا فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى كعب الأحبار بفخذه شامة سوداء فقال :

– إنا لنجدك فى كتاب الله على باب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها .. فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة.

روايته عن رسول الله :

وروى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين حديثا روى عنه عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وأبو ذر الغفارى وعمرو بن عبسة وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير، وأنس بن مالك وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعرى، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدرى، وأناس آخرون من الصحابة وغيرهم.

فراسته :

وكان عمر بن الخطاب حكيما عبقريا بالنفوس البشرية فكان يقول :

– أحبكم إلينا قبل أن نراكم أحسنكم سيرة فإذا تكلمتم فأبينكم منطقا فإذا اختبرناكم فأحسنكم فعلا.

فالمظاهر العابرة لا تكفى عند أبى حفص لتكون حكما عن الآخرين .. سمع يوما رجلا يطرى رجلا آخر ويمتدحه فقال :

– إن فلانا رجل صدق .

فسأله عمر بن الخطاب : هل سافرت معه يوما؟

فهز الرجل رأسه وقال : لا .

فقال الفاروق : هل كانت بينكما خصومة يوما؟

قال الرجل : لا.

فعاد أمير المؤمنين عمر يتساءل : هل ائتمنته يوما على شئ؟

فقال الرجل : لا.

فقال عمر بن الخطاب : إذن لا علم لك به. لعلك رأيته يرفع رأسه فى المسجد ويخفضه.

وكان أمير المؤمنين يختار ولاته بعنايةودقة فائقة. وكان يتحقق بنفسه وعلى الفور من كل شكوى يشكوها إنسان من حاكم، ويتبع فى يقظة سلوك ولاته فى كل الأمصار .. فلما أراد ابن الخطاب أن يرسل واليا إلى حمص–كانوا أهل شكاية وتمرد – أرسل سعيد بن عامر وقال له ولأصحابه:

– أريد لولاتى أن يتفوقوا على الناس بأناقة النفس لا بأناقة اللباس، وبمحامد الأفعال لا بالمظاهر الكاذبة، ليظلوا فى مكانهم الحق خداما للناس سادة لهم، أريد ولاتى على الناس رحمة ورخاء وأمنا.

وعلى الرغم من ورع وعدل سعيد بن عامر فقد أقبلت من الشام زمرة شاكية إلى مدينة رسول الله ﷺ فصحبهم أمير المؤمنين عمر إلى حمص .. وواجههم به فقالوا :

– نشكو من سعيد بن عامر أربعا : أولها أنه لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار..

فقال عمر بن الخطاب فى نفسه :

– اللهم إنى أعرف ابن عامر من خير عبادك .. اللهم لا تخيب فراستى ..

قال سعيد بن عامر : والله يا أمير المؤمنين إن كنت لأكره ذكر السبب ..

ولكن ليس لأهلى من يخدمهم - ليس لهم خادم - فأنا أعجن معهم عجينى ثم أجلس حتى يختمر .. ثم أخبز خبزى .. ثم أتوضأ وأخرج إلى الناس ..

فأشرقت أسارير وجه أمير المؤمنين قال :

- والثانية ؟

قالت الزمرة الشاكية : ثانيتها : أنه لا يجيب أحدا بليل يا أمير المؤمنين..

قال سعيد بن عامر : والله إن كنت أكره ذكره .. إنى جعلت النهار لهم .. وجعلت الليل لله عز وجل .

فتهلل وجه عمر وقال : وماذا أيضا؟

قالت الزمرة الشاكية : ثالثتها : أن له فى الشهر يوما لا يقابل فيه أحدا..

قال سعيد بن عامر : ليس لى خادم يغسل ثيابى .. ففى هذا اليوم أغسلها وأنتظرها حتى تجف .. ثم أخرج إليهم.

فتساءل الفاروق : وماذا أيضا تشكون منه؟

قالت الزمرة الشاكية : رابعتها : يا أمير المؤمنين أن الغاشية تأخذ سعيد بن عامر بين الحين والحين.

قال سعيد بن عامر : لقد شهدت مصرع خبيب بن عدى الأنصارى بمكة، وقد بضعت قريش لحمه وحملوه على جذعه - خشبة طويلة - وأبو سفيان يقول له : أتحب محمدا مكانك وأنت سليم معافى؟ فيجيب : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى ومعى عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله ﷺ بشوكة، فمنذ ذلك المشهد الذى رأيته وأنا يومئذ من المشركين .. ثم تذكرت تركى نصرة خبيب يومها أرتجف خوفا من عذاب الله ويغشانى الذى يغشانى. فسكتت الزمرة الشاكية وكأن سعيد بن عامر ألقمهم حجارة .. وتطاول عنق عمر بن الخطاب فعانق سعيدبن عامر وقال فى حبور وبشر:

- الحمد لله الذى لم يخيب فراستى.

ولقى عمر بن الخطاب نافع بن عبد الحرث بعسفان وكان أمير المؤمنين عمر استعمله على مكة فسأله :

– من استخلفت على أهل الوادى؟

قال نافع بن عبد الحرث : استخلفت عليهم ابن أنزى.

فقال أمير المؤمنين عمر : ومن ابن أنزى؟

قال نافع بن عبد الحرث : رجل من موالينا ..

فتساءل أبو حفص : فاستخلفت عليهم مولى ؟

قال نافع بن عبد الحرث : إنه قارئ لكتاب الله تعالى عالم بالفرائض قاض ..

قال أمير المؤمنين عمر : أما إن نبيكم ﷺ قال : إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين .

من أقواله وعظاته :

لقد كان نهج عمر بن الخطاب صريحا قويما .. وقال فى بعض عظاته :

– لا تنظروا إلى صيام أحد ولا إلى صلاته ولكن انظروا من إذا حدث صدق وإذا ائتمن أدى وإذا أشفى – هم بالمعصية – ورع.

وقال : لايعجبنكم من الرجل طنطنته ولكن .. من أدى الأمانة إلى من ائتمنه وسلم الناس من يده ولسانه.

وقال فى عمل الدنيا والآخرة : ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا أو عمل للدنيا وترك الآخرة ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه. وإنما الحرج فى الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية.

وكان الفاروق يكره المتوانى ليقال إنه متوكل على الله، أو يتراءى بالضعف ليقال إنه ناسك أو يفرط فى العبادة ليقال إنه زاهد فى الدنيا.

قال الفاروق : إن المتوكل الذى يلقى حبة فى الأرض ويتوكل على الله .. ولا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وإن الله يرزق الناس بعضهم من بعض.

وكان عمر بن الخطاب يضرب من يتماوت ويستكين ليظهر التخشع فى الدين .. فرأى الفاروق يوما رجلا مظهرا للنسك متماوت المشية فخفقه بالدرة وقال له :

- لا تمت علينا ديننا أماتك الله.

ونظر إلى شاب منكس الرأس فصاح به :

ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب، فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فإنما أظهر للناس نفاقا إلى نفاق.

وقال عمر بن الخطاب فى الحث على طلب التدين فى الصديق:

- عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم، فإنهم زينة فى الرخاء، وعدة فى البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى.

وبينما كان عمر بن الخطاب جالسا مع أصحابه تساءل:

- ما ترون الشهداء؟

قال القوم : يا أمير المومنين هم من يقتل فى هذه المغازى.

فقال أبو حفص : إن شهداءكم إذا لكثير . إنى أخبركم عن ذلك أن الشجاعة والجبن غرائز (جمع غريزة وهى الطبيعة) فى الناس يضعها الله حيث يشاء فالشجاع يقاتل من وراء من لا يبالى أن يؤوب إلى أهله، والجبان فار عن حليلته (زوجته)، ولكن الشهيد من احتسب بنفسه والمهاجر من هجر مانهى الله عنه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

ومن مواعظه الوجيزة العميقة التى تتركز فيها حكمه أنه قد وعظ رجلا فقال له :

– لا تلهك الناس عن نفسك فإن الأمر يصير إليك دونهم، ولا تقطع النهار ساربا، فإنه محفوظ عليك ما عملت وإذا أسأت فأحسن فإنى لا أرى شيئا أشد طلبا ولا أسرع دركة من حسنة حديثة لذنب قديم.

ووضع عمر بن الخطاب ثمانى عشرة كلمة للناس حكم كلها :

– ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك منه ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من مسلم شرا وأنت تجد لها فى الخير محملا، ومن عرض نفسه للتهم فلا يلومن من أساء به الظن. ومن كتم سره كانت الخيرة فى يده. عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم فإنهم زينة فى الرخاء وعدة فى البلاء، وعليك بالصدق وإن قتلك، لا تعرض فيما لا يعنى ولا تسأل عما لم يكن، فإن فيما كان شغلا عما لم يكن. لا تطلبن حاجتك ممن لا يحب نجاحها لك، ولا تهاون بالحلف الكاذب فيهلكك الله. ولا تصحب الفجار لتتعلم من فجورهم، واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله. وتخشع عند القبور وذل عند الطاعة، واستعصم عند المعصية، واستشر فى أمرك الذين يخشون الله فإن الله تعالى يقول : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.(١)

وقال عمر بن الخطاب للأحنف بن قيس : يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استخف به، ومن كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه.

وقال أبو حفص : كرم المرء تقواه ودينه وحسبه ومروءته، والجرأة والجبن غرائز فى الرجال، فيقاتل الرجل الشجاع عمن يعرف ومن لا يعرف، ويفر الجبان عن أبيه وأمه، والحسب والمال والكرم التقوى. لست بأخير من فارسى ولا عجمى ولا نبطى إلا بالتقوى.

---

(١) سورة فاطر آية ٢٨.

وكتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى موسى الأشعرى : إن الحكمة ليست عن كبر السن ولكنه عطاء الله يعطيه من يشاء فإياك ودناءة الأمور ومذاق الأخلاق .

وكان أمير المؤمنين عمر يقول :

– الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم.

ويقول : ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت لها حاسدا، ولو كان المرء أقوم من القدح لوجدت له غامزا.

وكان عمر بن الخطاب يقول : يا ليتنى كنت كبش أهلى، سمنونى ما بدا لهم حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم من يحبون فذبحونى لهم فجعلوا بعضى شواء وبعضى قديدا ثم أكلونى ولم أكن بشرا.

وكتب أمير المؤمنين عمر إلى ابنه عبد الله بن عمر :

أما بعد فإنى أوصيك بتقوى الله فإنه من اتقى الله وقاه ومن توكل على الله كفاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، ولتكن التقوى نصب عينيك، وعماد عملك وجلاء قلبك فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا مال لمن لارفق له، ولا جديد لمن لا خلق له.

وذات يوم قائظ يكاد حره يذيب الجبال أطل عثمان بن عفان من داره بالعالية فرأى رجلا يسوق أمامه بعيرين صغيرين والهواء الساخن يغشاه كلفح السموم فقال عثمان فى نفسه :

– ما على هذا الرجل العابر لو أقام بالمدينة حتى يبرد؟

وأمر ذو النورين خادمه أن ينظر من هذا الرجل العابر من بعيد والذى تخفى الريح والرمال السافيات معالمه.

ونظر الخادم من فرجة الباب فوجده رجلا معمما بردائه يسوق بكرين أمامه. وانتظر حتىاقترب .. فلما عرفه صاح فى دهش:

– إنه أمير المؤمنين عمر..

فأخرج ذو النورين رأسه من كوة صغيرة متوقيا سخونة الريح ونادى :

- ما أخرجك هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟

فقال عمر بن الخطاب : بكران من إبل الصدقة تخلفا عن الحمى (الرعى) وخشيت أن يضيعا فيسألنى الله عز وجل عنهما.

فقال عثمان بن عفان : هلم إلى الظل والماء ونحن نكفيك هذا الأمر.

فقال أبو حفص : عد إلى ظلك ياعثمان..

قال ذو النورين : عندنا من يكفيك هذا الأمر يا أمير المؤمنين.

فقال الفاروق مرة أخرى : عد إلى ظلك ياعثمان.

ومضى الفاروق لسبيله والحر يصهر الصخر .. فقال ذو النورين مأخوذا مبهورا :

- من أراد أن ينظر إلى القوى الأمين .. فلينظر إلى عمر بن الخطاب.

أهذا غريب على رجل يهب كالطوفان إذا سمع أن درهما واحدا من أموال المسلمين قد اختلس أو أنفق فى ترف أو إسراف؟ إنه عمر أول من عس الليل، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنازة على أربع تكبيرات (كانوا قبل ذلك يصلون أربعا وخمسا وستا) وأول من حمل الدرة وضرب بها وهو الذى قال :

- والذى بعث محمدا ﷺ بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه.

وقدم من بلاد العجم بعض أشرافهم فلما اقتربوا من مدينة رسول الله ﷺ توقفوا عن المسير وتساءل بعضهم :

- كيف يكون قصر عمر بن الخطاب؟ هل بناه من اللؤلؤ والمرجان؟

وقال بعضهم: هل حلته من الذهب الخالص أم من الحرير الموشى بالذهب؟

وقال بعضهم : كيف نراه وحوله الجند والخدم؟

ودخلوا المدينة فسألوا عن عمر بن الخطاب فقال لهم رجل وهو يشير بيده:

– لقد رأيته نائما تحت شجرة هناك.

فقال سادات الفرس : إننا نسأل عن عمر أمير المؤمنين.

فقال الرجل وهو يمشى أمامهم : تعالوا معى.

ووقفوا .. وعجبوا ثم عادوا يتساءلون :

– أهذا عمر أمير العرب؟ أهذا الذى هزم الروم والفرس؟

فقال الرجل : نعم ..

فعادوا ينظرون إلى أبى حفص وقد نام تحت شجرة وقد وسد رأسه ذراعه وليس حوله من يحرسه يرتدى رداء خشنا. أين قصره العظيم، وأين الملابس الحريرية والحرس و ..؟

فقالوا فى صدق الحكماء : لقد عدلت فى حكمك يا عمر فأمنت من رعيتك ونمت هادئا لا تخاف أحدا، أما الملوك فكانوا يبتعدون عنا ويضعون أمامهم حراسا وخلفهم حراسا خوفا على أنفسهم.

سمع أبو حفص قولهم فاستيقظ ونظر إليهم .. ثم تبسم وقال :

– مرحبا بكم.

فقالوا : قد جئنا لنراك ياعمر، وكنا نبغضك كل البغض، فلما رأيناك أعجبنا بك كل الإعجاب وأحببناك كل الحب وإن عندنا ميلا شديدا إلى دينك الذى يسوى بين الغنى والفقير والأبيض والأسود.

ونطقوا بشهادة الحق .. جميعا .. فأنزلهم أمير المؤمنين عمر منازل بالمدينة.

خروجه للحج بالمسلمين :

وفى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومعه نساء النبى عليه الصلاة والسلام حاجا .. فلما فرغ من الحج نزل بالأبطح ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء وقال :

- اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى إليك غير مضيع ولا مفرط.

وسأل أمير المؤمنين عمر الله عز وجل أن يقبضه إليه وأن يمن عليه بالشهادة فى بلد رسول الله ﷺ فقال :

اللهم إنى أسألك شهادة فى سبيلك وموتا فى بلد رسولك.

ورجع أبو حفص إلى المدينة، ثم سأل أمير المؤمنين عمر بشار بن نمير : كم أنفقنا فى حجتنا هذه؟

قال بشار : خمسة عشر دينارا.

فقال أبو حفص فى عجب : لقد أسرفنا فى هذا المال.

كانت له نظرة تحير العقول تجاه أموال الأمة .. لقد حج فما ضرب له فسطاط ولا كان له قبة ولا بناء يستظل به إنما يلقى كساء على شجرة تحميه وقدة الحر وقيظ الجبال المستعر .. الرجل الذى وضعت تحت يده خزائن كسرى وقيصر ينفق خلال رحلة حجه كلها خمسة عشر دينارا ثم يقول :

- لقد أسرفنا ؟؟؟

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتذكر الموت كل ساعة وكان نقش خاتمه .. كفى بالموت واعظا ياعمر.

صفته .. ومقتله :

وكان الفاروق طويلا آدم أصلع أعسر أيسر (يعنى يعمل بيديه) وكان لطوله كأنه راكب، وقيل كان أبيض أبهق (يعنى شديد البياض) تعلوه حمرة طوالا أصلع أشيب، وكان يصفر لحيته ويرجل رأسه.

وخرج أمير المؤمنين عمر يوما إلى السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة الثقفى وكان أبو لؤلؤة نصرانيا فقال :

– يا أمير المؤمنين أعدنى (أعنى وانصرنى) على المغيرة بن شعبة فإن على خراجا كثيرا.

فتساءل الفاروق : وكم خراجك؟

قال أبو لؤلؤة : درهمان كل يوم.

فقال أبو حفص : وأيش صناعتك؟

قال أبو لؤلؤة : نجار. نقاش . حداد.

فقال أمير المؤمنين عمر : فما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الأعمال .. قد بلغنى أنك تقول : لو أردت أن أصنع رحى تطحن بالريح (بالهواء) لفعلت؟

قال أبو لؤلؤة : نعم .

فقال أبو حفص : فاعمل لى رحى.

قال أبو لؤلؤة وهو ينظر إلى عمر نظرة ذات مغزى : لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب.

ثم انصرف أبو لؤلؤة عن عمر بن الخطاب .. فقال الفاروق :

– لقد أوعدنى العبد الآن.

ثم رجع عمر بن الخطاب إلى منزله. فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال له :

– يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت فى ثلاث ليال.

فتساءل الفاروق : وما يدريك؟

قال كعب الأحبار : أجده فى كتاب التوراة.

فقال عمر بن الخطاب : الله إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة؟

قال كعب الأحبار : اللهم لا، ولكنى أجد حليتك وصفتك وإنك قد فنى أجلك.

قال عمر بن الخطاب : وعمر لا يحس وجعا؟

فقال كعب الأحبار : وجدتك فى التوراة تقتل شهيدا.

قال أبو حفص : وأنى لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب؟

ثم رأى الفاروق رؤيا : رأيت كأن ديكا نقرنى نقرة أو نقرتين .. وإنى لا أراه إلا حضور أجلى.

فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال : مضى يومان وبقى يوم.

فلما كان أمير المؤمنين عمر يصلى صلاة الصبح من يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة من سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ضربه أبو لؤلؤة - فيروز - المجوسى بخنجر ثلاث ضربات فخر عمر من قامته ..

فقيل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب : ألا تستخلف عبد الله بن عمر؟

فقال أبو حفص : قاتلكم الله، والله ما أردت الله بهذا، أستخلف رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته؟

ثم قال أمير المؤمنين عمر : قد رأيت من أصحابى حرصا سيئا ولو أدركنى أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبى حذيفة (مات فى حرب اليمامة) وأبو عبيدة بن الجراح (مات فى خلافة أمير المؤمنين عمر).

وجعل أبو حفص يألم فدخل عليه عبد الله بن عباس وقال له :

- يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون.

فقال عمر بن الخطاب : أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ الله تعالى منٌّ به على.

وأما ما ذكرت من صحبة أبى بكر ورضاه فإنما ذاك منٌ من الله جل ذكره مَنَّ به على، وأما ما ترى من جزعى فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه.

فقال ابن عباس : أبشر بالجنة صاحبت رسول الله ﷺ فأطلت صحبته ووليت أمر المؤمنين فقويت وأديت الأمانة.

فقال الفاروق : أما تبشيرك إياى بالجنة فوالله الذى لا إله إلا هو لو أن لى الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامى قبل أن أعلم الخبر، وأما قولك فى إمرة المؤمنين فوالله لوددت أن ذلك كفاف لا لى ولا على، وأما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ فذاك.

وعاد أصحاب عمر يطلبون منه أن يستخلف فقال : إن أدركنى أجلى وأبو عبيدة بن الجراح حى استخلفته فإن سألنى ربى قلت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن لكل نبى أمينا وأمينى أبو عبيدة بن الجراح، فإن أدركنى أجلى - وقد توفى أبو عبيدة - استخلفت معاذ بن جبل فإن سألنى ربى : لم استخلفته؟ قلت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه يحشر يوم القيامة بين يدى العلماء نبذة.

ودخل كعب الأحبار مع الناس فلما رآه عمر قال :

توعدنى كعب ثلاثا أعدها ... ولا شك أن القول ما قال لى كعب

وما بى حذار الموت إنى لميت ... ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ولما حضرت أمير المؤمنين عمر الوفاة قال :

- ادعوا لى عليا وطلحة والزبير وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص.

فلما جاءوا لم يكلم أحدا منهم إلا عليا وعثمان .. فقال لعلى :

- ياعلى هؤلاء النفر يعرفون لك قرابتك من رسول الله ﷺ ، وما آتاك الله من العلم والفقه فاتق الله إن وليت هذا الأمر فلا ترفعن بنى فلان (يعنى بنى هاشم) على رقاب الناس.

وقال الفاروق لعثمان : ياعثمان هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ وسنك وشرفك فإن أنت وليت هذا الأمر فاتق الله ولا ترفع بنى فلان (يعنى بنى أمية) على رقاب الناس.

وقال عمر بن الخطاب :

- ادعوا لى صهيبا (صهيب بن سنان الرومى).

فلما جاء صهيب قال له عمر : صل بالناس ثلاثا. وليجتمع هؤلاء الرهط (على وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير) فى بيت فإن اجتمعوا على رجل (اختاروا رجلا للخلافة) فاضربوا رأس من خالفهم.

ثم قال عمر بن الخطاب لأصحاب الشورى :

- تشاوروا فى أمركم فإن كان اثنان واثنان واثنان فارجعوا فى الشورى وإن كان أربعة واثنان فخذوا صف الأكثر، وإن اجتمع رأى ثلاثة وثلاثة فاتبعوا صف (الجانب الذى فيه رأى) عبد الرحمن بن عوف واسمعوا وأطيعوا.

وقبل أن يلفظ عمر أنفاسه قال لزيد بن الأسود (أبى طلحة):

- يا أبا طلحة كن فى خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى، فإنهم فيما أحسب سيجتمعون فى بيت أحدهم فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحدا يدخل عليهم ولا تتركهم يمضى اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم .. اللهم أنت خليفتى فيهم.

ولما احتضر الفاروق ورأسه فى حجر ابنه عبد الله قال :

ظلوم لنفسى غير أنى مسلم   أصلى الصلاة كلها وأصوم

ولما احتضر عمر بن الخطاب قال لابنه عبد الله :

- ياعبد الله ائت أم المؤمنين عائشة فقل لها : إن عمر يقرئك السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم بأمير المؤمنين، وقل : يستأذن أن تدفنيه مع صاحبيه - رسول الله ﷺ والصديق - فإن أذنت فادفنونى وإن أبت فردونى إلى مقابر المسلمين.

فأتاها عبد الله بن عمر وهو يبكى فقال :

- يا أم عبد الله - كانت تكنى بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير - إن عمر يستأذن فى أن يدفن مع صاحبيه.

فقالت عائشة بنت أبى بكر : لقد ادخرت ذلك المكان لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى.

فلما رجع عبد الله بن عمر إلى الفاروق وأقبل عليه قال عمر بن الخطاب :

- أقعدونى .

فلما أقعدوه سأل ابنه عبد الله : ما وراءك؟

قال ابن عمر : قد أذنت لك ..

فقال الفاروق : الله أكبر ما شئ أهم إلى من ذلك المضجع.

ولم يزل يذكر الله تعالى ويديم الشهادة إلى أن توفى.

ومات عمر بن الخطاب بعد ثلاثة أيام من جراحته فصلى عليه صهيب بن سنان الرومى ودفن إلى جانب أبى بكر الصديق على مقربة من قبر النبى عليه الصلاة والسلام.

وكانت خلافة الفاروق عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة. وكان له من العمر ثلاث وستون سنة.

عثمان بن عفان

«لِكُلِّ نَبِيٍّ رَفِيقٌ فِى الجَنَّة، وَرَفِيقِى فِيهَا عُثْمَانُ بنُ عَفَّانَ»

«حديث نبوى شريف»

عثمان بن عفان

رجل تستحى منه الملائكة ..

تقول أم المؤمنين عائشة : إن النبى ﷺ جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال : ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة؟

رجل اشترى من النبى عليه الصلاة والسلام الجنة مرتين، حين حفر بئر رومة، وحين جهز جيش العسرة (غزوة تبوك).

رجل رفيق رسول الله ﷺ فى الجنة ..

يقول النبى عليه الصلاة والسلام : لكل نبى رفيق فى الجنة ورفيقى فيها عثمان بن عفان.

رجل تزوج بنتى رسول الله ﷺ رقية وأم كلثوم، ولم يعرف أحد تزوج بنتى نبى غيره، ولذلك سمى ذا النورين.

رجل سئل عن فضله الإمام على فقال :

– ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الأعلى ذا النورين.

أول رجل هاجر هو وأهله ..

يقول رسول الله ﷺ : إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد نبى الله لوط عليه السلام.

اسمه ولقبه :

هو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى الأموى.

أبو عمرو. أبو عبد الله. أبو ليلى.

مولده وإسلامه :

ولد عثمان بن عفان فى السنة السادسة من عام الفيل، ونشأ فى بيت الترف والعز، فلما بلغ أشده خرج مع قوافل قومه إلى اليمن والشام. وأصبح عثمان

بزازا يعمل فى التجارة. وكان عثمان مشتهرا بالحياء وكان وضيئا حسنا جميلا أبيض مشربا صفرة، جعد الشعر له جمة أسفل من أذنيه جذل الساقين طويل الذراعين أقنى بيّن القنا.

وذات يوم كان بفناء الكعبة فقيل له :

– إن محمدا قد أنكح عتبة بن أبى لهب رقية ابنته ..

وكانت رقية ذات جمال بارع. فلما سمع عثمان ذلك دخلته حسرة وقال فى نفسه :

– ألا أكون سبقت إليها؟

ولم يلبث أن انصرف إلى منزله فوجد خالته سعدى بنت كرز بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية (أمه أروى بنت كرز وأمها البيضاء بنت عبد المطلب) قاعدة مع أهله (وكانت سعدى قد طرقت وتكهنت لقومها) فلما رأته قالت :

أبشر وحييت ثلاثا وترا ثم ثلاثا وثلاثا أخرى

ثم بأخرى كى تتم عشرا لقيت خيرا ووقيت شرا

نكحت والله حصانا زهرا وأنت بكر ولقيت بكرا

فتعجب عثمان بن عفان من قولها وتساءل :

– ياخالة ما تقولين؟

قالت سعدى بنت كرز :

عثمان يا عثمان ياعثمان لك الجمال ولك الشأن

هذا نبى معه البرهان أرسله بحقه الديان

وجاءه التنزيل والفرقان فاتبعه لا تغيا بك الأوثان

وربا عجب عثمان بن عفان فقالت خالته سعدى :

– إن محمد بن عبد الله رسول الله جاء إليه جبريل يدعوه إلى الله مصباحه مصباح، وقوله صلاح، ودينه فلاح، وأمره نجاح، لقرنه نطاح، ذلت له البطاح، وما ينفع الصياح لو وقع الرياح وسلت الصفاح ومدت الرماح.

ثم انصرفت خالته سعدى بنت كرز ولكن كلامها وقع فى قلبه وبقى مفكرا فيه. وكان له مجلس من عبد الله بن أبى قحافة (أبى بكر) فأتاه بعد يوم الاثنين فأصابه فى مجلسه ولا أحد عنده فجلس إليه فرآه متفكرا شاردا فسأله:

– ما بك ؟

وكان أبو بكر رجلا رقيقا مؤلفا لقومه. فأخبره عثمان بن عفان بما سمعه من خالته سعدى بنت كرز فقال له أبو بكر :

– ويحك ياعثمان، والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل.

هذه الأوثان التى يعبدها قومك أليست حجارة صما لا تسمع ولا تبصر ولاتضر ولا تنفع؟

قال عثمان بن عفان : بلى والله إنها لكذلك..

قال أبو بكر : والله لقد صدقت خالتك، هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟

قال عثمان بن عفان : نعم.

ومر محمد بن عبد الله – ﷺ – ومعه على بن أبى طالب يحمل ثوبا للنبى عليه الصلاة والسلام، فلما رآه أبو بكر قام إليه فساره فى أذنه فجاء رسول الله ﷺ فقعد ثم أقبل على فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– ياعثمان أجب الله إلى جنته فإنى رسول الله إليك وإلى جميع خلقه.

يقول عثمان بن عفان : فو الله ما تمالكت حين سمعت قوله أن أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله.

ورجع عثمان بن عفان إلى منزله كأنما قد ذهب عنه كل قلقه وحزنه، ونزلت على صدره سكينة وتهلل بفرح فياض ونشوة روحية تفوق ملذات الأرض جميعا.

ولما علمت أم جميل زوجة أبى لهب عم رسول الله ﷺ أن الله قد بعث محمدا عليه الصلاة والسلام رسولا نبيا أكل الحقد صدر المرأة العوراء، ونهش

الحسد قلب أبى لهب، فكيف يستأثر ابن أخيه بالسيادة والغنى والشرف دونه؟ فراحا يفكران فى التصدى لمحمد ﷺ. وكان عتبة بن أبى لهب قد تزوج رقية بنت محمد قبل النبوة فلما بعث رسول الله ﷺ وأسلمت رقية مع أمها وأخواتها.. اشتد حقد أم جميل وزوجها أبى لهب لما نزل قوله تعالى : ﴿تبت يدا أبى لهب وتب* ما أغنى عنه ماله وما كسب* سيصلى نارا ذات لهب* وامرأته حمالة الحطب* فى جيدها حبل من مسد﴾ فسخر الناس من أبى لهب بما أنزل فى شأنه على رسول الله ﷺ فقال فى غضب :

- سوف يرى محمد أية كارثة تحيق به على يدى.

ثم دعا ابنه عتبة وكان متزوجا من رقية وابنه عتيبة وكان متزوجا من أختها أم كلثوم فأوغر صدريهما وقال لهما :

- رأسى من رأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتيه ..

ففارق عتبة رقية بنت رسول الله ﷺ ولم يكن دخل بها . فتقدم عثمان بن عفان وطلبها من النبى عليه الصلاة والسلام .. فزوجها له .

ولما علم الحكم بن أبى العاص بن أمية عم عثمان أنه قد أسلم أخذه فأوثقه رباطا وقال له :

- ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث؟ والله لا أدعك أبدا حتى تدع ما أنت عليه.

فقال عثمان بن عفان : والله لا أدعه أبدا ولا أفارقه ..

فلما رأى الحكم بن أبى العاص صلابته فى دينه تركه.

وقالت سعدى بنت كرز فى إسلام عثمان ابن أختها :

هدى الله عثمان الصفى بقوله ... فأرشده والله يهدى إلى الحق
فتابع بالرأى السديد محمدا ... وكان ابن أروى لا يصد عن الحق
وأنكحه المبعوث إحدى بناته ... فكان كبدر مازج الشمس فى الأفق
فداؤك يا ابن الهاشميين مهجتى ... فأنت أمين الله أرسلت فى الخلق

وكان يقال : أحسن زوجين رآهما إنسان : رقية وعثمان ..

يقول أسامة بن زيد : بعثنى رسول الله ﷺ إلى منزل عثمان بصحفة فيها لحم فدخلت فإذا رقية رضى الله عنها جالسة فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ومرة أنظر إلى وجه عثمان، فلما رجعت سألنى رسول الله ﷺ : دخلت عليهما؟ قلت : نعم. قال: فهل رأيت زوجا أحسن منهما؟ قلت: لا يارسول الله.

وبعث النبى عليه الصلاة والسلام مع رجل بلصف (اليسير من الطعام) إلى عثمان فاحتبس الرجل فقال له رسول الله ﷺ :

– ما حبسك؟ ألا كنت تنظر إلى عثمان ورقية تعجب من حسنهما؟

فقال الرجل : نعم يا نبى الله.

ولقى أبو جهل عثمان بن عفان فقال له: ألم يجد الله غير يتيم قريش فيبعثه نبيا كما يزعم؟

فقال عثمان بن عفان : **«أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم»**؟

قال أبو جهل : لقد جاء لنعبد إلها واحدا ونذر ما كان يعبد آباؤنا اللات والعزى وهبل ومناة و ..؟

فقال عثمان بن عفان : «أتجادلون فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان»؟[1]

قال أبو جهل بن هشام؟

– إنها تقربنا إلى الله زلفى.

---

(١) سورة الأعراف آية ٧١.

هجرته إلي الحبشة .. وأول من هاجر :

على الرغم من شرف عثمان بن عفان فى قومه فقد نال من الأذى والعذاب فى سبيل الله الكثير فقد وثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ليفتنوهم عن دينهم، ومنع الله عز وجل نبيه ﷺ بعمه أبى طالب، وكان أبو جهل بن هشام يغرى بالمسلمين فى رجال من قريش إن سمع برجل تبع رسول الله ﷺ له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال :

– تركت دين أبيك وهو خير منك، لنسفهن حلمك ولنفيلن (نخطئن) رأيك ولنضعن شرفك.

وإن كان تاجرا قال له أبو جهل : والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك.

وإن كان ضعيفا ضربه أبو جهل وأغرى به ..

وكان أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام ما بين مكروب ومشجوج فيدعو ويقول :

– اصبروا .

ونفد صبر بعضهم فجاءت جماعة منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن عمرو وقدامة بن مظعون وسعد بن أبى وقاص وقد نزل بهم أذى كبير فقالوا :

– يارسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا ضربنا وأوذينا فأذن لنا فى قتال هؤلاء ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : كفوا أيديكم عنهم.

واشتدت عداوة قريش للنبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه وأنزلوا بهم أشد العذاب فجاءه عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله وقالا:

– يارسول الله لقد ضقنا باضطهاد قومنا وأذاهم بما يصبون فى آذاننا من قذع السباب وفحش القول.

فتغير وجه النبى عليه الصلاة والسلام وأخذ ينظر إلى ابنته وزوجها فى رثاء وإشفاق.

وأقبل عامر بن ربيعة وزوجته ليلى بنت أبى حثمة يشكوان ما يلاقيان من اضطهاد عمر بن الخطاب. وجاء أبو سلمة المخزومى وزوجته أم سلمة (هند بنت أبى أمية بن المغيرة) وفى أعينهما الدمع مما قاسيا من عذاب على أيدى بنى مخزوم. فأطرق رسول الله ﷺ .. ثم رفع رأسه وقال :

– من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجب له الجنة، وكان رفيق أبيه إبراهيم خليل الله ونبيه محمد.

قال عثمان بن مظعون (أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة) :

– أين نذهب يارسول الله؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : تفرقوا فى الأرض فإن الله تعالى سيجمعكم.

فتساءل عثمان بن مظعون : إلى أين نذهب يانبى الله ؟

قال رسول الله ﷺ :

– أخرجوا إلى جهة الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهى أرض صدق.

قال الزبير بن العوام : ومتى نعود إلى مكة يارسول الله؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : عندما يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه.

وأمّر النبى عليه الصلاة والسلام على المهاجرين إلى الحبشة عثمان بن مظعون وقال ﷺ :

– ارجعوا إليه فى شئونكم ويكون قوله إذا تحزبت الأمور.

وفى شهر رجب كان أول من خرج من المسلمين مهاجرا إلى الحبشة عثمان ابن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ .. ثم أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعةوامرأته سهلة بنت سهيل والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى وامرأته أم سلمة وعثمان

ابن مظعون وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت حثمة وأبو سبرة بن أبى رهم وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء وعبد الله بن مسعود. وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة. وكانت أول هجرة فى الإسلام.

وانتهوا إلى البحر ما بين ماش وراكب فاستأجروا سفينة بنصف دينار إلى الحبشة. ولما بلغ ذلك مسامع قريش خرجوا فى آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوهم.

وأبطأ على النبى عليه الصلاة والسلام خبر عثمان بن عفان وابنته رقية. فقدمت امرأة من قريش وقالت :

– يامحمد رأيت ختنك (صهرك) ومعه امرأته ..

فتساءل رسول الله ﷺ : على أى حال رأيتيهما؟

قالت المرأة : رأيته قد حمل امرأته على حمار من هذه الدبابة (الضعيفة التى تدب فى المشى) وهو يسوقها.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : صحبهما الله .. إن عثمان أول من هاجر بأهله بعد لوط عليه السلام.

ورجع مهاجرو الحبشة إلى مكة لما علموا أن عمر بن الخطاب قد أسلم وأن أصحاب رسول الله لم يعبدوا الله سرا بل يصلون ويقرأون القرآن فى البيت الحرام مطمئنين آمنين، وأن قريشا قد آمنت برسول الله ﷺ ، ولكن عندما دخلوا مكة أدركوا أنهم عجلوا فقد نصبت لهم قريش شباكا وأنزلت بهم عذابا أليما إلا من حظى بجوار.

ورأى رسول الله ﷺ أن بعض المسلمين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بينهم على الحق والمساواة، فآخى بين أبى بكر وعمر بن الخطاب، وآخى بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن محمد، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف، وبين الزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود، وبين عبادة ابن الحارث وبلال بن رباح، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص، وبين

أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة،وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله، وبين على بن أبى طالب ونفسه ﷺ .. وقال :

– أما ترضى أن أكون أخاك؟

فقال على فى ابتهاج : بلى يارسول الله رضيت ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

فأنت أخى فى الدنيا والآخرة ..

وأقبلت القبائل إلى الحرم لتؤدى مناسك الحج. فوقف رسول الله ﷺ فى سوق ذى المجاز وقال :

– يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا.

فلما رأى أبو لهب الناس قد اجتمعوا إليه عليه الصلاة والسلام أقبل من ورائه وقال :

– إنه صابئ كاذب .. يا أيها الناس لا يغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد أن تتركوا عبادة اللات والعزى.

فقال ربيعة بن عباد: من هذا الرجل الوضئ الأحول ذو الغديرتين؟

قال رجال من قريش : إنه أبو عتبة عمه ...

قال رسول الله ﷺ : أنا رسول الله بعثنى إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأنزل علىّ الكتاب ..

قال أبو لهب : لا تطيعوه إنه كذاب.

فقال الناس : أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : اللهم لو شئت لم يكونوا هكذا .. واستفحلت العداوة بين قريش وأصحاب رسول الله ﷺ .. فذهب أتباع النبى عليه

الصلاة والسلام إليه يستأذنونه فى الهجرة إلى الحبشة. فأذن لهم . فقال عثمان ابن عفان :

– يارسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى الحبشة ولست معنا.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أنتم مهاجرون إلى الله وإلىّ، لكم هاتان الهجرتان جميعا..

فقال عثمان بن عفان : فحسبنا يارسول الله..

ووجد المهاجرون الأمن والأمان فى الحبشة وعبدوا الله آمنين مطمئنين. وكان عثمان بن عفان يعمل بالتجارة بين الحبشة واليمن. وأسقطت رقية بنت رسول الله ﷺ سقطا .. ثم ولدت ولدا ففرح عثمان وقال :

– عبد الله .

وكان عثمان يكنى به فلما بلغ سنتين نقر عبد الله ديك فى وجهه فطمر وجهه فمات. ولم تلد رقية بنت رسول الله ﷺ شيئا بعد ذلك.

وبينما كان عثمان بن عفان فى سوق نجران علم أن رسول الله ﷺ قد بايعه الأنصار فرجع إلى الحبشة وأخبر المهاجرين بما علم من المسلمين الذين خرجوا فى قوافل قومهم إلى اليمن.

ورجع عثمان ورقية بنت رسول الله ﷺ وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وكثير من مهاجرى الحبشة إلى أم القرى.

ثم هاجر عثمان وزوجته رقية إلى يثرب.

ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت الأنصارى أخى حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ.

جهاده في سبيل الله :

مرضت رقية بنت رسول الله ﷺ بالحصبة فلما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر أذن لعثمان بن عفان بالتخلف.. وماتت رقية يوم ورد البشير (زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة) إلى المدينة بنصر أصحاب رسول الله ﷺ وهزيمة قريش فى

تلك الواقعة الحاسمة (وقيل إن عثمان أصيب بالجدرى قبل أن يخرج النبى عليه الصلاة والسلام إلى بدر فحال مرضه ومرض امرأته دون الخروج إليها مع بعض الصحابة).

وجاء بعض الأنصار وقد لاح فى وجوههم الأسى والحزن لأنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ سيلقى حربا وزاد فى حزنهم أن بنت سيد الخلق ﷺ ماتت دون أن يراها النبى عليه الصلاة والسلام.

ونزل عثمان بن عفان حفرة زوجته. ولما سوى التراب عليها قدم النبى عليه الصلاة والسلام من بدر فوقف على قبرها وقال :

– الحقى بسلفنا عثمان بن مظعون ..

كانت غبطة عثمان بن عفان بمصاهرة رسول الله ﷺ عظيمة، ولكنه أصبح حزينا لانقطاع هذه الصلة فلم ير بعد ذلك إلا مهموما محزونا لفقد زوجته الطاهرة وانقطاع صلته برسول الله ﷺ ، ورآه النبى عليه الصلاة والسلام حزينا فقال له :

– مالى أراك مهموما؟

فقال عثمان بن عفان فى أسى : وهل دخل على أحد ما دخل على يارسول الله؟ ماتت ابنة رسول الله ﷺ التى كانت عندى وانقطع ظهرى وانقطع الصهر بينى وبينك ..

فطيب نبى الرحمة خاطره وزوجه ابنته أم كلثوم .. فسمى بذى النورين (لأنه تزوج من رقية وأم كلثوم بنتى النبى عليه الصلاة والسلام. ولم يعلم أحد بزوج بنتى نبى غيره. ويقال إنه سمى بذى النورين لأن النبى عليه الصلاة والسلام قال فيه نور أهل السماء ومصباح أهل الأرض. ويقال إنه كان يختم القرآن كل ليلة فى صلاته فالقرآن نور وقيام الليل نور).

وشكا المهاجرون تغير الماء بالمدينة ولم يجدوا فيها غير بئر واحدة يستسيغون ماءها وكانت عند يهودى يغالى بثمنها فقد كان يبيع قربة الماء بمد (مكيال من تمر أو شعير) فقال رسول الله ﷺ.

– من يشترى بئر رومة فيجعلها صدقة للمسلمين سقاه الله يوم القيامة من العطش.

فلما سمع عثمان بن عفان قول النبى عليه الصلاة والسلام انطلق إلى اليهودى يساومه على شراء البئر ولكن اليهودى قال :

– ليس لى ولعيالى غيرها ولا أستطيع..

فقال عثمان بن عفان : لا تبعها كلها ..

فتساءل اليهودى : أتريد أن تشترى نصفها؟

فقال عثمان بن عفان : نعم.

فقال اليهودى : أريد خمسة عشر ألف درهم ..

فدفع له ذو النورين عشرة آلاف درهم واتفق مع اليهودى على أن تكون البئر يوما له ويوما لليهودى. فأباح عثمان بن عفان السقيا منها بغير ثمن فى يومه فكان المسلمون يأخذون منه كفايتهم فى ذلك اليوم، ونظر اليهودى فرأى أنه لا ينتفع من نصفه الباقى له بكثير أو قليل فقال لعثمان :

– أفسدت على بئرى فاشتر النصف الآخر ..

فدفع له ذو النورين ثمانية آلاف درهم .. ووهب البئر لمن يستقى منها جميع الأيام.

وشهد عثمان بن عفان مع رسول الله ﷺ غزوة أحد (ولكنه فر مع الذين انكشفوا).

لما كان الغد من يوم الأحد (كان رجوع رسول الله ﷺ إلى المدينة من أحد يوم السبت يوم الوقفة) أذن مؤذن رسول الله ﷺ وقال :

– لا يخرج معنا إلا من حضر بالأمس.

فخرج ليظن الكفار به قوة وخرج مع النبى عليه الصلاة والسلام جماعة جرحى يحملون أنفسهم وساروا حتى بلغوا حمراء الأسد (هى من المدينة على

سبعة أميال) فأقام رسول الله ﷺ بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ومر بالنبى عليه الصلاة والسلام معبد الخزاعى (وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله ﷺ) وكان معبد مشركا فقال :

– يامحمد لقد عز علينا ما أصابك..

ثم خرج من عند رسول الله ﷺ فلقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة إلى النبى عليه الصلاة والسلام ليستأصلوا المسلمين بزعمهم فلما رأى معبد الخزاعى أبا سفيان أسرع أبو سفيان وتساءل:

– ما وراءك؟

قال معبد الخزاعى : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قد جمع معه من تخلف عنه وندموا على ما صنعوا وما ترحل حتى ترى نواصى الخيل ..

فقال أبو سفيان : فو الله قد أجمعنا الرجعة لنستأصل بقيتهم.

فقال معبد الخزاعى : إنى أنهاك عن هذا ..

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه. ومر أبو سفيان بركب من عبد قيس فقال لهم :

– بلغوا محمدا رسالة وأحمل لكم إبلكم هذه زبيبا بعكاظ.

قالوا : نعم .

قال أبو سفيان بن حرب : أخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم.

فمروا بالنبى عليه الصلاة والسلام وهو بحمراء الأسد فأخبروه فقال ﷺ :

– حسبنا الله ونعم الوكيل.

ثم عاد إلى المدينة وظفر فى طريقه بمعاوية بن المغيرة بن أبى العاص وبأبى عزة عمرو بن عبد الله الجمحى وكان قد تخلف عن المشركين بحمراء الأسد

فساروا وتركوه نائما (كان أبو عزة قد أسر يوم بدر وأطلقه النبى عليه الصلاة والسلام بغير فداء لأنه شكا إليه فقرا وكثرة عيال (خمس بنات) فأخذ رسول الله ﷺ العهود أن لا يقاتله ولا يعين على قتاله ولكنه خرج إلى تهامة ودعا بنى كنانة لحرب رسول الله ﷺ وخرج مع قريش وأحابيشها يوم أحد فلما أتى به النبى عليه الصلاة والسلام قال أبو عزة.

– يا محمد امنن على ودعنى لبناتى وأعطيك عهدا ألا أعود لمثل ما فعلت.

فقال رسول الله ﷺ : لا والله لا تمسح عارضيك بمكة فى الحجر وتقول : خدعت محمدا مرتين، المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين .. اضرب عنقه يا زبير ..

فضرب الزبير بن العوام عنق أبى عزة ورفع رأسه على رمح ليكون أول رأس حمل فى الإسلام ..

أما معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية (هو الذى جدع أنف حمزة بن عبد المطلب ومثل به مع من مثل به) فكان قد أخطأ الطريق فلما أصبح أتى دار عثمان بن عفان فلما رآه قال له عثمان:

– أهلكتنى وأهلكت نفسك ..

فقال معاوية بن المغيرة : أنت أقرب منى رحما وقد جئتك لتجيرنى .

فأدخله عثمان بن عفان داره وقصد النبى عليه الصلاة والسلام ليشفع فيه فسمع رسول الله ﷺ يقول :

– إن معاوية بالمدينة فاطلبوه .

فأخرجوه من دار عثمان بن عفان وانطلقوا به إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقال عثمان :

– والذى بعثك بالحق ما جئت إلا لأطلب له أمانا فهبه لى ..

فوهبه له وأجله ثلاثة أيام وأقسم لئن أقام بعدها ليقتلنه. فجهزه عثمان بن عفان وقال له :

- ارتحل .

وسار النبى عليه الصلاة والسلام إلى حمراء الأسد وأقام معاوية بن المغيرة ليعرف أخبار رسول الله ﷺ. فلما كان اليوم الرابع قال النبى عليه الصلاة والسلام:

- إن معاوية أصبح قريبا ولم يبعد فاطلبوه ..

فطلبه زيد بن محمد وعمار بن ياسر فأدركاه بالحماة فقتلاه .

وكان رسول الله ﷺ يحب عثمان فقد كان حديثه بعيدا عن اللغو والثرثرة وكان النبى عليه الصلاة والسلام يتوق إلى أحاديثه فى بعض أوقاته .. فذات يوم قال لعائشة :

- لو كان معنا من يحدثنا ؟

فقالت أم المؤمنين عائشة : يارسول الله أفأبعث إلى أبى بكر؟

فسكت .. فقالت عائشة : أفأبعث إلى عمر؟

فسكت .. ثم دعا وصيفا بين يديه فساره فذهب. فإذا عثمان يستأذن. فأذن له فدخل فناجاه رسول الله ﷺ طويلا.

وذهب رسول الله ﷺ إلى بيت ابنته أم كلثوم فنظر إلى ذى النورين وقال لابنته:

- إن بعلك أشبه بجدك إبراهيم وأبيك محمد.

رسول الله ﷺ يبايع عن عثمان :

وشهد ذو النورين غزوة الخندق، ويوم الحديبية أراد رسول الله ﷺ أن يبعث عمر بن الخطاب إلى مكة ليخبر سادات قريش أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يأت لحرب ولكن جاء هو ومن معه ليعتمروا ويعظموا المسجد الحرام (كان عمر بن الخطاب سفير قريش فى الجاهلية) فقال عمر :

- يارسول الله إنى أخاف قريشا على نفسي وما بمكة من بني عدى بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظتى عليها فلو بعثت يارسول الله عثمان إليهم فهو بينهم أعز منى.

كان بنو أمية بنى عم عثمان بن عفان، وكانت لهم الكلمة العليا والسلطان فى مكة، فدعاه رسول الله ﷺ وبعثه إلى سادات قريش ليخبرهم أن رسول الله ﷺ لم يأت لحرب، إنه أتى زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته .. فانطلق عثمان إلى مكة ولم يمنعه شرفه أن يسلم من ألسنة السفهاء وأيديهم فبطشوا به لولا أن تصدى لهم ابن عمه أبان بن سعيد بن العاص وأجازه، وانقطع خبر عثمان فقال أصحاب رسول الله ﷺ :

- قد خلص عثمان إلى البيت فطاف به دوننا.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

- ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون.

فقالوا : وما يمنعه يارسول الله وقد خلص إليه؟

فقال رسول الله ﷺ : ذلك ظنى به أن لايطوف بالكعبة حتى نطوف. لو مكث كذا وكذا سنة ماطاف به حتى أطوف.

وطلب أبان بن سعيد من عثمان بن عفان أن يطوف بالبيت فقال ذو النورين: ما كنت لأفعل حتى يطوف رسول الله ﷺ.

وبينما كان رسول الله ﷺ جالسا تحت شجرة الطلح ، وإذا برجل جاء إليه يسعى ويقول :

- قتل عثمان بن عفان.

فهب النبى عليه الصلاة والسلام واقفا. لقد حبسه رجال قريش ثلاثة أيام يتشاورون فى أمره فقال رسول الله ﷺ :

- إن الله أمرنى بالبيعة.

وبينما الناس جلوس قائلون إذ نادى عمر بن الخطاب : أيها الناس البيعة نزل بها روح القدس، فاخرجوا على اسم الله.

فسار الناس إلى النبى عليه الصلاة والسلام وكان أول من بايع أبو سنان الأسدى فوضع يده على يد رسول الله ﷺ وقال :

– أبايعك على ما فى نفسك.

فتساءل النبى عليه الصلاة والسلام : وما فى نفسى؟

– أضرب بسيفك بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل.

وصار الناس يقولون للنبى عليه الصلاة والسلام وهم يبايعونه تحت الشجرة :

– نبايعك على ما بايعك عليه أبو سنان.

قال أبو سنان الأسدى : وبايع رسول الله ﷺ أصحابه على ألا يفروا، فكانت بيعة الرضوان أو بيعة الشجرة.

وبايع النبى عليه الصلاة والسلام عن عثمان بن عفان فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال :

– اللهم إن عثمان ذهب فى حاجة الله وحاجة رسوله فأنا أبايع عنه.

ثم قال رسول الله ﷺ :

– لن يلج النار أحد شهد بدراً (لم يشهد عثمان بن عفان بدرا لأن رسول الله ﷺ قال له: ارجع. وضرب له بسهمه وأجره فهو معدود من البدريين) والحديبية.

ولما بلغ قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد بايعوه على قتال أهل مكة يومئذ. فخافوا وبعثوا سهيل بن عمرو ليكتب صلحا مع رسول الله ﷺ .. وجاء عثمان إلى الحديبية ففرح المسلمون عندما رأوه وأدركوا أن ما جاء به الرجل إنما هو خبر كاذب. واستقبل أصحاب رسول الله ﷺ عثمان بن عفان بالترحاب وسألوه:

– طفت بالبيت؟

فقال عثمان فى عتاب : بئسما ظننتم بى، دعتنى قريش إلى أن أطوف بالبيت والذى نفسى بيده لو مكثت بها معتمرا سنة ما طفت حتى يطوف رسول الله ﷺ.

وأنزل الله تعالى : ﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل سكينته عليهم وأثابهم فتحا قريبا﴾(١)

ولما بلغ رسول الله ﷺ كراع الغميم أنزل الله تعالى﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا* ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما* وينصرك الله نصرا عزيزا﴾.(٢)

فتساءل عمر بن الخطاب : أو فتح هو يا رسول الله ؟

وقال بعض المسلمين : ماهو بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا ..

فقال رسول الله ﷺ : نعم والذى نفسى بيده إنه فتح ..

ورجع النبى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة.

عثمان يكتب الوحي والنبي يبشره بالجنة:

وكان عثمان بن عفان يكتب لرسول الله ﷺ الوحى عند نزوله وكان النبى عليه الصلاة والسلام يناديه متحببا ويقول له وهو يملى عليه :

– اكتب يا عثيم ..

وشهد ذو النورين مع رسول الله ﷺ فتح خيبر. ولما خرج النبى عليه الصلاة والسلام لمحاربة بنى محارب (غزوة ذات الرقاع أو غزوة الأعاجيب – لما وقع فيها من الأمور العجيبة) استخلف عثمان بن عفان على المدينة.

ولما أراد رسول الله ﷺ أن يزيد فى مسجده فقال :

– من يزيد فى مسجدنا؟

---

(١) سورة الفتح آية ..

(٢) أول سورة الفتح.

فلم ينتظر ذو النورين واشترى موضع خمس سوار فزاد فى المسجد فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– إن أشد هذه الأمة بعد نبيها حياء عثمان.

ودخل رسول الله ﷺ على ابنته أم كلثوم فقال لها :

– أكرميه (عثمان بن عفان) فإنه من أشبه أصحابى بى خلقا.

وخرج عثمان بن عفان مع النبى عليه الصلاة والسلام وشهد عمرة القضاء.

يقول أبو موسى الأشعرى (عبد الله بن قيس):

– كنت مع رسول الله ﷺ فى حديقة بنى فلان والباب علينا مغلق إذ استفتح رجل فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– ياعبد الله بن قيس قم فافتح له الباب وبشره بالجنة.

فقمت ففتحت الباب فإذا أنا بأبى بكر الصديق فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله ودخل فسلم وقعد وأغلقت الباب، فجعل النبى عليه الصلاة والسلام ينكت بعود فى الأرض فاستفتح رجل آخر فقال رسول الله ﷺ:

– ياعبد الله بن قيس قم فافتح له الباب وبشره بالجنة.

فقمت وفتحت الباب فإذا أنا بعمر بن الخطاب فأخبرته بما قال النبى عليه الصلاة والسلام فحمد الله ودخل فسلم وقعد وأغلقت الباب فجعل النبى عليه الصلاة والسلام ينكت بذلك العود فى الأرض إذ استفتح ثالث الباب فقال رسول الله ﷺ :

– يا عبد الله بن قيس قم فافتح الباب وبشره بالجنة على بلوى تكون.

فقمت ففتحت الباب فإذا أنا بعثمان بن عفان فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فقال عثمان:

– إنه المستعان وعليه التكلان.

ثم دخل فسلم وقعد.

يوم فتح مكة :

ولما فتح رسول الله ﷺ أم القرى رأى فى الكعبة صور الملائكة وصور إبراهيم وإسماعيل فى أيديهما الأزلام يستقسمان وصور الأنبياء وصورة مريم : فقال عليه الصلاة والسلام :

– قاتل الله قوما يصورون مالا يخلقون ..

وأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان أن يقدما إلى البيت ليمحوا كل صورة فيه، ومحيت الصور وبقيت صورة إبراهيم فقال رسول الله ﷺ لعمر وعثمان:

ألم آمر ألا تترك فيها صورة؟ قاتلهم الله حيث جعلوه شيخا يستقسم بالأزلام ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين﴾. (1)

ودعا النبى عليه الصلاة والسلام بدلو به ماء فأتاه أسامة بن زيد فجعل ﷺ يمحوها. وتعلق بأستار الكعبة رجال قد أهدر النبى عليه الصلاة والسلام دماءهم منهم : عبد الله بن أبى سرح فقد كان مسلما قبل الفتح، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحى وكان رسول الله ﷺ إذا أملى عليه سميعا بصيرا كتب عليما حكيما، وإذا أملى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما وكان يفعل مثل هذه الخيانات حتى صدر عنه أنه قال :

– إن محمدا لا يعلم ما يقول.

فلما ظهرت خيانته لم يستطع أن يقيم بالمدينة فارتد وهرب إلى مكة (وقيل إنه لما كتب «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين»(2) فنطق بقوله: «فتبارك الله أحسن الخالقين» قبل إملائه. فقال رسول الله ﷺ : اكتب ذلك. هكذا أنزلت. فقال عبد الله بن أبى سرح : إن كان محمد نبيا يوحى إليه فأنا نبى يوحى

---

(1) سورة آل عمران آية ٦٧.

(2) سورة المؤمنون آية ١٢.

إلى .. فارتد ولحق بمكة، فقال لأشراف قريش : إنى كنت أصرف محمدا كيف شئت. كان يملى على عزيز حكيم فأقول : أو عليم حكيم فيقول : نعم كل صواب، وكل ما أقوله يقول : أكتب هكذا نزلت).

ولما علم عبد الله بن أبى سرح بإهدار دمه لجأ إلى ذى النورين أخيه من الرضاعة فقال له :

– يا أخى استأمن لى رسول الله ﷺ قبل أن يضرب عنقى.

فغيبه عثمان بن عفان حتى هدأ الناس واطمأنوا فاستأمن له .. ثم أتى عبدالله بن أبى سرح مع عثمان بن عفان فأعرض النبى عليه الصلاة والسلام عن عبد الله فصار عثمان يقول :

– يارسول الله أمنته.

ورسول الله ﷺ يعرض عنه .. ثم قال : نعم.

فبسط يده فبايعه. فلما خرج عثمان وعبد الله قال النبى عليه الصلاة والسلام:

– أعرضت عنه مرارا ليقوم إليه بعضكم ليضرب عنقه.

ثم قال رسول الله ﷺ لعباد بن بشر (وكان نذر إن رأى عبد الله بن أبى سرح قتله. أى وقد أخذ بقائم السيف ينتظر النبى عليه الصلاة والسلام يشير إليه أن يقتله) :

– انتظرتك أن تفى بنذرك.

قال عباد بن بشر :

– يارسول الله خفتك أفلا أومضت إلى؟

قال رسول الله ﷺ : إنه ليس لنبى أن يومض. الإيماء خيانة ليس لنبى أن يومى. لا ينبغى لنبى أن تكون له خائنة الأعين. (الإيماء بالعيون : أى يومى بطرفه خلاف ما يظهره بكلامه وهو اللمز هذا)

وصار عبد الله بن أبى سرح يستحى من مقابلة النبى عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله ﷺ لعثمان :

- أما بايعته وأمنته؟

فقال ذو النورين : بلى، ولكن يذكر جرمه القديم فيستحى منك ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : الإسلام يجب ما قبله.

وأخبر عثمان بن عفان أخاه عبد الله بن أبى سرح بذلك ومع ذلك صار إذا جاء جماعة إلى رسول الله ﷺ يجئ معهم ولا يجئ إليه بمفرده.

يقول عبد الله بن عباس : نزل قوله تعالى : ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين﴾[1] فى عشرة هم : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله ابن مسعود.

غزوة تبوك :

وعلم رسول الله ﷺ أن الروم قد جمعت له وأن بنى الأصفر أرادوا غزو المدينة فأعلن النبى عليه الصلاة والسلام أنه يريد الروم.

وأخذ رسول الله ﷺ يحض أهل الغنى على النفقة والحمل فى سبيل الله فبادر كبار المسلمين ببذل أموالهم فى سبيل الله وكان عثمان بن عفان من أيسرهم حالا فقام وقال :

– يارسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتا بها فى سبيل الله ..

ثم حث النبى عليه الصلاة والسلام على النفقة على جيش العسرة فقام عثمان بن عفان وقال :

– يارسول الله على مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله.

ثم حض رسول الله ﷺ على النفقة على الجيش الثالثة فقام عثمان بن عفان وقال :

---

(١) سورة الحجر آية ٤٧.

– يارسول الله علىّ ثلاث مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله.

فقال رسول الله ﷺ : اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض.

وجاء عثمان بن عفان بألف دينار فصبها فى حجر رسول الله ﷺ فجعل النبى عليه الصلاة والسلام يقلبها بيديه ويقول :

– ما ضر عثمان ماعمل بعد هذا اليوم. ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم. ما ضر عثمان ما عمل بعد هذا اليوم.

وترامى إلى مسمع عثمان بن عفان قول رسول الله ﷺ :

– من جهز جيش العسرة غفر الله له .

لقد اشترى ذو النورين الجنة من قبل يوم أن اشترى (حفر) بئر رومة لم لايشترى الجنة مرة ثانية ويجهز جيش العسرة (غزوة تبوك)؟

انطلق ذو النورين إلى مسجد رسول الله ﷺ فوجد سعد بن أبى وقاص وعلى بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف فقال لهم :

– أنشدكم بالله هل تعلمون أن النبى عليه الصلاة والسلام قال : من جهز جيش العسرة غفر الله له (فله الجنة)؟

قالوا : اللهم نعم ..

فجهزهم عثمان بالخيل والزاد وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الأسقية.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : اللهم لا تنس لعثمان ما عمل بعد هذا اليوم.

ثم قال ﷺ : اللهم اغفر لعثمان ما أقبل وما أدبر وما أخفى وما أعلن وما أسر وما اجهر .

ونظر النبى عليه الصلاة والسلام إلى ذى النورين وأردف :

- غفر الله لك ياعثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما أبديت وما كان منك وماهو كائن إلى يوم القيامة.

ثم قال عليه الصلاة والسلام : بارك الله لك يا أبا عمرو فى مالك وغفر لك ورحمك وجعل ثوابك الجنة.

ولما رجع رسول الله ﷺ من تبوك مرضت ابنته أم كلثوم .. ثم ماتت فحزن عثمان بن عفان حزنا شديدا فلما رأى النبى عليه الصلاة والسلام حزنه قال له :

-زوجوا عثمان، لو كان لى ثالثة لزوجته وما زوجته إلا بوحى من الله.

كان ذو النورين يرى أن صهره واتصاله بالنبى عليه الصلاة والسلام قد انقطع فلزمه الحزن. ويقول على بن أبى طالب :

- سمعت رسول الله ﷺ يقول لعثمان : لو كان لى أربعون ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة.

وقال ﷺ : سألت ربى عز وجل ألا يدخل النار أحدا صاهر إلى أو صاهرت إليه .

وحث النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه فقال :

ألا أبو أيم ألا أخو أيم يزوجها عثمان؟ ولو كن عشرا لزوجتهن، وما زوجته إلا بوحى من السماء

نبوءة رسول الله .. ومقتل عثمان :

لقد كان رسول الله ﷺ يحب عثمان بن عفان وقد تنبأ بمقتله .. يقول أوس ابن أوس الثقفى :

- سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينما أنا جالس إذ جاءنى جبريل فحملنى فأدخلنى جنة ربى فبينما أنا جالس إذ جعلت فى يدى تفاحة فانفلقت التفاحة نصفين فخرجت منها جارية لم أر جارية أحسن منها حسنا ولا أجمل منها جمالا تسبح تسبيحا لم يسمع الأولون والآخرون بمثله فقلت : من أنت يا جارية؟ قالت :

أنا من الحور العين خلقنى الله تعالى من نور عرشه. فقلت : لمن أنت؟ فقالت : أنا للخليفة المظلوم عثمان بن عفان.

وقال عقبة بن عامر : قال رسول الله ﷺ :دخلت الجنة فإذا بقصر من ذهب ودر وياقوت فقلت : لمن هذا ؟

قالوا : للخليفة من بعدك المقتول ظلما عثمان بن عفان.

وتقول أم المؤمنين عائشة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : كيف أنت ياعثمان إذا لقيتنى يوم القيامة وأوداجك تشخب دما، فأقول : من فعل بك هذا؟ فتقول : بين خاذل وقاتل وآمر، فبينما نحن كذلك إذ ينادى منادى العرش : إن عثمان قد حكم فى أصحابه.

وتقول عائشة بنت أبى بكر .. أيضا : قال رسول الله ﷺ : ياعثمان إن الله مقمصك (أى كساك الله قميصا) قميصا يريدك الناس على خلعه فلا تخلعه فإن أنت خلعته لم ترح رائحة الجنة.

وكان ذو النورين موضع سر النبى عليه الصلاة والسلام .. فلما اشتد مرض رسول الله ﷺ وأغمى عليه فقالت أم المؤمنين حفصة بنت عمر لعائشة بنت أبى بكر :

– أترينه قد قبض ؟

قالت عائشة : لا أدرى .

ثم أفاق رسول الله ﷺ فقال : افتحوا له الباب .

فتساءلت حفصة وهى تنظر نحو عائشة : أبوك أو أبى؟

فقالت عائشة : لا أدرى.

ففتحتا الباب .. فإذا عثمان بن عفان. فلما رآه رسول الله ﷺ قال : ادنه.

فأكب عليه فساره بشئ لم تدر حفصة وعائشة ماهو؟ ثم رفع النبى عليه الصلاة والسلام رأسه وتساءل:

– أفهمت ما قلت لك ؟

قال ذو النورين : نعم .

قال رسول الله ﷺ : ادنه.

فأكب عليه مثلها فساره ماتدرى حفصة وعائشة ماهو؟ ثم رفع رأسه وقال:

– أفهمت ماقلت لك؟

قال عثمان بن عفان: نعم .. سمعته أذناى ووعاه قلبى.

ثم أمره النبى عليه الصلاة والسلام .. فانصرف.

فلقد كان عثمان له منزلة الرضى من النبى عليه الصلاة والسلام إلى يوم وفاته. فكان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون عن عثمان : – إنه ممن توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض.

فى عهد أبى بكر .. وعمر :

وكان عثمان بن عفان أقرب الناس إلى الخليفة الأول بعد عمر بن الخطاب فكان يستشيره فى كثير من الأمور . ولم يبخل ذو النورين بماله والإنفاق فى سبيل الله. فقد قحط الناس فى زمن أبى بكر الصديق فقال خليفة رسول الله ﷺ .

– لا تمسون حتى يفرج الله عنكم.

فلما كان من الغد جاء البشير إليه فقال :

– لقد قدمت لعثمان ألف راحلة برا وطعاما.

فغدا تجار المدينة على قصر عثمان بن عفان فقرعوا الباب فخرج إليهم وتساءل :

– ماتريدون ؟

قال تجار المدينة : بلغنا أنه قدم لك ألف راحلة برا وطعاما.

فقال عثمان بن عفان : نعم.

قالوا : بعنا حتى نوسع على فقراء المدينة.

فقال لهم ذو النورين : كم تربحوننى على شرائى من الشام؟

قال تجار المدينة : العشرة اثنى عشر.

فقال عثمان بن عفان : قد زادونى .

قالوا : العشرة أربعة عشر.

قال ذو النورين : زادونى.

قال تجار المدينة : العشرة خمسة عشر.

قال عثمان بن عفان :قد زادونى.

فنظر تجار المدينة بعضهم إلى بعض وتساءلوا:

– من زادك ونحن تجار المدينة؟

قال ذو النورين : زادنى بكل درهم عشرة .. هل عندكم زيادة؟

من الذى يستطيع أن يجعل الحسنة بعشرة أمثالها غير العزيز العليم؟ لقد أدرك تجار المدينة أن عثمان بن عفان يريد ثواب الآخرة فقالوا:

– ليس عندنا زيادة.

فقال عثمان بن عفان : فأشهدكم معشر التجار أنها صدقة على فقراء المدينة.

لقد كان عثمان سخيا بماله فى سبيل الله كما كان سمحا .. فقد كان ينام فى مسجد رسول الله ﷺ ورداؤه تحت رأسه فيأتى الرجل فيجلس إليه ثم يجئ الرجل فيجلس إليه كأنه أحدهم.

يقول ذو النورين : قال رسول الله ﷺ : من أدركه الأذان فى المسجد ثم خرج لحاجة وهو لايريد الرجعة فهو منافق.

ويتحدث عثمان بن عفان عن السماحة فى البيع فيقول : قال رسول الله ﷺ : أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا بائعا ومشتريا.

ويقول ذو النورين : كنت أبيع التمر فى السوق فأقول : كلت فى وسقى هذا كذا فأدفع أوساق التمر بكيلة وآخذ شفى - ربحى - فدخلنى من ذلك شئ فسألت النبى عليه الصلاة والسلام فقال : إذا سميت الكيل فكله.

ولما ثقل أبو بكر دعا عثمان بن عفان فجلس بجانبه على سريره فقال له : أخبرونى عن عمر.

فقال ذو النورين : أنت أخبرنا به.

ودخل عليه بعض الصحابة فقال له قائل منهم :

- ياخليفة رسول الله ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته ؟

فقال أبو بكر الصديق :

- بالله تخوفنى؟ أقول: اللهم إنى استخلفت عليهم خير أهلك . أبلغ عنى ما قلت مَنْ وراءك.

ثم قال لذى النورين : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر ابن أبى قحافة فى آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب أنى استخلفت عليكم بعدى عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا.

ثم راح فى غيبوبة الموت .. فلما أفاق من تلك الغشية سأل عثمان بن عفان : من كتبت؟

قال ذو النورين : عمر.

لقد كتبها وهو يعلم أنه لا يعدو بها نية الخليفة المحتضر فإن أفاق أتم عهده كما أراد وإن مات فى تلك الغشية بطلت اللجاجة فيما أراد وانسد باب الفتنة والخلاف.

نظر أبو بكر إلى عثمان بن عفان نظرة المستريح إلى أمانة كاتبه وقال : بارك الله فيك بأبى أنت وأمى لو كتبت نفسك كنت لها أهلا.

كان الصديق يرى فى ذى النورين أنه أهل للخلافة وإن رأى أن الفاروق عمر أحق بها منه.

ولما ثقل أبو بكر أشرف على الناس من كوة فقال :

– أيها الناس إنى عهدت عهدا أفترضون به؟

فقال الناس : رضينا يا خليفة رسول الله.

فقام على بن أبى طالب فقال : لا نرضى إلا أن يكون عمر.

فقال أبو بكر : فإنه عمر.

ولما بايع الناس عمر بن الخطاب كان عثمان بن عفان أقرب الناس إلى أمير المؤمنين عمر فركن إليه فى طلب المشورة وعمل بمشورته فى إحصاء الناس والأعطية، وفى بدء السنة بشهر المحرم..

ولما طعن أبو لؤلؤة المجوسى عمر بن الخطاب .. جعل الفاروق أمر الخلافة فى ستة من أصحاب رسول الله ﷺ وهم من رضى النبى عليه الصلاة والسلام عنهم قبيل وفاته وكان هؤلاء النفر الكرام المرضى عنهم هم ملتقى الآراء بين خاصة المسلمين وعامتهم فلا يسمون خليفة إلا كان واحدا من هؤلاء : على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وطلحة ابن عبيد الله والزبير بن العوام ..

وانحصرت الخلافة بين على وعثمان فلقى عبد الرحمن بن عوف على بن أبى طالب فقال له :

– تقول يا أبا الحسن إنى أحق من حضر بهذا الأمر لقرابتك وسابقتك وحسن أثرك فى الدين ولم تبعد فى نفسك ولكن أرأيت لو صرف هذا الأمر عنك فلم تحضر من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق به؟

قالوا أبو الحسن : عثمان.

ولقى عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان فقال له :

- إنك تقول : شيخ من بني عبد مناف وصهر رسول الله وابن عمه ولى سابقة وفضل فأين يصرف هذا الأمر عنى؟ ولكن لو لم تحضر من كنت ترى من هؤلاء؟

قال ذو النورين : على .

ولما بايع الناس عثمان بن عفان بايعه على وقال : كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين.

وقال عبد الله بن مسعود : بايعنا عثمان بن عفان ولم نأل.

وقد بويع عثمان بعد دفن عمر بن الخطاب بثلاث ليال.

خلافته :

كانت بيعة أمير المؤمنين عثمان فى شهر المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة وفيها عزل ذو النورين المغيرة بن شعبة الثقفى عن الكوفة واستعمل سعد بن أبى وقاص عليها بوصية عمر :

- أوصى الخليفة بعدى أن يستعمل سعدا فإنى لم أعزله عن سوء ولا خيانة.

فكان سعد بن أبى وقاص أول عامل بعثه أمير المؤمنين عثمان بن عفان. وفى هذه السنة فتحت الرى وكانت فتحت وانتقضت، وفى هذه السنة أصاب الناس رعاف فقيل لها : سنة الرعاف، وأصاب أمير المؤمنين عثمان رعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى. وفيها فتح من الروم حصون كثيرة.

وفى سنة خمس وعشرين عزل ذو النورين سعد بن أبى وقاص عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن أبى معيط (كان عقبة من ألد أعداء النبى عليه الصلاة والسلام فى مكة وقتل يوم بدر) والوليد (نزل فيه قوله

تعالــى : «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا»[1] أخو عـثمان بن عـفان لأمه وقد صلى الوليد بالناس الصبح وهو سكران ثم التفت إليهم وتساءل:

– أزيدكم؟

وكان نقش أمير المؤمنين عثمان على خاتمه «آمنت بالله مخلصا».

وجاءت الفتـوحات الإسلامية العـريضة فى عهد ذى النورين ففـتحت سابور وقبرص، و .. أرجان ودرابجرد فتدفـقت الأموال على مدينة رسول الله ﷺ فأصبح الناس فى خير عميم وعز مقيم.

يقول ابن سيـرين : كثر المال فى زمن عثـمان حتى بيعت جـارية بوزنها (أى دراهـم) وفرس بمائة ألف درهـم ونخلة بألف درهم.

وقـال الحسـن البـصرى : شـهـدت منادى عثـمان ينادى : يا أيها الناس اغـدوا على أعطياتكم.

فيغدون ويأخذونها وافرة ..

– يا أيها الناس أغدوا على أرزاقكم.

فيأخذونها وافية ..

– يا أيها الناس اغدوا على كسـواتكم.

فيأخذون الحلل.

– يا أيها الناس اغدوا على السمن والعسل. أرزاق دارة وخير كثير.

وتوالت الفتـوحات الإسلاميـة ففتحت جـور وبلاد كثيرة من أرض خـراسان .. وكـثر الخـراج على أمـير المؤمـنين عثـمـان، وأتاه المال من كل وجه حـتى اتخـذ له الخـزائن وأدر الأرزاق وكان يأمـر للرجل بمائة ألف ..

---

(١) سورة الحجرات آية ٦.

جمع القرآن .. ومصحف عثمان :

وجاءت الفتوحات العريضة بالثراء الطارئ والدنيا الحافلة بالإغراء والاختلاط بين أجناس مختلفة تمخضت عن مشاكل كثيرة على الرغم من أن الإسلام كان ينشر عدله ورحمته على تلك البلاد. فبعد أن أصبح القرآن كتاب شعوب كثيرة لكل منها لهجته ولسانه فقد أمسى الاختلاف فى قراءته مصدر خطر عظيم، وهو خطر يهدد وحدة الدولة الجديدة المنتشرة فى مشارق الأرض ومغاربها أكثر مما يهدد القرآن ذاته فكتاب الله قد تكفل بحفظه «إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون»[1] فقد شهد كاتم سر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان خلافا مفزعا بين أهل الشام وأهل العراق. فقد كان أهل الشام يقرءون على قراءة المقداد بن عمرو وأبى الدرداء. وكان أهل العراق يقرءون على قراءة عبد الله بن مسعود وأبى موسى الأشعرى. وتعصب كل من الطائفتين لقراءته وكاد الخلاف أن يكون نزاعا .. فصداما .. فانطلق حذيفة إلى مدينة رسول الله ﷺ فوضع القضية بين يدى أمير المؤمنين عثمان .. ثم قال :

– يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف فى كتابها كما اختلف الذين من قبلهم فى كتبهم. ولم يتوان ذو النورين لحظة فأرسل إلى الصحابة وأخبرهم فأعظموه وقرر أمير المؤمنين عثمان أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع المسلمين فى عهده وإلى أن تقوم الساعة على قراءة واحدة فبعث ذو النورين إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر وقال لها :

– أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها.

وكانت هذه الصحف هى التى كتبت فى أيام أبى بكر .. ثم استدعى أمير المؤمنين عثمان زيد بن ثابت الأنصارى وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث وشرح لهم مهمتهم وأوصاهم إذا اختلفوا فى شئ أن يكتبوه بلغة قريش فإنما نزل بلسانهم .. ففعلوا. ولما نسخوا الصحف ردها ذو النورين إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر. ثم أمر أمير المؤمنين عثمان أن ينسخ عددا من المصاحف، وأرسل إلى كل أفق بمصحف (مصحف عثمان) وحرق ما سوى ذلك وأمر أن يعتمدوا عليها ويدعوا ما سوى ذلك.

---

(١) سورة الحجر آية ٩.

وراح الناس يمتدحون الخليفة الثالث لما بنى مسجد رسول الله ﷺ - أوسع وزاد فى مساحته - فلما أكثروا عليه قال :

- إنكم أكثرتم على وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله بنى الله له بيتا فى الجنة.

ويقول ذو النورين : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل.

أصعب خلافة تولاها خليفة :

وكان من الممكن أن تدوم هذه الحال وتزداد الحياة فى عهد ذى النورين طيبا ونفعا لولا الفتوحات الواسعة العظيمة، فقد أدخلت إلى النفوس الفساد، والفتن، ولقد حذر النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه وكأنه ﷺ يستشف من وراء الحجب تلك الانعكاسات المنذرة الخطيرة.

يقول أسامة بن زيد : أشرف النبى عليه الصلاة والسلام على أطم (مرتفع) من آطام المدينة وقال :

هل ترون ما أرى؟

فقال أصحابه الذين كانوا معه : لا.

قال : فإنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كموقع القطر.

وقال عبد الله بن عمر : قال رسول الله ﷺ : إذا مشت أمتى المطيطاء (الخيلاء) وخدمتها أبناء الملوك فارس والروم سلط شرارها على خيارها.

ولقد تم ذلك فى عهد الخليفة الثالث، فقد شهد مقدم عهده سيل الفتن حمله إليه أهل الأمصار وشراذم من شذاذ القبائل وجفاة الأعراب مشت بينهم الرسل وتلاقت أهواؤهم على الفتنة فقد عتبوا (عيبوا) على أمير المؤمنين عثمان ابن عفان أنه استعمل أقرباءه، فكان بالشام معاوية بن أبى سفيان وبالبصرة سعيد بن العاص وبمصر عبد الله بن أبى سرح وبخراسان عبد الله بن عامر، وكان من حج منهم يشكو من أميره وكتب ذو النورين لوزيره ومستشاره مروان

ابن الحكم بخمس خراج إفريقية وأعطى أقرباءه المال وقال : إن أبا بكر وعمر تركا من ذلك ماهو لهما وإنى أخذته فقسمته فى أقربائى.

فكره ولايته نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لأن عثمان كان يحب قومه (بنى أمية) ممن لم يكن لهم مع النبى عليه الصلاة والسلام صحبة فكان يجئ من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام، وكان ذو النورين يستعتب فيهم فلا يعزلهم (وذلك سنة خمس وثلاثين) فلما كان فى الست الأواخر استأثر بنى عمه فولاهم وما أشرك معهم وأمرهم بتقوى الله .. وجاء أهل مصر يشكون عبد الله بن أبى سرح ويتظلمون منه (كان قبل ذلك من عثمان هناة إلى عبد الله ابن مسعود وأبى ذر الغفارى وعمار بن ياسر فكانت بنو هذيل وبنوزهرة فى قلوبهم ما فيها لحال عبد الله بن مسعود، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبى ذر فى صدورهم ما فيها، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر) فكتب ذو النورين إلى عبد الله بن أبى سرح كتابا يتهدده فيه، وفى الواقع أن عثمان كان لين العريكة متسامحا كثير الإحسان والحلم فأبى عبد الله بن أبى سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله.

فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا مسجد رسول الله ﷺ وشكوا إلى الصحابة فى مواقيت الصلاة ما صنع عبد الله بن أبى سرح بهم فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بن عفان كلاما شديدا وأرسلت أم المؤمنين عائشة إليه فقالت :

– تقدم إليك أصحاب محمد ﷺ وسألوك عزل الرجل (ابن أبى سرح) فأبيت؟ فهذا قد قتل منهم رجلا فأنصفهم عن عاملك.

ودخل على أمير المؤمنين عثمان على بن أبى طالب ليحدثه فى شأن عماله وأقاربه الذين ملأوا البلاد فسادا فقال ذو النورين :

– أما والله لو كنت مكانى ما عنفتك ولا أسلمتك ولا عبت عليك .. أترانى جئت منكرا إذ وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضائعا ووليت شبيها بمن كان عمر يولى ؟

فقال على بن أبى طالب : نعم.

قال عثمان بن عفان : فلم ألام إذا وليت ابن عامر فى رحمه وقرابته؟

قال على بن أبى طالب : إن عمر كان إذا ولى أحدا فإنما يطأ على صماخيه فإن بلغه شئ جاء به ويلغ فى زجره أقصى الغاية أما أنت فلا تفعل فقد ضعفت ورفقت بأقاربك..

فقال أمير المؤمنين عثمان : هم أقاربك أيضا يا على.

فقال على بن أبى طالب : نعم إن رحمهم منى لقريبة ولكن الفضل فى غيرهم.

فتساءل عثمان بن عفان : ألم تعلم أن عمر ولى معاوية طوال عهده وخلافته فهل ألام إن أنا وليته؟

فقال على بن أبى طالب : فهل تعلم أن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر؟

فقال أمير المؤمنين عثمان : نعم كان كذلك.

فقال أبو الحسن : فها هو يقطع الأمور دونك وأنت لا تنهاه. وها هم أهل مصر يسألونك رجلا مكان رجل وقد ادعوا قبله دما فاعزله (عبد الله بن أبى سرح) عنهم واقض بينهم فإن وجب عليه حق فأنصفهم منه.

فقال أمير المؤمنين عثمان لأهل مصر : اختاروا رجلا أوليه عليكم مكانه.

فأشار الناس عليه بمحمد بن أبى بكر فقالوا :

– استعمل علينا محمد بن أبى بكر.

فكتب ذو النورين عهده وولاه، وخرج محمد بن أبى بكر ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من مدينة رسول الله ﷺ إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط للبعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب.

فقال له أصحاب رسول الله ﷺ :

– ما قصتك؟ كأنك هارب.

- ما وراءك؟ وما شأنك؟ كأنك طالب.

فقال لهم : أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى إلى عامل مصر.

فقال له رجل من أهل مصر وهو يشير إلى محمد بن أبى بكر :

- هذا عامل مصر.

فقال غلام أمير المؤمنين : ليس هذا أريد.

وأخبر بأمره محمد بن أبى بكر فبعث فى طلبه رجلا فأخذه فجاء به إليه فقال محمد بن أبى بكر:

- غلام من أنت؟

قال الغلام الأسود : أنا غلام أمير المؤمنين.

ومرة أخرى قال : أنا غلام مروان بن الحكم.

حتى عرفه رجل أنه لعثمان. فتساءل محمد بن أبى بكر:

- إلى من أرسلت؟

قال الغلام الأسود : إلى عامل مصر.

قال محمد بن أبى بكر : بماذا؟

قال غلام عثمان : برسالة.

قال محمد بن أبى بكر : معك كتاب؟

قال الغلام الأسود : لا.

ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه إداوة قد يبست فيها شئ يتقلقل فحركوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الإداوة (القربة) فإذا فيها كتاب من أمير المؤمنين عثمان إلى ابن أبى سرح، فجمع محمد بن أبى بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه : إذا أتاك فلان وفلان فاحتل فى قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيى واحبس من يجئ إلى بتظلم منك ليأتيك رأيى فى ذلك إن شاء الله تعالى.

فلما قرأوا الكتاب فزعوا .. ورجعوا إلى مدينة رسول الله ﷺ. وختم محمد ابن أبى بكر بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعلى بن أبى طالب وسعد بن أبى وقاص ومن كان من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام الأسود وأقرءوهم الكتاب.. فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على أمير المؤمنين عثمان بن عفان. وزاد ذلك من كان غضب لعبد الله بن مسعود وأبى ذر الغفارى وعمار بن ياسر حنقا وغيظا. وقام أصحاب رسول الله ﷺ فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما قرأوا الكتاب.

وجاء رجل من أهل مصر وحج البيت فرأى قوما جلوسا فقال : من هؤلاء القوم؟

فقالوا : هؤلاء قريش.

فتساءل الرجل : فمن الشيخ فيهم؟

قالوا : عبد الله بن عمر بن الخطاب.

قال الرجل : يا ابن عمر إنى سائلك عن شئ فحدثنى عنه : هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟

قال عبد الله بن عمر : نعم.

قال الرجل : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟

قال عبد الله بن عمر : نعم.

قال الرجل : هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟

قال عبد الله بن عمر : نعم.

قال الرجل وكأنه عثر على ضالته : الله أكبر.

فقال عبد الله بن عمر : تعال أبين لك. أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له.

وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له النبى عليه الصلاة والسلام : إن لك لأجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول الله ﷺ عثمان، وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان فضرب بها على يده وقال : هذه لعثمان.

وجلس المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود فقالا:

– ما يمنعنا أن نكلم عثمان لأخيه الوليد بن عقبة بن أبى معيط فقد أكثر الناس فيه.

فقصدا عثمان بن عفان حتى خرج إلى المسجد فقال المسور بن مخرمة :

يا أمير المؤمنين إن لى إليك حاجة وهى نصيحة لك.

قال ذو النورين : يا أيها المرء منك (أعوذ بالله منك).

ثم تساءل : ما نصيحتك؟

قال المسور بن مخرمة: إن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ فهاجرت الهجرتين وصحبت رسول الله ورأيت هديه وقد أكثر الناس فى شأن الوليد بن عقبة.

فقال عثمان بن عفان : أدركت رسول الله ﷺ ؟

قال المسور بن مخرمة : لا ولكن خلص إلى من علمه ما يخلص إلى العذراء فى سترها.

قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان :

– أما بعد فقد بعث الله محمدا ﷺ بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين كما قلت، وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته فو الله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله ثم استخلفت أفليس لى من الحق مثل الذى لهم؟

فقال المسور وعبد الرحمن بن الأسود : بلى ..

فقال عثمان بن عفان : فما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم؟ ما نكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه بالحق إن شاء الله.

ثم دعا أمير المؤمنين عثمان ابن أبى طالب فأمره بجلد الوليد بن أبى معيط .. فجلده ثمانين جلدة. وأجلب محمد بن أبى بكر على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رهطه (بنى تيم) وغيرهم وحاصروا عثمان فلما رأى ذلك على بن أبى طالب بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدرى (شهدوا بدرا) ثم دخل على عثمان بن عفان ومعه الكتاب والغلام الأسود والبعير فقال له على :

– هذا الغلام غلامك؟

قال ذو النورين : نعم.

قال أبو الحسن : والبعير بعيرك؟

قال أمير المؤمنين عثمان : نعم.

فتساءل على بن أبى طالب : فأنت كتبت هذا الكتاب؟

قال عثمان بن عفان : لا.

وحلف بالله ما كتب هذا الكتاب ولا أمر به ولا علم له به.. فقال أبو الحسن:

– فالخاتم خاتمك؟

قال أمير المؤمنين عثمان : نعم.

فتساءل أبو الحسن : فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك ولا تعلم به؟

فحلف ذو النورين أنه ما كتب هذا الكتاب ولا أمر به ولا وجه هذا الغلام إلى مصر قط .. وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان بن الحكم. وشكوا فى أمر عثمان وسألوه أن يدفع إليهم مروان بن الحكم فأبى وكان مروان عنده فى الدار. فخرج الصحابة من عنده غضابا وشكوا فى أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل إلا أن أقواما قالوا :

– لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان بن الحكم نبحثه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجل من أصحاب محمد ﷺ بغير حق؟ فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا فى أمر مروان.

ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان وخشى عليه القتل.

يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب : لقد عتبوا (عيبوا) على عثمان أشياء ولو فعلها عمر ما عتبوا عليه.

لقد كان ثالث الخلفاء مفرط الحياء متسامحا، ولكنه لم يبرئ عماله من الخطأ مما جعل الذين أثاروا الفتنة لوجه الفتنة يروجون إشاعات كاذبة خبيثة حول تصرفات ذى النورين المالية فزعموا أنه زوج ابنته من ابن مروان وزوج ابنه من ابنة الحارث بن الحكم، وجهزهما من بيت مال المسلمين، وفى الحقيقة أنه جهزهما من خالص ماله الوفير (كان ماله واسعا وفيرا فى الجاهلية والإسلام).

واتخذ المرجفون فى المدينة وفى الأمصار من هذه المسائل المالية موضوعا خصبا لأخيلتهم التى تصنع البهتان وتنسج الأكاذيب.

وصارت النصيحة الخالصة الأمينة الهادئة التى يسديها صحابى جليل لأمير المؤمنين عثمان تتحول على لسان من حوله وبطانته إلى قذف وسباب. وكلمات العتاب التى يرسلها ذو النورين فى حياء وأناة على سفاه المشائين إلى وعيد وتهديد .. فتأججت نيران الغضب فحاصر شراذم مسلحة من أهل الكوفة والبصرة ومصر مدينة رسول الله ﷺ.

صفته :

كان عثمان بن عفان رجلا ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه رقيق البشرة كبير اللحية عظيمها أسمر اللون كثير الشعر ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب.

عدله :

غضب أمير المؤمنين عثمان يوما ففرك أذن عبد له .. ثم ناداه وقال له :

– إنى كنت عركت أذنك فاقتص منى.

فأخذ العبد بأذن ذى النورين فقال عثمان : اشدد يا حبذا قصاص الدنيا لا قصاص الآخرة.

وقدم عمر بن الخطاب مكة فدخل دار الندوة فى يوم الجمعة وأراد أن يستقرب منها الرواح إلى المسجد فألقى رداءه على واقف فى البيت فوقع عليه طير من الحمام فأطاره فانتهزته حية فقتلته. فلما صلى أمير المؤمنين عمر دخل عليه نافع بن عبد الحارث وعثمان بن عفان فقال الفاروق:

احكما على فى شئ صنعته اليوم.

فقالا : ماذا صنعت يا أمير المؤمنين؟

قال عمر بن الخطاب : إنى دخلت هذه الدار وأردت أن استقرب منها الرواح إلى المسجد فألقيت ردائى على هذا الواقف فوقع عليه طير من هذا الحمام فخشيت أن يلطخه بسلحه فأطرته عنه فوقع على هذا الواقف الآخر فانتهزته حية فقتلته فوجدت فى نفسى أنى أطرته من منزل كان فيه آمنا إلى موقعة كان فيها حتفه، فقال نافع بن عبد الحارث لعثمان بن عفان:

–كيف ترى فى عنز ثنية عفراء تحكم بها على أمير المؤمنين؟

قال عثمان بن عفان : إنى أرى ذلك.

فأمر بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

ثقافته :

كان عثمان من كتاب الوحى (كان على علم بمعارف العرب فى الجاهلية ومنها الأنساب والأمثال وأخبار الأيام وقد ساح فى الأرض كتاجر فرحل إلى الشام والحبشة واليمن وعاشر أقواما غير العرب فعرف من حياتهم وأحوالهم ما لم يعرفه كل عربى فى بلاده) فكان كاتبا يجيد الكتابة وكان من أفقه المسلمين فى

أحكام الدين وأحفظهم للقرآن والسنة وروى عن رسول الله ﷺ قرابة مائة وخمسين حديثا.

يقول عبد الرحمن بن حاطب : ما رأيت أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ كان إذا حدث أتم حديثا ولا أحسن من عثمان بن عفان إلا أنه كان رجلا يهاب الحديث.

ويقول محمد بن سيرين :

– كان أعلمهم (يعني صحابة النبي عليه الصلاة والسلام) بالمناسك عثمان وبعده عمر.

وروى عنه زيد بن خالد الجهني وعبد الله بن الزبير والسائب بن زيد وأنس ابن مالك وزيد بن ثابت وسلمة بن الأكوع، وأبو أمامة الباهلي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن مغفل وأبو قتادة وأبو هريرة وأبان بن عثمان وعبيد الله بن عدي وحمران .. وغيرهم.

وكتب أمير المؤمنين عثمان إلى عماله يقول : استعينوا على الناس وكل ما ينوبكم بالصبر والصلاة، وأمر الله أقيموه ولا تداهنوا فيه وإياكم والعجلة فيما سوى ذلك، وارضوا من الشر بأيسره فإن قليل الشر كثير واعلموا أن الذي ألف بين القلوب هو الذي يفرقها ويباعد بعضها عن بعض. سيروا سيرة قوم يريدون الله لئلا تكون لهم على الله حجة.

ومنها كتاب إلى العمال يقول فيه : إن الله ألف بين قلوب المسلمين على طاعته وقال سبحانه : ﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم﴾[1] وهو مفرقها على معصيته، ولا تعجلوا على أحد بحد قبل استيجابه فإن الله تعالى قال: ﴿لست عليهم بمسيطر* إلا من تولى وكفر﴾[2] ومن كفر داويناه بدوائه، ومن تولى عن الجماعة أنصفناه وأعطيناه حتى يقطع حجته وعذره إن شاء الله.

ومن كتبه إلى الجباة : أما بعد فإن الله قد خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق خذوا الحق وأعطوا الحق والأمانة الأمانة قوموا عليها ولا تكونوا أول من

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٣.

(٢) سورة الغاشية آية ٢٢ – ٢٣.

يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد فإن الله خصم لمن ظلمهم.

وبعض هذه الكتب يبدؤه ويختمه بذكر آيات من القرآن تتوالى فى بيان ما يدعوهم إليه وينهاهم عنه. فهى الوصايا التى هى أحرى بحياء عثمان الذى تستحى منه الملائكة.

حصاره .. ومقتله :

حاصر الناس ذا النورين ومنعوه الماء فأشرف عليهم وهو محصور فقال :

– السلام عليكم.

فما رد عليه أحد من المتمردين.

فقال الخليفة الثالث : أنشدكم الله هل تعلمون أنى اشتريت بئر رومة من مالى وجعلت فيه رشائى كرشاء رجل من المسلمين؟

فقالوا : نعم .

فتساءل ذو النورين : فعلام تمنعوننى ماءها وأفطر على الماء المالح؟

فلم يرد عليه أحد .. فقال عثمان : أفيكم على ؟

فقالوا : لا.

قال ثالث الخلفاء : أفيكم سعد (سعد بن أبى وقاص) ؟

قال الثائرون : لا.

فسكت عثمان بن عفان ثم قال: ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء؟

فبلغ ذلك أبا الحسن فبعث على بن أبى طالب إليه بثلاث قرب مملوءة ماء. وغضب الرجل الحليم فقال للمتمردين:

اما والله لقد عبتم على بما أقررتم لابن الخطاب، ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما أحببتم أوكرهتم. أما أنا فلنت لكم وأوطأت لكم كنفى وكففت يدى ولسانى عنكم فاجترأتم على.

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٣.

(٢) سورة الغاشية آية ٢٢ – ٢٣.

طفحت كلمات الخليفة الحيى المتسامح الوديع بصديد متقيح تكشف عن جرح أدمى مشاعره.

وحاصر المتمردون عثمان بن عفان شهرين وعشرين يوما ثم تسوروا داره فلما بلغ على بن أبى طالب أن عثمان يراد قتله قال :

– إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا.

وقال لابنيه الحسن والحسين : اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحدا يصل إليه ..

وبعث الزبير بن العوام ابنه عبد الله، وبعث طلحة بن عبيد الله ابنه وبعث عدة من أصحاب رسول الله ﷺ أبناءهم يمنعون المتمردين أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان ولكنه أبى أن يدفع للثوار ابن عمه مروان بن الحكم. فقيل له :

– ألا نقاتل ؟

فقال ذو النورين : لا إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدا وأنا صابر نفسي عليه.

يقول أبو هريرة : إنى لمحصور مع عثمان فى الدار فرمى رجل منا فقلت : يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب قتلوا منا رجلا. قال : عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت سيفك فإنما تراد نفسى وسأقي المؤمنين بنفسى.

قال أبو هريرة : فرميت سيفي لا أدرى أين هو حتى الساعة؟

قالت امرأة ذى النورين (نائلة) للمتمردين:

– إن تقتلوه أو تتركوه فإنه كان يحيي الليل بركعة يجمع فيها القرآن.

وتسور محمد بن أبى بكر وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على أمير المؤمنين عثمان ولا يعلم أحد ممن كان معه (كان كل من كان معه كانوا فوق البيوت) ولم يكن معه إلا امرأته نائلة فقال محمد بن أبى بكر لصاحبيه :

– مكانكما فإن معه امرأته حتي أبدؤكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجآه حتى تقتلاه.

فدخل محمد بن أبى بكر فأخذ بلحية عثمان فقال له :

– والله لو رآك أبوك لساءه مكانك منى. دعها يا ابن أخى والله لقد كان أبوك يكرمها.

فتراخت يد محمد بن أبى بكر واستحيا وخرج. فدخل صاحباه (رومان بن سرحان ومعه خنجر فاستقبله به) وقال :

– على أى دين أنت يا نعثل؟

(كان المتمردون يسمون عثمان بن عفان نعثلا تشبها برجل من مصر كان طويل اللحية اسمه نعثل – وقيل النعثل الشيخ الأحمق).

فقال ذو النورين : لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما وما أنا من المشركين.

قال رومان بن سرحان : كذبت.

وضربه على خده الأيسر فقتله فخر على الأرض. وأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها وكانت امرأة جسيمة. ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتا فقال :

– والله لأقطعن انفه.

فعالج المرأة فكشفت عن ذراعيها وقبضت على السيف فقطع إبهامها.

وسقطت قطرة أو قطرات من دم عثمان على المصحف الذى كان أمامه على قوله تعالى : ﴿فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾(1).

وقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفان وهو ابن ست وثمانين سنة.

وكانت خلافته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا **وأربعة عشر يوما**.

قتل ذو النورين يوم الجمعة لثمان ليال خلت من ذى الحجة يوم التلبية (التروية) سنة خمس وثلاثين اى على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرا **وأثنين وعشرين يوما** من مقتل عمر بن الخطاب وعلى رأس خمس وعشرين سنة من متوفى رسول الله ﷺ.

---

(1) سورة البقرة آية ١٣٧.

علی بن أبی طالب

«سبَّاق الأُمم ثلاثة لم يكفروا طرفة عين حزقيل .. مؤمن آل فرعون وحبيب النجار .. صاحب آل ياسين وعلىٌّ بن أبى طالب .. وهو أفضلهم»

«حديث نبوى شريف»

ولد بالكعبة:

أشرقت الشمس على بيوت مكة المتراصة حول البيت الحرام فدبت الحياة فيها. وبين جدران دار أبى طالب بن عبد المطلب سيد قريش أخذت زوجته فاطمة بنت أسد بن هاشم تتهيأ للذهاب إلى الكعبة فمنذ أن حملت لم تقف أمام هبل كبير الآلهة ولم تضع فى يد سادنه الأصفر الرنان (الذهب). إنها اليوم ستمنحه الكثير من الدراهم وتلطخ قدمى هبل بدماء كبش سمين حتى يرضى عنها. إنها ستضع حملها حين يكتمل القمر بدرا. ولقد اكتمل البارحة. لو جاءها المخاض وهى فى الكعبة؟ سيكون المولود سعيدا مباركا؟؟.

استشعرت امرأة أبى طالب ألما فى بطنها. هل ستلد قبل أن تذهب إلى الإله هبل ويرضى عنها؟ إن البيت على بعد خطوات من الكعبة. لن يستغرق الوقت طويلا. لم لا تذهب وتعود سريعا؟

وقفت فاطمة بنت أسد أمام كبير الآلهة خاشعة. طلب منها سادنه أن تسجد. أرادت أن تضع وجهها عند قدميه. لماذا لم تستطع؟ تقوس المولود فى بطنها فمنعها من ذلك؟ لم يحدث ذلك من قبل عندما وضعت عقيلا وجعفرا و ...

وجاءها المخاض وولدت فى الكعبة وتولى محمد بن عبد الله – ﷺ – تسميته:

– على.

وبصق فى فيه ثم ألقمه لسانه وما زال يمصه حتى نام. فلما كان الغد طلبوا له مرضعة ولكن عليا لم يقبل ثدى أحد. فقالوا:

– ادعوا له الأمين.

فجاء محمد – ﷺ – فألقمه لسانه..فنام. فكان كذلك.

ومن المعروف أن رسول الله – ﷺ – قد ولد يتيما، فكفله جده عبد المطلب، ولما بلغ ست سنين مات عبد المطلب فكفله عمه أبو طالب.

كان على أصغر أبناء أبى طالب فكان بينه وبين جعفر عشر سنين وبين جعفر وأخيه عقيل وأخيه طالب ذلك أيضا فأكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم على.

تربيته في حجر رسول الله ﷺ:

وأصاب قريشا قحط فقد امتنع نزول المطر فمات الزرع والضرع، وكان أبو طالب كثير العيال فأراد محمد - ﷺ - أن يرد إلى عمه صنيعه فذهب إلى عمه العباس وكان ذا مال فقال له:

- ياعباس إن أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله تأخذ واحدا وأنا واحدا.

فقال العباس بن عبد المطلب: نعم.

فجاءا إلى أبى طالب وقالا:

- إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه..

فقال أبو طالب:

- إذا تركتما لى عقيلا (قيل وطالب) فاصنعا ما شئتما..

فأخذ محمد - ﷺ - عليا فضمه إليه. وأخذ العباس جعفرا.

ولم يزل على بن أبى طالب مع رسول الله ﷺ فى بيت خديجة بنت خويلد يطعمه ويقوم على أمره (فى كفالته كأحد أولاده) حتى قبل أن يوحى إليه ﷺ وسلم فلم يسجد على لصنم قط.

أول المسلمين وسباق الأمم:

وذات ليلة (كان يوم الاثنين) دخل على بن أبى طالب على محمد - ﷺ - ومعه خديجة وهما يصليان سرا فقال:

- ما هذا؟

فقال رسول الله - ﷺ - : إنى أصلى لرب العالمين.

فقال على: ومن رب العالمين؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام:

- إنه إله واحد لا شريك له له الخلق وبيده الأمر يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير. فأنا أدعوك إلى دين اللّه الذى اصطفاه لنفسه وبعث به رسله. فأدعوك إلى اللّه وحده لا شريك له وإلى عبادته وإلى الكفر باللات والعزى.

فقال على:

– هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب .

وكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يمكن اللّه عز وجل له ويستعلن أمره فقال لعلى:

– يا على إذا لم تسلم فاكتم هذا.

فمكث على ليلته قلقا يفكر أن ابن عمه لجدير بالرسالة فهو صادق أمين لم يعرفه أحد كما عرفه، لقد تربى فى كنفه فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصل الرحم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الدهر. ونام على وقد بيت أمرا.. فلما كان الغد انطلق إلى رسول الله ﷺ وهو ابن عشر سنين، فكان أول المسلمين، وكانت خديجة بنت خويلد أولى المسلمات. أسلم على ولم يبلغ الحلم.

ومنذ ذلك اليوم وعلى لا يفارق رسول الله ﷺ يصلى معه ويصغى إليه. قال النبى عليه الصلاة والسلام:

– ثلاثة ما كفروا باللّه قط: مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب وآسيا امرأة فرعون.

وقال ﷺ :

ـ سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا باللّه طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب آل يس وعلى بن أبى طالب رضى اللّه عنه وهو أفضلهم (يراد بعدم كفرهم أنهم لم يسجدوا لصنم قط).

وكان النبى عليه الصلاة والسلام إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيا من قومه ويصليان فيها فإذا أمسيا رجعا كذلك.

وذات يوم عثر أبو طالب على رسول الله ﷺ وابنه على وهما يصليان (بنخلة وهو محل معروف) فتساءل:

– يا ابن أخى ما هذا الذى أراك تدين؟

فقال رسول الله ﷺ :

– هذا دين الله ودين ملائكته ورسله ودين أبينا إبراهيم بعثني اللهُ به رسولا إلى العباد وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته إلى الهدى وأحق من أجابني إلى الله تعالى وأعانني عليه.

فقال أبو طالب:

– إني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه. ما بالذى تقول من بأس ولكن والله لا تعلونى استى أبدا.

يقول عفيف الكندى:

– كنت امرءا تاجرا قدمت للحج وأتيت العباس بن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة وكان العباس لى صديقا وكان يختلف إلى اليمن يشترى العطر ويبيعه أيام الموسم فبينما أنا عند العباس بمنى (بمكة فى المسجد) إذا رجل مجتمع (بلغ أشده) خرج من خباء قريب منه فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت توضأ فأسبغ الوضوء (أكمله) ثم قام يصلى (إلى الكعبة) ثم خرج غلام مراهق (قارب البلوغ) فتوضأ ثم قام إلى جنبه يصلى ثم جاءت امرأة من ذلك الخباء فقامت خلفهما ثم ركع فركع الغلام وركعت المرأة ثم خر الرجل ساجدا وخر الغلام وخرت المرأة فقلت: ويحك يا عباس ما هذا الدين؟ فقال: هذا دين محمد بن عبد الله أخى يزعم أن الله بعثه رسولا، وهذا ابن أخى على بن أبى طالب وهذه امرأته خديجة. ورأي أبو طالب النبى ﷺ وعليا يصليان وابنه على على يمينه فقال أبو طالب لابنه جعفر:

– صل جناح ابن عمك..

فصلى جعفر على يساره. وكان إسلام جعفر بعد إسلام أخيه على بقليل.

وسمع على آيات الله طازجة مشرقة متألقة دافئة حديثة العهد بربها يرتلها رسول الله ﷺ فشهد نزول القرآن آية آية فأشرب قلبه جماله وجلاله وأسراره ولم لا وقد ولد فى الإيمان والعبادة والهدى؟

وظل رسـول الله ﷺ يدعـو الـناس سـرا إلى عـبـادة الله الواحـد الأحـد ثلاث سنين .. ثـم أوحى الله تعـالى إلى رسـوله ﷺ : ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين*واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ فلم يخرج من بيته شهرا وزوجته خديجة بنت خويلد تشد من أزره وتهون عليه الأمر. وظنت عماته أنه مريض فدخلن عليه ﷺ عائدات فقال عليه الصلاة والسلام:

– ما شكيت شيئا ولكن الله أمرنى بقوله ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ فأريد أن أجمع بنى هاشم وبنى عبد المطلب لأدعوهم إلى الله تعالى.

فقالت عماته:

– فادعهم ولا تجعل أبا لهب (عبد العزى بن عبد المطلب) فيهم فإنه غير مجيبك إلى ما تدعوه إليه.

ولكن النبى عليه الصلاة والسلام كان يعلم أنه لو بادأ قومه بها رأى منهم ما يكره فصمت. فجاءه جبريل عليه السلام فقال:

– يا محمد إن لم تفعل ما أمرك به ربك عذبك بالنار..

فدعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب (كان فى حجرة) وطلب منه أن يدعو بنى عبد المطلب.. فحضروا فقدم على إليهم عسا به لبن (العس القدح الكبير). كانوا أربعين رجلا أو ينقصون قليلا فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب. فأخذ رسول الله ﷺ منها حذية (قطعة) فشقها بأسنانه ثم رمى بها فى نواحيها وقال:

– كلوا باسم الله..

فأكل القوم حتى نهلوا عنه فلم ير إلا آثار أصبعهم وإن كان كل رجل أكل مثلها. ثم قال رسول الله ﷺ :

– اسقهم يا على.

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤/٢١٥

فجاء بذلك القعب فشربوا منه حتى نهلوا جميعا وإن كان الرجل ليشرب مثله. فلما أراد النبى عليه الصلاة والسلام أن يكلمهم بدره أبو لهب فقال:

- لشد ما سحركم صاحبكم.

فتفرقوا ولم يكلمهم رسول الله ﷺ .

فلما كان من الغد قال رسول الله ﷺ لعلى:

- عد لنا مثل الذى كنت صنعت بالأمس من الطعام والشراب فإن هذا الرجل قد بدر إلى ما سمعت قبل أن أكلم القوم.

ففعل على بن أبى طالب. ثم جمعهم لرسول الله ﷺ كما صنع بالأمس فأكلوا حتى نهلوا عنه ثم سقاهم من ذلك القعب حتى نهلوا وإن كان الرجل ليأكل مثلها وليشرب مثلها. ثم قال النبى عليه الصلاة والسلام:

- يا بنى عبد المطلب إنى والله ما أعلم شابا من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إنى قد جئتكم بأمر الدنيا والآخرة وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى؟

فأحجم القوم عنها جميعا . فقال على بن أبى طالب:

- وإنى لأحدثهم سنا وأرمصهم عينا، وأعظمهم بطنا، وأحمشهم ساقا: أنا يا نبى الله وزيرك عليه.

فأخذ النبى عليه الصلاة والسلام برقبته فقال:

- إن هذا أخى وكذا وكذا فاسمعوا وأطيعوا.

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبى طالب:

- قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

ودخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم وقد أعز الله الإسلام بإسلام عمه حمزة بن عبد المطلب.. ثم أسلم عمر بن الخطاب فخرج المسلمون من دار الأرقم إلى البيت الحرام وأخذوا يصلون مطمئنين ويقرءون القرآن فيه.

ولكن عداوة قريش اشتعلت ضراوة فحمى اللّه نبيه بعمه أبى طالب ولكن أصحابه من لم يحظ منهم بجوار أو كان فى منعة من قومه سقاه أشراف قريش العذاب والهول.

وأخذ رسول الله ﷺ يعرض نفسه فى المواسم على القبائل لتنصره وتمنعه حتى يبلغ رسالات ربه ولكن عمه أبو لهب وسادات قريش كانوا له بالمرصاد يفترون عليه الكذب فينصرف الناس عنه.. حتى لقى الأنصار عند العقبة فعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن فأسلموا وبايعوه ﷺ.

وربا غيظ وغضب سادات قريش لما أيقنوا أن الأنصار قد بايعوا رسول الله ﷺ على قتل الأشراف، وأنه قد صار له شيعة وصحاب من غيرهم أنزلوا بأصحابه أشد العذاب فجاءوا النبى عليه الصلاة والسلام يشكون فأذن لهم بالهجرة إلى يثرب.. فتسللوا أرسالا..

النوم في فراش النبي عليه الصلاة والسلام ليلة الهجرة:

وأقام النبى ﷺ بمكة بعد أن هاجر أصحابه ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة. ولم يتخلف معه ﷺ إلا من حبس أو فتن إلا على بن أبى طالب وأبا بكر الصديق وصهيب بن سنان. فلما رأت قريش أن رسول اللّه ﷺ قد صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أتباعه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة. فحذروا خروج النبى عليه الصلاة والسلام إليهم وأن يجمع على حربهم، واجتمعوا فى دار الندوة وتشاوروا فيما يصنعونه فى أمره. فقال أشراف قريش:

– لا يدخل معنا فى المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد.

وتشاوروا واتعدوا. وغدوا فى اليوم الذى اتعدوا له (يوم الزحمة) فاعترضهم إبليس فى صورة شيخ جليل عليه كساء غليظ فوقف على باب الدار فلما رأوه على بابها تساءلوا:

– من الشيخ؟

قال إبليس:

– إني رجل من أهل نجد (قال إبليس ذلك لأن سادة قريش قالوا: لا يدخل معكم اليوم إلا من هو معكم) وأنا ابن أختكم (ابن أخت القوم منهم) رأيتكم حسنة وجوهكم طيبة ريحكم فأحببت أن أجلس إليكم وأسمع كلامكم فإن كرهتم ذلك خرجت عنكم..

فقال أبو جهل بن هشام:

– هذا من أهل نجد لا من مكة فلا يضركم حضوره معكم.

قال الشيخ النجدي:

– لقد سمعت بالذي اجتمعتم له فحضرت معكم لأسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم مني رأي ونصح.

قال الحارث بن عامر بن نوفل:

– إن هذا الرجل (يعني النبي عليه الصلاة والسلام) قد كان من أمره ما قد رأيتم وإنا والله لا نأمنه الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا فتشاوروا.. فقال أبو البختري بن هشام:

– احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء حتى يصيبه ما أصابهم من هذا الموت ..

فقال الشيخ النجدي :

– لا والله ما هذا لكم برأي والله لو حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي فانظروا في غيره.

فتشاوروا..فقال الأسود بن ربيعة بن عمير:

– نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فو الله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع؟ إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت..

قال الشيخ النجدى:

– لا والله ما هذا برأي ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل (يسقط) على حى من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله وحديثه حتى يبايعوه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذوا أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد .. دبروا فيه رأيا غير هذا ..

فقال أبو جهل بن هشام:

– والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قال حكيم بن حزام وأمية بن خلف والنضر بن الحارث :

– وما هو يا أبا الحكم؟

قال أبو جهل:

– الرأى أن تأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا (قويا حسيبا فى قومه نسيبا وسطا) ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يغدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه لأنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فيرضوا منا بالعقل (الدية) فعقلنا لهم.

فقال النجدى:

– القول ما قال هذا الرجل. هذا هو الرأي ولا رأى غيره.

فتفرق القوم على ذلك.

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال:

– لا تبت هذه الليلة فى فراشك الذى كنت تبيت فيه.

وأخبره بمكرهم.

ولما كان الثلث الأول من الليل اجتمع مائة من شباب قريش على باب رسول الله ﷺ يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه. وأحدقوا بباب النبى عليه الصلاة والسلام

يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه لمشاهدة بنى هاشم قاتله من جميع القبائل فلا يتم لهم أخذ ثأره.

فلما رأى النبى ﷺ مكانهم (علم ما يكون منهم) فقال رسول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب:

– نم على فراشى واتشح بردائى هذا الحضرمى فإنه لن يخلص إليك شئ تكرهه منهم.

روى أن (اللهّ تعالى أوحى إلى جبريل وميكائيل: أنى آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة فأوحى اللّه إليهما: ألا كنتما مثل على بن أبى طالب: آخيت بينه وبين محمد ﷺ فبات على فراشه ليفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه. فنزلا فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه فقال جبريل بخ بخ من مثلك يا ابن أبى طالب؟ باهى اللّه بك الملائكة).

وكان فى القوم الحكم بن أبى العاص وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وأبو لهب بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام فقال وهم على باب رسول اللّه ﷺ:

– إن محمد يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن وإن لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون فيها.

فسمعه النبى عليه الصلاة والسلام فخرج عليهم وهو يقول : نعم أنا أقول ذلك ... أنت أحدهم.

وأخذ حفنة من تراب فى يده. وأخذ اللّه تعالى على أبصارهم فلم يرونه فجعل النبى عليه الصلاة والسلام ينثر التراب على رءوسهم وهو يتلو قوله تعالى:

[يس والقرآن الحكيم*إنك لمن المرسلين*على صراط مستقيم*تنزيل العزيز الرحيم*لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون*لقد حق القول على أكثرهم فهم

لايؤمنون*إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون*وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون].. (١).

ولم يبق منهم رجل إلا وضع رسول الله ﷺ على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد . فأتاهم آت فقال: ما تنتظرون ههنا ؟

قالوا: محمدا ..

فقال: قد خيبكم الله والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته . أفما ترون ما بكم ؟

فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب .. ثم جعلوا يتطلعون من صبر الباب (شقه) فيرون عليا على فراش النبى عليه الصلاة والسلام فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده..

فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فساروا إليه يحسبونه رسول الله ﷺ فلما رأوه عليا قال أبو جهل فى غيظ: أين صاحبك ؟

قال على بن أبى طالب: لا أدرى.

فقالوا: والله لقد صدقنا الذى كان حدثنا.

فغدوا يطلبون النبى عليه الصلاة السلام فى دور بنى هاشم ودور أصحابه بأعلى مكة وأسفلها وأنزل الله تعالى: [وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين].. (٢)

وبينما كان سادات قريش يتحدثون حول هجرة رسول الله ﷺ إلى يثرب .. قام على بن أبى طالب بالأبطح ينادى بأعلى صوته: من كان له عند رسول الله ﷺ وديعة فليأت تؤدى إليه أمانته..

فلطم صوت على آذان أبى جهل وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وسادات قريش وأدركوا أن هذا الصوت يعلن عن وصول رسول

---

(١) أول سورة يس

(٢) سورة الإنفال ، آية ٣٠

الله ﷺ يثرب وهزيمتهم والسخرية منهم والهزء بهم فقال أبو جهل: ألا يقوم أحد فيكتم أنفاس صاحب هذا الصوت؟

فقال عتبة بن ربيعة : لو قتلناه أنستريح حقا أم نتعجل الشر؟

فتساءل النضر بن الحارث: ماذا تعنى يا أبا الوليد؟

قال عتبة بن ربيعة: لو قتلناه فسيطلب عمه العباس بن عبد المطلب بدم ابن أخيه.

وقال أمية بن خلف: وقد يتحرك محمد من يثرب ليقطع علينا الطريق ويثخن فى الأرض أخذا بثأر ربيبه وابن عمه.

قال أبو سفيان بن حرب: آثروا أن تتحملوا ذلك البلاء وامضغوا غضبكم فى صبر .

يقول على بن أبى طالب: لما خرج رسول الله ﷺ إلى المدينة فى الهجرة أمرنى أن أقيم بعده حتى أؤدى ودائع كانت عنده للناس، ولذا كان يسمى الأمين فأقمت ثلاثا فكنت أظهر ما تغيبت يوما واحدا ثم خرجت فجعلت أتبع طريق رسول الله ﷺ حتى قدمت بنى عوف ورسول الله ﷺ مقيم فنزلت على كلثوم بن الهدم وهناك منزل رسول الله ﷺ.

ولما بنى رسول الله ﷺ مسجده وحجرته آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة فآخى عليه الصلاة والسلام بينه وبين على فوضع يده على منكب على وقال: أنت أخى ترثنى وأرثك.

* على .. الفارس:

واطمأنت برسول الله ﷺ داره وأظهر الله بالمدينة دينه فأراد أن يتحسس أخبار قريش فبعث السرايا .. وسمع النبى عليه الصلاة والسلام بأبى سفيان بن حرب مقبلا من الشام فى عير قريش، قال رسول الله ﷺ: هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها.

فأجاب ذكوان بن عبد قيس وناس وثقل آخرون (ظنوا أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يلق حربا ولم يحتفل لها) ولكن رسول الله ﷺ عاد فقال: من كان ظهره (ما يركبه) حاضرا فليركب معنا.

ولم ينتظر من كان ظهره غائبا. وخرج رسول اللّه ﷺ وكان أصحابه خمسة وثلاثمائة (من المهاجرين أربعة وستون وباقيهم من الأنصار) واستعمل النبى ﷺ ابن أم مكتوم على الصلاة. وخلف عاصم بن عدى على أهل العالية بعد أن أصبحت مسرحا تلك البقاع للمنافقين وأعداء الإسلام كعبد اللّه بن أبى ابن سلول. ورد رسول اللّه ﷺ أبا لبابة من الروحاء واستعمله على المدينة. وكان مع المسلمين سبعون بعيرا يعتقبونها فكان النبى ﷺ وعلى بن أبى طالب ومرثد يعتقبون بعيرا.

فقال على ومرثد: نحن نمشى عنك يا رسول اللّه.

فقال رسول اللّه ﷺ: ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى من الأجر منكما..

ولما نزل رسول اللّه ﷺ وادى ذفران علم أن قريشا قد أقبلت بحدها وجدها لتحمى عيرها فبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بنى الحجاج وعريض أبو يسار غلام بنى العاص بن سعيد فأتوا بهما فسألوهما ورسول اللّه ﷺ قائم يصلى فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء.

فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبى سفيان فضربوهما. فلما أذاقوهما (أذوهما) فقالا: نحن لأبى سفيان.

فتركوهما.

وفرغ النبى عليه الصلاة والسلام من صلاته..وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذبا تركتموهما؟ صدقا واللّه إنهما لقريش أخبرانى عن قريش.

قالا: هم واللّه وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى.

فتساءل رسول اللّه ﷺ:

–كم القوم؟

قالا : كثير.

قال النبى عليه الصلاة والسلام: ما عدتهم؟

قالا: لا ندرى.

فتساءل رسول اللّه ﷺ:

كم ينحرون كل يوم؟

قالا: يوما تسعا ويوما عشرا.

فقال رسول الله ﷺ:

القوم ما بين التسعمائة إلى الألف.

ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟

قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو الحكم بن هشام وأمية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وعمرو بن ود وعقبة بن أبى معيط وسهيل بن عمرو.

فأقبل النبى عليه الصلاة والسلام على الناس وقال: هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها.

ودفع النبى عليه الصلاة والسلام لواء المهاجرين إلى على بن أبى طالب فكان صاحب لواء رسول اللّه ﷺ وكان معلما بصوفة بيضاء.

وخرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة بن ربيعة ولما توسطوا الصفين دعوا إلى المبارزة فخرج إليهم عوف بن الحارث ومعوذ بن الحارث (ابنا عفراء) وعبد الله بن رواحة فتساءل عتبة بن ربيعة:

من أنتم؟

قالوا: رهط من الأنصار.

قال عتبة بن ربيعة: ما لنا بكم من حاجة.. أكفاء كرام ولكن أخرجوا إلينا من بنى عمنا.

ونادى عتبة: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام: قم يا عبيدة بن الحارث وقم يا حمزة وقم يا على.

وكانوا ملبسين لا يعرفون من السلاح فلما دنوا قال عتبة: من أنتم؟

فقال عبيدة : عبيدة.

وقال حمزة : حمزة.

وقال على : على.

قال عتبة : أكفاء كرام.

فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة بن ربيعة ومشى حمزة إلى شيبة بن ربيعة وبارز على الوليد بن عتبة. أما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله فكبر أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام وقتل على الوليد بن عتبة فاهتز الوادى بتكبير المسلمين. واختلف عبيدة وعتبة بضربتين كلاهما أثبت صاحبه. فكر على وحمزة بأسيافهما على عتبة بن ربيعة فقتلاه. واحتملا عبيدة بن الحارث إلى أصحابهما فأضجعوه إلى جانب موقف رسول الله ﷺ فأفرشه قدمه فوضع خده على قدميه،وقال عبيدة: يا رسول الله ألست شهيدا؟

والتقى الجمعان .. فراحت أسياف ذكوان بن عبد قيس وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب والزبير وأبى دجانة والمسلمين تطعن قلوب وتطيح رؤس المشركين وارتفعت أصوات أصحاب رسول الله ﷺ من كل جانب:

- أحد .. أحد.

وأعلن معاذ بن عفراء عن قتله عدو الله أبا جهل .. ودارت الدائرة على المشركين فألقى رجال قريش دروعهم وولوا الأدبار .. وكانت هزيمتهم.

وتساءل النبى عليه الصلاة والسلام:

- من له علم بنوفل بن خويلد؟

فقال علي بن أبي طالب : أنا قتلته.

فكبر رسول اللّه ﷺ وقال: الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه (أي فإنه لما التقى الجمعان نادى نوفل بن خويلد: يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلاء، فقال رسول اللّه ﷺ: اللهم اكفنى نوفل بن خويلد). ونظر النبى عليه الصلاة والسلام إلى على بن أبى طالب وعمر بن الخطاب وقال: مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل وإسرائيل ملك عظيم يشهد القتال (يشهد الصف).

وكان قتلى بدر سبعين والأسرى سبعين.

علي يتزوج فاطمة بنت رسول الله:

وتقدم أبو بكر الصديق ليتزوج فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ فرده فى أدب وتقدم عمر بن الخطاب فلم يكن أحسن حظا من أبى بكر، تقدم على بن أبى طالب فوافق رسول الله ﷺ .. وقال عليه الصلاة والسلام لابنته: زوجتك سيدا فى الدنيا والآخرة وإنه لأول أصحابى إسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما.

وعقب غزوة بدر نزل قوله تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شئ عليم﴾ فعلم أصحاب رسول اللّه ﷺ أن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار قد انقطعت فى الميراث ورجع كل إنسان إلى نسبه وورثه ذوو رحمه.

يوم أحد:

وعلم رسول اللّه ﷺ أن قريشا قد أقبلت بأحابيشها ومن أطاعها من قبائل العرب (كنانة وتهامة وغيرهم) ليدركوا ثأر يوم بدر. فخرج رسول اللّه ﷺ إلى أحد وقد أعطى لواء المهاجرين لعلى بن أبى طالب. ولما علم أن لواء المشركين مع بنى عبد الدار قدم اللواء إلى مصعب بن عمير.

وارتفع صوت أبى سفيان بن حرب: يا معشر الأنصار خلوا بيننا وبين ابن عمنا فننصرف عنكم فلا حاجة بنا إلى قتالكم.

فردوا عليه بما يكره.

وخرج طلحة بن أبى طلحة وبيده لواء قريش وطلب المبارزة مرارا فلم يخرج إليه أحد من المسلمين فقال: يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار فهل أحد منكم يعجلنى إلى النار أو أعجله بسيفى إلى الجنة؟ كذبتم واللات والعزى لو كنتم تعلمون ذلك حقا لخرج إلى بعضكم . فخرج إليه على بن أبى طالب فضربه فقطع رجله فسقط طلحة وأراد على أن يجهز عليه فسأله طلحة الرحم ألا يفعل. فتركه ولم يجهز عليه. لقد كان على شجاعا علمه النبى عليه الصلاة والسلام آداب الفروسية وهى النخوة.

ثم حمل لواء المشركين أرطأة بن شرحبيل فضربه على بن أبى طالب بسيفه فجزله نصفين فهتف أصحاب رسول الله ﷺ:

- أمت . أمت.

وحملت خيل قريش على المسلمين فاستقبلهم الرماة الذين أسندوا ظهورهم إلى جبل أحد بالنبل فارتد فرسان قريش متفرقين. فشد عليهم أصحاب النبى عليه الصلاة السلام شدة رجل واحد وقاتل على بن أبى طالب وحمزة بن عبد المطلب والحارث بن الصمة قتالا شديدا.

وثبت على بن أبى طالب مع رسول الله ﷺ حين انكشف المسلمون فلما انتهى النبى عليه الصلاة والسلام إلى فم الشعب خرج على حتى ملأ درقته ماء وغسل به رسول الله ﷺ عن وجهه الدم وهو يقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه.

ولما ذهب النبى عليه الصلاة والسلام إلى الصخرة أراد نفر من قريش أن يعلوه. فقاتلهم عمر بن الخطاب وعلى بن أى طالب والحارث بن الصمة حتى هبطوا الجبل.

وتذكر النبى عليه الصلاة والسلام ذكوان بن عبد قيس ذلك الرجل الشجاع الذى قام ليحرسه يوم بدر وحارب معه فى أحد .. فقال ﷺ: من له علم بذكوان بن عبد قيس؟

فقال على بن أبى طالب: أنا رأيت يا رسول الله فارسا يركض فى أثره حتى لحقه وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوت . فحمل عليه فرسه وذكوان راجل فضربه

وهو يقول: خذها وأنا ابن علاج.. فقتله. فأهويت إلى الفارس فضربت رجله بالسيف حتى قطعتها من نصف الفخذ. ثم طرحته من فرسه فأجهزت عليه. وإذا هو أبو الحكم بن الأخنس بن شريق.

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة ذهب مع على بن أبى طالب إلى بيت ابنته فاطمة الزهراء فقال لها على:

- امسكى هذا السيف واغسليه فهو غير ذميم فقد صدقنى اليوم فى القتال.

فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت أحسنت القتال اليوم فقد أحسن عاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهيل بن حنيف وسيف أبى دجانة غير مذموم.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾ فدعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم هؤلاء أهلى ..

وسد الأبواب إلا باب على فيدخل المسجد جنبا وهو طريقه ليس له طريق غيره وقال:

من كنت مولاه فعلى مولاه.

أبو الحسن يقتل فارس العرب عمرو بن عبد ود:

ولما علم رسول الله ﷺ بمقدم الأحزاب رأى سلمان الفارسى حفر خندق حول المدينة فحفر أصحاب رسول الله ﷺ خندقا عميقا واسعا على طول الجبهة المفتوحة من المدينة.

وقدم مع الأحزاب عمرو بن عبد ود ليمحو عار فراره يوم بدر وليعلن للملأ أنه ما زال فارس العرب الذى لا يشق له غبار فقال: من يبارز؟ فقام على بن أبى طالب وقال: أنا له يا نبى الله.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام: اجلس إنه عمرو بن عبد ود.

وكرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول: أين جنتكم التى تزعمون أنه من قتل منكم دخلها أفلا تبرزون لى رجلا؟

وأنشد:

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
إن الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

فقام على بن أبى طالب وقال: أنا له يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ : اجلس إنه عمرو بن عبد ود.

ثم نادى عمرو، من يبارز؟

فقام على وقال: أنا له يا رسول الله.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام: إنه عمرو.

فقال على بن أبى طالب: وإن كان عمرا.

فأذن له رسول الله ﷺ وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال: اللهم أعنه عليه. اللهم هذا أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين..

وتقدم على بن أبى طالب وهو ينشد:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب قولك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز

ونظر رسول الله ﷺ إلى السماء وقال: إلهى أخذت عبيدة منى يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا على أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين، اللهم أعنه عليه.

تساءل عمرو بن عبد ود: من أنت؟

قال على بن أبى طالب: أنا على

فقال عمرو: ابن عبد مناف؟

قال على : أنا على بن أبى طالب.

قال عمرو: يابن أخى من أعمامك من هو أسن منك.

قال علـى: يا عمـرو إنك كنت قد عـاهدت اللّه لا يدعوك رجل من قـريش إلى إحدى خلتين (خصلتين) إلا أخذتها منه.قال عمرو: أجل.

فقال على: فأنا أدعوك إلى اللّه وإلى رسوله ﷺ وإلى الإسـلام.

فقال عمرو بن عبد ود: لا حاجة لى بذلك.

فقال على بن أبى طالب : فإنى أدعوك إلى البراز.

فـضحك عـمـرو بن عبـد ود وقـال: إن هـذه لخصلة مـا كنت أظن أن أحـدا من العرب يروعنى بها.

وتأهب على للقتال فقال عمـرو: لم يا ابن أخى فو اللّه ما أحب أن أقتلك، فقد كان أبوك صديقا وكنت له نديما.

فقال على: وأنا واللّه ما أكره أن أهريق (أسيل) دمك.

فغضب عمرو بن عبد ود وأخذته الحمـية وتقدم بفرسه فقال له على: كيف أقاتلك وأنت على فرسك؟ ولكن انزل معى.

فاقـتحم عن فرسه وسل سـيفه كأنه شعلة نار فعقـر فرسه وضـرب وجـهه وأقـبل على على بن أبى طالب فاسـتـقبله على بدرقـته فـضربه عـمرو فـيهـا فقـدها وأثبت فـيـهـا السـيف .. فـضـربه على على حـبل عـاقـتـه (موضـع الرداء من العنق) فسقط. وكبر المسلمون.

وأقـبل على بـن أبى طالب مـسـرورا بنصـر اللّه فـقـال له النبى عـليـه الصـلاة والسـلام : كيف وجدت نفسك معه يا على؟

قـال على: وجدته لـو كان أهل المدينة كـلهم فى جانب وأنـا فى جانب لقـدرت عليهم.

ولما رحل الأحزاب نظر النبى عليه الصلاة والسلام إلى عسكرهم وقال: الآن نغزوهم ولا يغزوننا . نحن نسير إليهم.

وجـاء رجل إلى النبى عليـه الصـلاة والسـلام وهو جـالس مع علـى بن أبى طالب فـقال الرجل: يا نبى اللّه إنى اغتسلت من الجنابة الفـجر ثم أصـبحت فـرأيت

قدر موضع الظفر لم يصبه الماء فقال رسول الله ﷺ: لو كنت مسحت عليه بيدك أجزاك.

ثم أقبل نفر من بنى عبد الأشهل فأخبروا النبى عليه الصلاة والسلام أنهم قد بنوا مسجدا فقال: من بنى لله مسجدا من ماله بنى الله له بيتا فى الجنة.

ثم صحب ﷺ عليا وذهبا مع بنى عبد الأشهل ليصلى فى هذا المسجد.

جهاده في سبيل الله:

وتحققت نبوءة النبى عليه الصلاة والسلام ففى سنة ست من الهجرة طلب رسول الله ﷺ من أصحابه أن يتجهزوا .. وخرج للعمرة وخرج معه ناس كثير فى ذى القعدة .. فصدهم رجال قريش فكانت بيعة الرضوان وصلح الحديبية.

ثم دعا رسول الله ﷺ على بن أبى طالب فقال: اكتب: بسم الله الرحمن الرحيم.

فقال سهيل بن عمرو: لا نعرف هذا ولكن اكتب: باسمك اللهم.

فكتبها على .. ثم قال رسول الله ﷺ: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو.

فقال سهيل بن عمرو: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك.

فقال رسول الله ﷺ لعلى: امح رسول الله.

فقال على: لا أمحوك أبدا.

فأخذه رسول الله ﷺ وليس يُحسن يكتب فكتب موضع رسول الله: محمد ابن عبد الله.

ويوم خيبر دفع النبى عليه الصلاة والسلام رايته البيضاء إلى أبى بكر وهجم المسلمون على حصن ناعم وأخذوا يرمون اليهود بالنبل ولكن اليهود قاتلوا قتالا شديدا واندفع محمود بن مسلمة نحو باب الحصن فألقيت عليه منه رحا فقتلته. فرجع أبو بكر ولم يك فتح وقد جهد.

وقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله لم أر كاليوم قط إن اليهود قتلوا أخى محمود بن مسلمة.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام: لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإنكم لا تدرون ما تبتلون به منهم فإذا لقيتموهم فقولوا: اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وإنما تقتلهم أنت. ثم الزموا الأرض جلوسا فإذا غشوكم فانهضوا وكبروا.

ثم أردف النبى عليه الصلاة والسلام:

لأبعثن غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يولى الدبر يفتح الله على يديه ويأخذها عنوة.

فلما أصبح المسلمون غدوا على النبى عليه الصلاة والسلام كلهم يرجو أن يعطيه الراية فتساءل رسول الله ﷺ: أين على بن أبى طالب؟

فقال عبد الله بن مغفل: تركناه يشتكى عينيه.

فذهب سلمة بن الأكوع فجاء علىٌّ على بعير له حتى أناخ قريبا من النبى عليه الصلاة والسلام فسأله:

– مالك ؟

قال على : رمدت بعدك.

قال رسول الله ﷺ : ادن منى.

فلما دنا على بن أبى طالب من رسول الله ﷺ تفل فى عينيه فشفى. ثم أعطاه الراية فنهض بها ثم سار خطوات وقال: يا رسول الله علام أقاتل؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام: حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله تعالى، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير من أن يكون لك حمر النعم.

استشعر عبد الله بن مغفل ثقل الحمى فقال لزوجته وولده: لا يلينى إلا أصحابى ولا يصلٌ على ابن زياد.

حمل على بن أبى طالب وتقدم يأنح (يعلو صوته) وأصحاب النبى عليه الصلاة والسلام يهرولون خلفه حتى ركز رايته فى رضم (حجارة مجتمعة) من حجارة حصن ناعم. فأطل يهودى من رأس الحصن وقال: من أنت؟

قال على: أنا على بن أبى طالب.

فقال اليهودى: علوتم وما أنزل على موسى .. غلُبتم يا معشر يهود.

وخرج أهل الحصن يتقدمهم الحارث أخو مرحب. والتقى الجمعان ودار قتال رهيب وانكشف المسلمون وثبت على ومشى إليه الحارث فضرب علياً فطاح ترسه من يده فتناول على بن أبى طالب بابا كان عند الحصن تترس به عن نفسه وهجم على الحارث فضربه بسيفه فجزله، فلما رأى أصحاب رسول الله صلى الله وسلم ثبات على وقتل الحارث كروا على أعدائهم وظل على قابضا على باب الحصن فهزت أصوات المسلمين خيبر: يا منصور أمت .. يا منصور أمت.

وبرز مرحب وكان معروفا بالشجاعة وكان ملكهم وصاحب الحصن، عليه مغفز يمانى قد نقبه مثل البيضة على رأسه وهو يقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحيانا وحينا أضرب إذا الحروب أقبلت تلهب

كان حماى كالحمى لا يقرب

فخرج إليه عامر بن الأكوع .. ولكن مرحب قتله فمشى إليه على بن أبى طالب فضربه ضربة حتى عض السيف منه بيضة رأسه .. ثم انتهى على إلى الحصن فاجتذب بابه فألقاه على الأرض. ثم اجتمع عليه سبعون رجلا حتى أعادوه .. وفتح الله لهم الحصن.

واشتهر على بن أبى طالب بالفروسية والشجاعة فيوم بدر فعل بقريش الأفاعيل فما من رهط من بيوت أشراف قريش إلا وقد قتل منه سيدا فإنه لم يترك حنظلة بن أبى سفيان إلا كأمس الدابر فأوغر عليه صدور الأمويين، وقتل الوليد بن عتبة بن ربيعة فقلب عليه بنى عبد شمس، واشترك مع عمه حمزة بن

عبد المطلب فى القضاء على طعمة بن عدى، وقتل الحارث بن زمعة بن الأسود فأصبح هدفا لأحقاد بنى أسد، وزاد فى حقدهم أنه قتل نوفل بن خويلد (ابن العدوية) بن أسد، وأضاف إلى الأحقاد أحقاد بنى تيم لما صرع عمير بن عثمان بن عمرو وقطع رأس أبى قيس بن الوليد أخى خالد بن الوليد فاكتسب عداوة بنى المغيرة وبنى مخزوم، وأضاف إليه مسعود بن أبى أمية بن المغيرة وحاجز بن السائب المخزومى فكانت قلوب بنى المغيرة وبنى مخزوم كلها عليه.

ويوم أحد قتل طلحة بن أبى طلحة وكان بيده لواء المشركين وأرطأة بن شرحبيل، وقتل خالد بن سفيان وأبا الشعثاء بن سفيان وأبا الحمراء بن سفيان وغراب بن سفيان وكانوا فرسانا..

ويوم الخندق صرع فارس العرب الذى لا يشق له غبار عمرو بن عبدود و.. و..و ..و

ويوم خيبر قتل مرحب اليهودى فارس خيبر ..

فقام أسيد بن أبى إياس (اناس) بن زنيم (قبل أن يسلم) يحرض على على ابن أبى طالب قريشاً ويعيرهم به فقال:

لقد كان سيفه وإقدامه وشجاعته مضرب الأمثال، وكم دفع كربات عن رسول الله ﷺ؟

يقول أنس بن مالك: بعثنى النبى عليه الصلاة والسلام إلى أبى برزة الأسلمى فقال له – وأنا أسمع – يا أبا برزة إن رب العالمين عهد إلى عهدا فى على ابن أبى طالب فقال: إنه راية الهدى ومنار الإيمان وإمام أوليائى ونور جميع من أطاعنى، يا أبا برزة على بن أبى طالب أمينى غدا فى القيامة وصاحب رايتى فى القيامة على مفاتيح خزائن رحمة ربى.

فى كل مجمع غاية اخزاكم	جذع أبر على المذاكى القرح
للّه دركم ولما تذكروا	قد يذكر الحر الكريم ويستحى
هذا ابن فاطمة الذى أفناكمو	ذبحا بقتلة يعضد لم يذبح
أين الكهول وأين كل دعامة	فى المعضلات وأين زين الأبطح

يقول أبو برزة الأسلمى: قال رسول اللّه ﷺ: إن اللّه تعالى عهد إلى عهدا فى على فقلت: يا رب بينه لى، فقال: اسمع، فقلت: سمعت. فقال : إن عليا راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعنى، وهو الكلمة (الحكمة) التى ألزمتها المتقين، من أحبه أحبنى ومن أبغضه أبغضنى فبشره بذلك. فجاء على فبشرته، فقال: يا رسول اللّه أنا عبد اللّه وفى قبضته فإن يعذبنى فبذنبى وإن يتم لى الذى بشرنى به فاللّه أولى بى قال: قلت اللهم اهد قلبه واجعل ربيعه الإيمان، فقال الله : قد فعلت به ذلك. ثم إنه رفع إلى أنه سيخصه من البلاء بشئ لم يخص به أحدا من أصحابى. فقلت: يا رب أخى وصاحبى فقال: إن هذا شئ قد سبق أنه مبتلى ومبتلى به.

وغاضب على بن أبى طالب زوجته فاطمة بنت رسول اللّه ﷺ يوما فخرج فاضطجع إلى الجدار فى المسجد فجاءه النبى عليه الصلاة والسلام وقد امتلأ ظهره ترابا فجعل رسول اللّه ﷺ يمسح عن ظهره ويقول: اجلس أبا تراب.

فكان أحب أسماء على بن أبى طالب إليه أبا تراب، وإن كان ليفرح أن يدعى به.

وذات ضحى قال على للنبى عليه الصلاة والسلام: يا رسول اللّه أوصنى.

قال النبى عليه الصلاة والسلام: قل ربى اللّه ثم استقم.

فقال على: اللّه ربى وما توفيقى إلا باللّه عليه توكلت وإليه أنيب.

فقال رسول اللّه ﷺ:

ليهنك العلم أبا الحسن لقد شربت العلم شربا ونهلته نهلا.

يقول عبد اللّه بن مسعود: إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن وإن عليا عنده علم الظاهر والباطن.

ويقول معاذ بن جبل: قال رسول اللّه ﷺ: يا على أخصك بالنبوة ولا نبوة بعدى، وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيها أحد من قريش، أنت أولهم إيمانا باللّه وأوفاهم بعهد اللّه وأقومهم بأمر اللّه وأقسمهم بالسوية وأعدلهم فى الرعية وأبصرهم بالقضية وأعظمهم عند اللّه مزية.

واشتكى على بن أبى طالب البرد والحر فدعا رسول الله ﷺ لعلى أن يذهب عنه الحر والبرد .. فلم يشكُ واحداً منهما. وكان على بن أبى طالب يلبس ثياب الشتاء فى الصيف وثياب الصيف فى الشتاء ولا يتأثر.

وعلم رسول اللّه ﷺ أن بنى سعد بن بكر قد جمعوا جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر، وأن يجعلوا لهم تمر خيبر (ما يوجد من غلتها) فبعث النبى عليه الصلاة والسلام إليهم على بن أبى طلب فى مائة رجل فسار إليهم الليل وكمن النهار (كان بينها وبين المدينة ست ليال) إلى أن نزلوا محلا بين خيبر وفدك فوجدوا به رجلا فسألوه عن القوم فقال: أى قوم؟ لا علم لى ..

فشدوا عليه فأقر أنه عين (جاسوس) لهم وقال: أخبركم على أن تؤمنونى؟

قال أصحاب على: نعم.

فدلهم .. فأغاروا عليهم وأخذوا خمسمائة بعير وألفى شاة وهربت بنو سعد بالظعن.

وعزل على صفى رسول اللّه ﷺ لقوحا (حلوبا قريبة عهد بنتاج تدعى الحفدة لسرعة سيرها) ثم عزل الخمس وقسم الباقى على أصحابه.

وفتح اللّه حصون خيبر غنيمة للمسلمين.

وشهد على بن أبى طالب مع رسول اللّه ﷺ عمرة القضاء.

وبلغ رسول اللّه ﷺ كلام أغضب عليا فقال النبى عليه الصلاة والسلام لأصحابه: ما تريدون من على؟ إن عليا منى وأنا من على وهو ولى كل مؤمن بعدى.

وأخذ رداءه فوضعه على على وفاطمة وحسن وحسين وقال ﷺ: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت﴾.

ثم قال لعلى: لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق.

وذات يوم أراد النبى عليه الصلاة السلام أن يتحسس ما يجرى فى الشام فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى هرقل بغير كتاب فدخل دحية على هرقل

فاستقبله بالترحاب (كانت العلاقة طيبة بين دحية الكلبى وهرقل ملك الروم، فقد كان دحية تاجرا يجوب الافاق ويقدم إلى هرقل الهدايا ويعود من عنده بالدمقس وأجود أنواع الحرير) وأجازه بمال وكساء فأقبل دحية من عند هرقل يحمل الهدايا وتجارة كانت له حتى إذا كان بوادى شنان أغار عليه الهنيد بن عارض وابنه عارض بن الهنيد فى ناس من جذام وأخذوا ما معه ولم يتركوا إلا الخلق من الثياب. وكان رهط من رفاعة بن زيد قد أسلموا وكانت منازلهم قريبة من وادى شنان فلما سمعوا بما حاق بدحية الكلبى نفروا إلى الهنيد بن عارض وابنه عارض ابن الهنيد ومن معهما حتى لقوهم واستنقذوا لدحية متاعه. وقدم دحية بن خليفة الكلبى على رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فبعث عليه الصلاة والسلام زيد بن حارثة فى خمسمائة رجل ورد معه دحية الكلبى فكان زيد يسير الليل ويكمن النهار ومعه دليل من عذرة فأقبل بهم حتى هجم بهم مع الصبح على القوم فأوجعوا وقتلوا الهنيد وابنه عارض بن الهنيد وأغاروا على مواشيهم ونعمهم ونسائهم فأخذوا ألف بعير وخمسة آلاف شاة ومن النساء والصبيان مائة ولما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة ركبوا وجاءوا إليه فقال رجل منهم: إنا قوم مسلمون. فقال زيد بن حارثة: اقرأ أم الكتاب.

فقرأها ولكن زيد بن حارثة لم يصدقه. فذهب رفاعة بن زيد الجذامى فى نفر من قومه (كان رفاعة قد أسلم) إلى النبى عليه الصلاة والسلام وأخبروه بما فعل بهم زيد بن حارثة. وقال رفاعة بن زيد: يارسول الله لا تحرم علينا حلالا ولا تحل لنا حراما ..

فقال رسول الله ﷺ : كيف أصنع بالقتلى؟

قال رفاعة بن زيد: أطلق لنا من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هاتين.

فبعث النبى عليه الصلاة والسلام معهم على بن أبى طالب يأمر زيد بن حارثة أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم. ولكن زيد بن حارثة رفض فرجع على إلى النبى ﷺ وقال: يا رسول الله إن زيدا لا يطيعنى.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام لعلى: خذ سيفى هذا.

فأخذه على ومشى إلى زيد بن حارثة فأبلغه أمر رسول اللّه ﷺ فتساءل زيد: ما علامة ذلك؟

فقال على بن أبى طالب: هذا سيفه ﷺ.

عرف زيد السيف وصاح بالناس فاجتمعوا فقال: من كان معه شئ فليرده، فهذا سيف رسول اللّه ﷺ. فرد الناس كافة كل ما أخذوه.

وذات يوم جلس على بن أبى طالب وجابر بن عبد اللّه وعمران بن حصين وأبو هريرة وعبد اللّه بن عمر وأبو أمامة الباهلى فى مسجد رسول اللّه ﷺ فخرج عليهم وقال: من أرسل بنفقة فى سبيل اللّه وأقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم، ومن غزا بنفسه فى سبيل اللّه وأنفق فى وجه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية: «والله يضاعف لمن يشاء». (١)

ويوم فتح مكة كانت راية رسول اللّه ﷺ مع على بن أبى طالب .. وبعد أن دخلها وطهر الكعبة من الأصنام التى كانت مبثوثة حولها وبقى هبل كبير الآلهة فى جوف الكعبة وقد أرخى الليل سدوله قال النبى عليه الصلاة والسلام لعلى: اصعد على منكبى واهدم الصنم.

فقال على: يا رسول اللّه بل اصعد أنت فإنى أكرمك أن أعلوك فقال رسول اللّه ﷺ: فاصعد أنت.

فجلس النبى عليه الصلاة والسلام فصعد على على كاهله ثم نهض به وصعد إلى ظهر الكعبة وراح على يعالج الصنم حتى تمكن من رفعه فألقاه على الأرض فصار جذاذا. وكان أبو سفيان بن حرب ينظر ورسول اللّه ﷺ يقول: جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا.

فالتفت الزبير بن العوام إلى أبى سفيان وقال له: قد كسر هبل، أما إنك قد كنت فى يوم أحد فى غرور حين تزعم أنه قد أنعم.

فقال أبو سفيان: دعنى ولا توبخنى لو كان مع إله محمد إله آخر لكان الأمر غير ذلك.

---

(١) البقرة: الآية ٢١٦.

ولما خرج رسول الله ﷺ إلى حنين قدم لواء المهاجرين إلى على بن أبى طالب وراية يحملها سعد بن أبى وقاص وراية يحملها عمر بن الخطاب ودفع لواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر ولواء الأوس إلى أسيد بن حضير.

وانكشف المسلمون لما باغتهم مالك بن عوف ومن معه، وثبت العباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب والفضل بن العباس وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وأبو بكر وعمر بن الخطاب وأسامة بن زيد فى أناس من أهل بيته .. ثم نادى العباس أصحاب رسول الله ﷺ فرجعوا وحملوا على هوازن ومن تبعها وكان نصر الله.

وشهد على بن أبى طالب حصار الطائف مع رسول الله ﷺ.

يقول جابر بن عبد الله: قال رسول الله ﷺ: الناس من شجر شتى وأنا وعلى من شجرة واحدة.

أما ترضى أن تكون منى كهارون من موسى؟

ولما تأهب رسول الله ﷺ للخروج إلى تبوك خلف محمد بن مسلمة الأنصارى على المدينة، وخلف على بن أبى طالب على أهله، وقال له عليه الصلاة والسلام: إنه لابد أن أقيم أو تقيم.

فلما فصل رسول الله ﷺ ونزل الجرف (موضع قريب من المدينة على ثلاثة أميال) قال ناس بالمدينة: ما خلف عليا إلا لشئ كرهه منه.

فبلغ ذلك على بن أبى طالب فانطلق وراء جيش رسول الله ﷺ حتى انتهى إليه ومعه سلاحه فلما رآه النبى عليه الصلاة والسلام قال: ما جاء بك يا على؟

قال على بن أبى طالب: لا يا رسول الله إلا أنى سمعت ناسا يزعمون أنك إنما خلفتنى لشئ كرهته منى.

فتضاحك رسول الله ﷺ وقال: يا على أما ترضى أن تكون منى كهارون من موسى غير أنك لست بنبى؟

قال على بن أبى طالب فى فرح: بلى يا رسول اللّه.

قال النبى عليه الصلاة والسلام: فإنه كذلك.

فرجع على بن أبى طالب إلى المدينة ومضى رسول اللّه ﷺ على سفره.

ولما رجع رسول اللّه ﷺ من تبوك جلس فى مسجده يقسم الغنائم فدفع لكل واحد سهما ودفع لعلى بن أبى طالب سهمين فقام زائدة بن الأكوع وقال: يا رسول اللّه أوحى نزل من السماء أم أمر من نفسك؟

فقال رسول اللّه ﷺ: أنشدكم اللّه هل رأيتم فى ميمنتكم صاحب الفرس الأغر المحجل والعمامة الخضراء بها ذؤابتان مرخاتان على كتفيه بيده حربة قد حمل بها على الميمنة فأزالها؟

قال أصحاب رسول اللّه ﷺ : نعم.

قال النبى عليه الصلاة والسلام. هو جبريل عليه السلام وإنه أمرنى أن أدفع سهمه لعلى.

وكانت غزوة العسرة (تبوك) آخر غزوة غزاها رسول اللّه ﷺ سنة تسع من الهجرة فأقام شهر رمضان بالمدينة وشهر شوال وذا القعدة فبعث أبا بكر الصديق ليقيم الحج للناس.

قائد الغر المحجلين .. المبلغ عن رسول اللّه:

دعا رسول اللّه ﷺ خادمه أنس بن مالك فقال له: يا أنس اسكب لى وضوءا.

ثم قام فصلى ركعتين ثم قال عليه الصلاة والسلام: يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر المحجلين وخاتم الوصيين.

قال أنس فى نفسه : اللهم اجعله رجلا من الأنصار.

فأقبل على بن أبى طالب فتساءل النبى عليه الصلاة والسلام: من هذا يا أنس؟ فقال أنس بن مالك: على.

فقام النبى عليه الصلاة والسلام مستبشرا فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ويمسح عرق على بوجهه فقال على بن أبى طالب: يا رسول الله لقد رأيتك صنعت شيئا ما صنعت بى من قبل.

فتساءل رسول الله ﷺ: وما يمنعنى وأنت تؤدى عنى وتسمعهم صوتى وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدى؟

ولما نزلت سورة براءة على النبى عليه الصلاة والسلام فقيل له: يا رسول الله لو بعثت إلى أبى بكر.

فقال رسول الله ﷺ: لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى.

ثم دعا النبى عليه الصلاة والسلام عليا فقال له: اذهب بهذه القصة من سورة براءة وأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته.

فخرج على بن أبى طالب على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق فى الطريق (لحقه بالجحفة) فلما رآه أبو بكر سأله: أمير أو مأمور؟

قال على بن أبى طالب: بل مأمور.

ثم مضيا فأقام أبو بكر للناس الحج إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج التى كانوا عليها فى الجاهلية حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب فأذن فى الناس بالذى أمره رسول الله ﷺ فقال: أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو إلى مدته.

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان.

وسئل على بن أبى طالب : من أول الناس إسلاما؟

قال على بن أبى طالب: كنت أول من أسلم ولكنى أخفيت إسلامى. إن أبا بكر سبقنى إلى أربع (عد منها إظهار الإسلام) وأنا أخفيته .

سريته إلى طيئ .. واليمن :

وبعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب إلى طيئ فى خمسين ومائة رجل من الأنصار على مائة بعير وخمسين فرسا معه راية سوداء ولواء أبيض لهدم القلس (صنم طيئ) والغارة عليهم مع الفجر، فهدموا القلس وأحرقوه واستاقوا النعم والشاء والسبى وكان فى السبى سفانة بنت حاتم الطائى أخت عدى بن حاتم. فلما مر النبى عليه الصلاة والسلام بسفانة (السفانة هى الدرة) فقامت إليه وقالت: يا محمد أرأيت أن تمن علىّ ولا تفضحنى فى قومى، فإنى بنت سيدهم إن أبى كان يطعم الطعام ويحفظ الجوار ويرعى الذمار ويفك العانى ويشبع الجائع ويكسو العريان، ولم يرد طالب حاجة قط. أنا بنت حاتم الطائى.

فقال لها النبى عليه الصلاة والسلام: هذه مكارم الأخلاق، ولو كان أبوك مسلما لترحمت عليه .. خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، وإن اللّه يحب مكارم الأخلاق. فأسلمت سفانة بنت حاتم الطائى.

ومرض على بن أبى طالب فذهب النبى عليه الصلاة والسلام إلى بيت ابنته فاطمة فوجد عليا يشتكى ويقول: اللهم إن كان أجلى قد حضر فأرحنى وإن كان متأخرا فاشفنى وإن كان بلاء فصبرنى.

فقال له رسول اللّه ﷺ: كيف قلت؟

فأعاد على ذلك عليه. فمسح النبى عليه الصلاة والسلام بيده المباركة الشريفة ثم قال: اللهم اشفه.

فما عاد ذلك المرض لعلى بن أبى طالب.

وجلس على بن أبى طالب بجانب رسول اللّه ﷺ فى المسجد فأقبل أبو بكر وعمر وعثمان وبعض الصحابة فقال رسول اللّه ﷺ:

رحم اللّه أبا بكر، زوجنى ابنته وحملنى إلى دار الهجرة وأعتق بلالا – بلال ابن رباح – من ماله وما نفعنى مال فى الإسلام ما نفعنى مال أبى بكر.

رحم اللّه عمر: يقول الحق ولو كان مرا لقد تركه الحق وماله صديق.

رحم الله عثمان: تستحيه الملائكة وجهز جيش العسرة وزاد فى مسجدنا حتى وسعنا. رحم الله عليا اللهم أدر الحق معه حيث دار.

وأرسل النبى عليه الصلاة والسلام على بن أبى طالب إلى بلاد مذحج من أرض اليمن فى ثلاثمائة فارس وعقد له لواء وعممه بيده وقال: امض ولا تلتفت فإذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك.

فكانت أول خيل دخلت إلى تلك البلاد ففرق على أصحابه فأتوا بنهب وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك وجعل على بن أبى طالب على الغنائم بريدة بن الخصيب.. ثم لقى جمع مذحج فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبل والحجارة فصف على أصحابه ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا فكف عن طلبهم. ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرع إلى إجابته ومتابعته نفر من رؤسائهم وقالوا: نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى. وجمع على بن أبى طالب الغنائم فجزأها على خمسة أجزاء فكتب فى سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم الباقى على أصحابه.

ثم رجع على بن أبى طالب فوافى النبى عليه الصلاة والسلام بمكة فقد قدم ﷺ بالناس للحج (حجة الوداع) فمشى معه.

مرض رسول الله ﷺ .. ووفاته:

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة وهو يشتكى .. فاجتمع عنده رجال من أصحابه فقال النبى عليه الصلاة والسلام: هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده.

فقال عمر بن الخطاب: إن رسول الله ﷺ غلبه الوجع وعندكم القرآن.

لقد قال ذلك عمر تخفيفا على رسول الله ﷺ. فارتفعت أصوات الحاضرين فأمرهم بالخروج من عنده. وخرج على بن أبى طالب فتساءل الناس: يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ؟

قال على بن أبى طالب : أصبح بحمد الله بارئا.

فأخذ العباس بن عبد المطلب بيده وقال له: والله أنت بعد ثلاث عبد العصا وإني لأرى رسول الله ﷺ من وجعه هذا بعد ثلاث ميتا فإني رأيت في وجهه ما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب عند الموت، فاذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإذا كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا كلمناه فأوصى بنا. فقال على بن أبي طالب: لا أسألها رسول الله ﷺ.

وقيل لرسول الله ﷺ: من نؤمر بعدك؟

فنظر إلى أصحابه وقال: إن تؤمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة، وإن تؤمروا عمر تجدوه قويا أمينا لا يخاف في الله لومة لائم وإن تؤمروا عليا وما أراكم فاعلين تجدوه هاديا مهديا يأخذ بكم الطريق المستقيم.

وخرج رسول الله ﷺ عاصبا رأسه يمشي بين على بن أبي طالب والفضل ابن العباس معتمدا عليهما تخط قدماه الأرض حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم، هل خلد نبي قبلي فيمن بعث إليه فأخلد فيكم؟ ألا وإني لاحق بربي وإنكم لاحقون به فأوصيكم بالمهاجرين خيرا، وأوصى المهاجرين فيما بينهم بخير فإن الله يقول: [والعصر* إن الإنسان لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر](١) وإن الأمور تجري بإذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد، ومن غالب الله غلبه، ومن خادع الله خدعه [فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم](٢) وأوصيكم بالأنصار خيرا فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم، أن تحسنوا إليهم. ألم يشاطروكم في الثمار؟ ألم يوسعوا لكم في الدار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم خصاصة؟ ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم. لا ولا تستأثروا عليهم. ألا فإني فرطكم وأنتم لاحقون بي، ألا وإن موعدكم الحوض، ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه إلا فيما ينبغي.

ودخل النبي عليه الصلاة والسلام دار عائشة .. وانتقل إلى الرفيق الأعلى.

---

(١) سورة العصر.

(٢) سورة محمد الآية ٢٢.

وارتفع صوت فاطمة الزهراء تبكى أباها :

- وأبتاه .. أبتاه.

أجاب ربا دعاه . يا أبتاه.

الفردوس مأواه . أبتاه.

إلى جبريل ننعاه.

ونزل بقلب على بن أبى طالب وأصحابه حزن ثقيل .. فبكى وبكى الناس.

وكان على بن أبى طالب دائبا فى جهاز النبى عليه الصلاة والسلام لما مال عمر بن الخطاب على أذن أبى بكر ثم خرجا مسرعين فأحس العباس بن عبد المطلب أن فى الأمر شيئا وأن الناس يفكرون فيمن يخلف رسول الله ﷺ فقال لعلى بن أبى طالب : امدد يدك أبايعك فيقول الناس : عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان.

فقال على بن أبى طالب : أو يطمع يا عم فيها (الخلافة) طامع غيرى؟

قال العباس بن عبد المطلب: ستسمع.

وأخذ على بن أبى طالب وأسامة بن زيد والعباس بن عبد المطلب وولداه الفضل وقثم يشتغلون بجهاز رسول الله ﷺ. واختلفوا هل يغسل فى ثيابه أو يجرد منها كما تجرد الموتى؟ فرأوا أن يغسلوه وعليه ثيابه فأخذ على يغسله وعليه قميصه ولف على يده خرقة وأدخلها تحت القميص يغسل بها الجسد الشريف وغسل عليه الصلاة والسلام فى المرة الأولى بالماء القراح وفى الثانية بالماء والسدر وفى الثالثة بالماء والكافور، وكفن فى ثلاثة أثواب بيض يمانية. وراح على يقول: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء، وخصصت حتى صرت مسليا عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشئون، ولكان الداء مماطلا والكمد مخالفا، وقلاّ لك ولكنه ما لايملك رده ولا يستطاع دفعه بأبى أنت وأمى اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك.

الخلافة .. بعد رسول الله:

وأقبل أبو سفيان بن حرب (كان النبى عليه الصلاة والسلام قد بعثه على الصدقات) فلما علم أن رسول الله ﷺ قد مات تساءل : من ولى من بعده؟

قالوا: أبو بكر.

فقال أبو سفيان فى عجب: أبو الفصيل؟ (سمى بذلك لضعف بنيته والفصيل ولد الناقة وقد انفصل عنها) فما فعل المستضعفان على والعباس؟ والذى نفسى بيده لأرفعن لهما من أعضادهما.

وأتى أبو سفيان على بن أبى طالب والعباس فمال أبو سفيان على العباس وأسر فى أذنه بكلمات فقال العباس لعلى بن أبى طالب: ابسط يدك أبايعك ويبايعك هذا الشيخ فإنا إن بايعناك لم يختلف عليك أحد من بنى عبد مناف، وإذا بايعك بنو عبد مناف لم يختلف عليك أحد من قريش، وإذا بايعك قريش لم يختلف عليك أحد من العرب.

فقال على فى ثقة: لنا بجهاز رسول الله شغل، وهذا الأمر فليس يخشى عليه.

فلم يلبثوا أن سمعوا التكبير من سقيفة بنى ساعدة .. فتساءل على:

يا عم ما هذا؟

فقال العباس بن عبد المطلب: ما دعوناك إليه فأبيت.

فقال على بن أبى طالب: سبحان الله أيكون هذا؟

فقال العباس بن عبد المطلب: نعم.

فتساءل على : أفلا يرد؟

فقال العباس بن عبد المطلب: وهل رد مثل هذا قط؟

فقال أبو سفيان بن حرب وكأنه أراد أن تكون فتنة فى الإمارة: وليتم على هذا الأمر أذل بيت فى قريش، أما والله لئن شئت لأملأنها على أبى فصيل خيلا ورجلا.

فقال على بن أبى طالب: طالما غششت الإسلام وأهله فما ضررتهم شيئا. لاحاجة لنا إلى خيلك ورجلك.

ودخل قبر رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وعمه العباس والفضل بن العباس.

ودخل على على زوجته فاطمة الزهراء وهو حزين فقالت له: دفنتم رسول الله ﷺ؟

فقال على : نعم.

فتساءلت أم أبيها: كيف طابت قلوبكم أن تحثوا التراب عليه؟ كان نبى الرحمة.

فقال على بن أبى طالب : نعم ولكن لا راد لأمر الله.

وبينما كان على والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى والبراء بن عازب الأنصارى فى بيت فاطمة بنت رسول الله ﷺ أقبل عمر بن الخطاب ثم قال لعلى: قم فبايع لأبى بكر.

فتلكأ واحتبس فأخذه بيده وقال: قم.

فأبى على بن أبى طالب أن يقوم فحمله ودفعه فأخرجه. ورأت فاطمة الزهراء ما صنع بزوجها فقامت على باب الحجرة وقالت: يا أبا بكر ما أسرع ماأغرتم على أهل بيت رسول الله. والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله.

وجئ بعلى بن أبى طالب إلى أبى بكر وهو يقول: أنا عبد الله أخو رسول الله.

فقيل له : بايع.

فقال على بن أبى طالب: أنا أحق بهذا الأمر منك لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لى. أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبى ﷺ وتأخذونه منا أهل البيت غصبا؟ ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة وسلموا إليكم الإمارة؟ فإذاً أحتج عليكم بمثل ما

احتججتم على الأنصار. نحن أولى برسول الله حيا وميتا فأنصفونا إن كنتم مؤمنين وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون.

فقال له عمر بن الخطاب: إنك لست متروكا حتى تبايع.

فقال له علي: احلب له حلبا لك شطره وشد له اليوم يردده عليك غدا.

ثم قال : والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه.

فقال له أبو بكر الصديق: إن لم تبايع فلا أكرهك.

فقال أبو عبيدة بن الجراح: يا ابن عم إنك حديث السن وهؤلاء مشيخة قومك ليس لك مثل تجربتهم ومعرفتهم بالأمور، ولا أري أبا بكر إلا أقوى على هذا الأمر منك وأشد احتمالا واستطلاعا فسلم لأبى بكر هذا الأمر فإنك إن تعش ويطل بك بقاء فأنت لهذا الأمر خليق وحقيق فى فضلك ودينك وعلمك وفهمك وسابقتك ونسبك وصهرك.

فقال على بن أبى طالب: الله الله يا معشر المهاجرين، لا تخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره وقعر بيته إلى دوركم وقعور بيوتكم وتدفعوا أهله عن مقامه فى الناس وحقه،فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به لأنا أهل البيت ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارئ لكتاب الله العالم بسنن رسول الله المتطلع لأمر الرعية الدافع عنهم الأمور السيئة القاسم بينهم بالسوية، والله إنه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا.

وقال بشير بن سعد الأنصارى (كان أول من بايع أبا بكر وانتزع الأمر من سعد بن عبادة وجعل الأنصار يبايعون أبا بكر فى سقيفة بنى ساعدة): لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا على قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلف عليك.

وانحاز فريق من المهاجرين إلى على وفريق إلى أبى بكر .. فجلس على فى داره وكان أصحابه يمشون إليه بما يدور بين المهاجرين والأنصار فاستشعر خوفا على الإسلام وأهله. وجاءه رسول أبى بكر يسأله الخروج لبيعة أبى بكر ويخوفه الفتنة لو أخر فخرج على إلى أبى بكر فلما رآه الصديق قال: أيها الناس هذا على ابن أبى طالب لا بيعة لى فى عنقه وهو بالخيار من أمره، ألا وأنتم بالخيار جميعا فى بيعتكم فإن رأيتم لها غيرى فأنا أول من يبايعه.

فقال على بن أبى طالب: ما غضبنا إلا فى المشورة وإنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف له سنه. ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة وهو حى. لا نرى غيرك. امدد يدك.

وبايع على أبا بكر فأقبل الناس على على فقالوا: أصبت يا أبا الحسن وأحسنت.

وكان خليفة رسول الله ﷺ يستشير عليا، وكيف لا يستشير القارئ لكتاب الله والفقيه فى دين الله والعالم بسنن رسول الله ﷺ؟ وكان يقول : افتنا يا أبا الحسن.

ولما مات أبو بكر وقف على يرثى خليفة رسول الله ﷺ فقال معبرا عن مزايا الصديق: رحمك الله أبا بكر. كنت والله أول القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا وأشدهم يقينا، صدقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا، وقمت معه حين قعدوا، كنت والله للإسلام حصنا وللكافرين ناكبا، لم تهن حجتك ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، كنت والله كما قال رسول الله فيك: ضعيفا فى بدنك قويا فى دينك متواضعا فى نفسك فلا حرمنا الله أجرك ولا أضلنا بعدك.

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يقول: علىٌّ أقضانا،

وكان الفاروق يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو الحسن.

وكان عمر بن الخطاب يقول: لقد أعطى على ثلاث خصال لأن تكون لى خصلة منها أحب إلى من أن أعطى حمر النعم.

فقيل : وما هن يا أمير المؤمنين؟

قال عمر بن الخطاب: تزوجه ابنته فاطمة وسكناه المسجد لا يحل لى فيه ما يحل له (قال النبى عليه الصلاة والسلام لعلى: لا يحل لأحد أن يجنب فى هذا المسجد غيرى وغيرك) والراية يوم خيبر.

ولطالما كان عمر بن الخطاب يستنجد بفقه على وبذكائه وببصيرته .. ثم يقول: لولا على لهلك عمر.

ولما طعن عمر بخنجر أبى لؤلؤة المجوسى وطلب منه أن يختار بنفسه من يخلفه أبي وجعل الأمر فى رجل من رجال ستة منحهم رسول الله ﷺ كل تكريم وحب ورضى: على وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير بن العوام.

وبايع الناس عثمان بن عفان ..

وكان أول من بايع أمير المؤمنين عثمان عبد الرحمن بن عوف ثم على بن أبى طالب ثم تتابع الناس فبايعوا . وظل أبو الحسن متصديا لنصر العلم والفتيا فى عهد ذى النورين.

أخيرا .. في رحاب أمير المؤمنين علي:

ولما قتل أمير المؤمنين عثمان بويع لعلى بن أبى طالب بالمدينة الغد من يوم مقتل عثمان بالخلافة، بايعه طلحة بن عبيد اللّه والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمار بن ياسر وأسامة بن زيد وسهل ابن حنيف وأبو أيوب الأنصارى ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وجميع من كان بمدينة رسول اللّه ﷺ.

وقد ذكر أن الزبير وطلحة قد بايعا كارهين غير طائعين وخرجا إلى مكة وبها أم المؤمنين عائشة، ثم خرجا إلى البصرة ومعهما عائشة يطلبون بدم عثمان، وبلغ أمير المؤمنين عليا ذلك فخرج من المدينة إلى العراق. وقام معاوية بن أبى سفيان فى أهل الشام وكان أميرها لعثمان ولعمر من قبله فدعا إلى الطلب بدم عثمان (تألف الناس بالأموال وبالدهاء حتى صارت الشام حصنه المنيع) لما علم أن أمير المؤمنين على يريد عزله.

وكانت وقعة الجمل .. ثم وقعة صفين .. التى قتل فيها عمار بن ياسر وخزيمة بن ثابت وأبو عمرة المازنى، وكانوا مع أمير المؤمنين على ورفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها (مكيدة من عمرو بن العاص أشار بذلك على معاوية وهو معه) فكره الناس الحرب وتداعوا إلى الصلح وحكم معاوية عمرو بن العاص وحكم على بن أبى طالب أبا موسى الأشعرى.. وكان التحكيم. فخدع

عمرو بن العاص أبا موسى الأشعرى وخلع عليا وثبت معاوية أميرا للمؤمنين.. فافترق الناس فرجع معاوية بالألفة من أهل الشام وانصرف على إلى الكوفة بالاختلاف والدغل.

كان نقش خاتم على «الملك لله».

لما دخل على بن أبى طالب الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال: ـ والله يا أمير المؤمنين لقد زنت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك وهى كانت أحوج إليك منك إليها.

نزل أمير المؤمنين على بن أبى طالب عن بغلته وانطلق إلى المسجد فوجد رجلا واقفا على باب المسجد فقال له: أمسك على بغلتى.

فأخذ الرجل لجامها. ومضى الإمام على وترك البغلة. فلما قضى صلاته خرج وفى يده درهمان ليكافئ بهما الرجل على إمساكه بغلته ولكنه وجد البغلة واقفة بغير لجام، فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشترى بهما لجاما فوجد الغلام اللجام فى السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال أمير المؤمنين على: إن العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد علي ما قدر له.

وكان أمير المؤمنين على يكنس بيت المال ثم يصلى فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين.

وقد سئل على بن أبى طالب: مالك أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثا ؟

فقال أبو السبطين: إنى كنت إذا سألته (النبى عليه الصلاة والسلام) أنبأنى وإذا سكتُ ابتدأنى.

وكان على بن أبى طالب يقول: سلونى سلونى وسلونى عن كتاب الله تعالى فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أنزلت بليل أو نهار.

وكيف لا يسأل من تربى فى حجر رسول الله ﷺ ولازمه؟ لقد عاتب الله أصحاب رسول الله ﷺ فى غير مكان وما ذكر عليا إلا بخير ..

يقول على بن أبى طالب: كان النبى عليه الصلاة والسلام إذا قام إلى الصلاة المكتوبة كبر ورفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه وإذا أراد أن يركع فعل مثل ذلك وإذا رفع رأسه من الركوع فعل مثل ذلك، وإذا قام من السجدتين فعل مثل ذلك.

وبينما كان رسول الله ﷺ جالسا مع على بن أبى طالب وبعض أصحابه نكت النبى عليه الصلاة والسلام فى الأرض بعود كان فى يده ثم رفع رأسه وقال: ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار.

فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام: لا ، اعملواولا تتكلوا فكل ميسر لما خلق له. ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى * وصدق بالحسنى * فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى * وكذب بالحسنى * فسنيسره للعسرى﴾. (١)

وذكر أحد الجالسين ليلة النصف من شعبان فقال رسول الله ﷺ: إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فإن الله ينزل فيها لغروب الشمس إلى سماء الدنيا فيقول: ألا من مستغفر لى فأغفر له ألا مسترزق فأرزقه ألا مبتلى فأعفيه ألا كذا حتى يطلع الفجر.

ويقول على بن أبى طالب: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا ينفعنى الله بما شاء منه، وإذا حدثنى عنه غيره استحلفته فإذا حلف صدقته وإن أبا بكر حدثنى وصدق أبو بكر قال: قال رسول الله ﷺ: ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلى ركعتين ويستغفر الله إلا غفر الله له.

ويقول على بن أبى طالب: قال رسول الله ﷺ: لا يحب الله الغنى الظلوم ولا الشيخ الجهول ولا الفقير المختال.

يقول عبد الله بن عباس: ما أنزل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إلا وعلى أميرها وشريفها (على رأسها وأميرها).

ويقول ابن عباس أيضا: ما نزل فى أحد من كتاب الله تعالى ما نزل فى على.

ويقول عبد الله ابن عباس : نزلت فى على ثلاثمائة آية.

وتقول أم المؤمنين أم سلمة: كان رسول الله ﷺ إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه إلا على.

---

(١) سورة الليل الآية ٥ –٧.

وتقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سب عليا فقد سبني.

وتقول أيضا: سمعت رسول الله ﷺ يقول: على مع القرآن، والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض.

ويقول أبو سعيد الخدرى: إن النبى عليه الصلاة والسلام قال لعلى: إنك تقاتل على القرآن (تقاتل على تأويل القرآن أى تفسيره وبيان محامله) كما قاتلت على تنزيله.

ويقول على بن أبى طالب: دعانى رسول الله ﷺ فقال: يا على إن فيك مثلا من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزل الذى ليس به. ألا وإنه يهلك فيّ اثنان: محب مفرط يقرظنى بما ليس فى ومبغض (مفتر) يحمله شنانى على أن يبهتنى.

وبينما كان على بن أبى طالب جالسا فى المسجد بالكوفة جاءه رجل من خزاعة فقال له: يا أمير المؤمنين هل سمعت رسول الله ﷺ ينعت الإسلام؟

قال أبو السبطين (الحسن والحسين): نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: بنى الإسلام على أربعة أركان: على الصبر واليقين والجهاد والعدل وللصبر أربع شعب: الشوق والشفقة والزهادة والترقب فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن الحرمات ومن زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات ومن ارتقب الموت سارع فى الخيرات. ولليقين أربع شعب: تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة ومعرفة العبرة واتباع السنة. فمن أبصر الفطنة تأول الحكمة، ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة اتبع السنة ومن اتبع السنة فكأنما كان فى الأولين، وللجهاد أربع شعب: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصدق فى المواطن وشنآن الفاسقين.

فمن أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق ومن صدق فى المواطن قضي الذي عليه وأحرز دينه، ومن شنأ الفاسقين فقد غضب للهّ ومن غضب لله يغضب الله له. وللعدل أربع شعب: غوص الفهم وزهرة العلم وشرائع الحكم،ومن عرف شرائع الحكم ورد روضة الحلم ومن ورد روضة الحلم لم يفرط فى أمره وعاش فى الناس وهم فى راحة.

يقـول عـمـار بن ياسـر: قـال رسـول اللّه ﷺ: يا على إن اللّه تعـالى قـد زينك بزينة لم تزين العباد بزينة أحب إلى اللّه تعالى منها، هى زينة الأبرار عند اللّه عـز وجل: الزهد فى الدنيا فـجعلك لا ترزأ من الدنيا شـيئـا ولا ترزأ (رزأته أى أصابتـه مـصـيبة) الدنيا منك شـيئـا، ووهب لك حب المساكين فـجعلك ترضى بهم أتبـاعـا ويرضون بك إماما.

وذات ضحى جلس عبد اللّه بن مسعود وعبد اللّه بن عمر وحولهما ناس فى المسجد فقال ابن مسعود: كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة على بن أبى طالب.

فقال عبد اللّه بن عمر: كنا نتحدث أن رسول اللّه ﷺ خير هذه الأمـة ثـم أبو بكر ثم عمر ولقد أعطى على بن أبى طالب ثلاث خصال زوجه رسول اللّه ﷺ ابنته فاطمة وأعطاه الراية يوم خيبر وسد الأبواب من المسجد إلا باب على.

تقول أم المؤمنين عائشة : أما إنه (على) أعلم من بقى بالسنة.

وذات ليلة قـال رسـول اللّه ﷺ: ادعـوا لى سـيـد العـرب (يعنى علـى بن أبى طالب).

فقالت عائشة بنت أبى بكر: ألست سيد العرب؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام: أنا سيد ولد آدم وعلى سيد العرب.

فلما جاء على بن أبى طالب أرسل النبى عليه الصلاة والسلام إلى الأنصار فـأتوه فقـال رسـول اللّه ﷺ: يا مـعشـر الأنصـار ألا أدلكم على مـا إن تمسكتم به لن تضلوا بعده أبدا؟

قال الأنصار: بلى يا رسول الله.

قال رسول اللّه ﷺ: هذا على فأحبوه بحبى وأكرموه بكرامتى فإن جبريل أمرنى قلت لكم من اللّه عز وجل.

يقول على بن أبى طالب: قال رسول اللّه ﷺ: أنا دار الحكمة وعلى بابها.

ومر سويد بن غفلة بقوم من الشيعة يشتمون أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وينتقصـونهما، فأتى سويد على بن أبى طالب فقال: يا أمير المؤمنين إنى

مررت بقوم من الشيعة يشتمون أبا بكر وعمر وينتقصونهما ولولا أنهم يعلمون أنك تضمر لهما على ذلك لما اجترءوا عليه.

فقال الإمام على: معاذ الله أن أضمر لهما إلا على الجميل ألا لعنة الله على من يضمر لهما إلا الحسن.

ثم نهض دامع العين يبكى فنادى: الصلاة جامعة.. فاجتمع الناس..

وصعد الإمام على المنبر فجلس وإن دموعه لتنحدر على لحيته وهى بيضاء .. ثم قام فخطب خطبة بليغة موجزة ثم قال: ما بال أقوام يذكرون سيدى قريش وأبوى المسلمين بما أنا عنه متنزه، ومما يقولون برئ وعلى ما يقولون معاقب، فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلا مؤمن تقى ولا يبغضهما إلا كل فاجر غوى، أخوا رسول الله ﷺ ووزيراه.

وذات يوم كان النبى عليه الصلاة والسلام جالسا فى ظل مسجده فسئل عن على فقال ﷺ: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطى على تسعة أجزاء والناس جزءا واحدا.

يقول عبد الله بن عباس: كانت لعلى ثمان عشرة منقبة (خصلة يمدح عليها) ما كانت لأحد من هذه الأمة.

دعوة مستجابة:

وبينما كان على جالسا مع ناس فى المسجد الجامع بالكوفة حدث حديثا فكذبه رجل فقال له أمير المؤمنين على: أدعو عليك إن كنت كاذبا؟

قال الرجل : ادع.

فدعا عليه: فلم يبرح الرجل الجامع حتى ذهب بصره.

قضاؤه وعلمه:

وجلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغداء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا: اجلس وتغد.

فجلس الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم وقال: خذاها عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما.

فتنازعا فقال صاحب الأرغفة الخمسة: لى خمسة دراهم ولك ثلاثة .

فقال صاحب الأرغفة الثلاثة: لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين.

فارتفعا إلى أمير المؤمنين على فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الأرغفة الثلاثة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة.

فقال الرجل: والله لا رضيت عنه إلا بمر الحق.

فقال أمير المؤمنين على: ليس لك فى مر الحق إلا درهم واحد وله سبعة دراهم.

فقال صاحب الأرغفة الثلاثة: سبحان الله.

قال أمير المؤمنين على: هو ذلك.

فتساءل صاحب الأرغفة الثلاثة: فعرفنى الوجه فى مر الحق حتى أقبله.

فقال على بن أبى طالب: أليس للثمانية الأرغفة أربعة وعشرون ثلثا؟ أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الأكثر منكم أكلا ولا أقل؟ فتحملون فى أكلكم على السواء فأكلت أنت ثمانية أثلاث وإنما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وبقى له سبعة أكلها صاحب الدراهم وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد بواحدك وله سبعة.

فقال الرجل بعد أن عرف : رضيت الآن.

يقول على بن أبى طالب: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن فقلت: يا رسول الله بعثتنى وأنا شاب أقضى بينهم ولا أدرى ما القضاء؟ فضرب صدرى بيده ثم قال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه. فو الذى فلق الحبة ما شككت فى قضاء بين اثنين.

يقول بريدة الخصيب: قال رسول الله ﷺ : إن الله أمرنى بحب أربعة وأخبرنى أنه يحبهم قيل: يا رسول الله سمهم لنا. قال: على وأبو ذر والمقداد وسلمان.

ويقول أبو سعيد الخدرى: قال رسول الله ﷺ لعلى - وضرب بين كتفيه -: يا على لك سبع خصال لا يحاجك فيهن أحد يوم القيامة، أنت أول المؤمنين بالله إيمانا وأوفاهم بعهد الله وأقومهم بأمر الله وأرأفهم بالرعية وأقسمهم بالسوية وأعلمهم بالقضية وأعظمهم مزية يوم القيامة.

يقول عبد الله بن عباس: قسم علم الناس خمسة أجزاء فكان لعلى منها أربعة أجزاء ولسائر الناس جزء شاركهم على فيه فكان أعلمهم به.

ويقول أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من أصحاب النبى ﷺ ما جاء لعلى.

وقال عمرو بن ميمون: لما ضرب عمر بن الخطاب وجعل الخلافة في الستة من الصحابة فلما خرجوا من عنده قال: إن يولوها الأجلح يسلك بهم الطريق، فقال له ابنه عبد الله: فما يمنعك يا أمير المؤمنين من توليته؟ قال عمر: أكره أن أتحملها حيا وميتا.

من كلماته ووصاياه:

ومما يؤثر عن الإمام الفقيه على بن أبى طالب: لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الأمل، يحب الصالحين ولا يعمل بأعمالهم، البشاشة فخ المودة، والصبر قبر العيوب، والغالب بالظلم مغلوب. العجب ممن يدعو ويستبطئ الإجابة وقد طرقها بالمعاصى.

ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم حلمك، وأن تباهى الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله، ولا خير فى الدنيا إلا لأحد رجلين رجل أذنب ذنبا فتدارك ذلك بتوبة أو رجل يسارع فى الخيرات ولا يقل عمل فى تقوى وكيف يقل ما يتقبل؟.

احفظوا عنى خمسا فلو ركبتم الإبل فى طلبهن لأنضيتموهن قبل أن تدركوهن: لا يرجو عبد إلا ربه ولا يخاف إلا ذنبه ولا يستحى جاهل أن يسأل عما لا يعلم ولا يستحى عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم. والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا إيمان لمن لا صبر له.

إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسى الآخرة، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولكل واحدةمنهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.

طوبى لكل عبد نؤمة عرف الناس ولم يعرفه الناس، عرف الله برضوان، أولئك مصابيح الهدى يكشف الله عنهم كل فتنة مظلمة، سيدخلهم الله فى رحمة منه، ليس أولئك بالمذاييع (ذاع يذيع) البذر (الذى يفشى السر) ولا الجفاة المرائين.

وصلى الإمام على الغداة فى المسجد ونظر إلى أهل الكوفة وظل صامتا ولبث فى مجلسه حتى ارتفعت الشمس قيد رمح كأن عليه كآبة ثم قال: لقد رأيت أثرا من أصحاب رسول الله ﷺ فما أرى أحدا يشبههم والله إن كانوا ليصبحون شعثا غبرا صفرا بين أعينهم مثل ركب المعزى، قد باتوا يتلون كتاب الله يراوحون بين أقدامهم وجباههم إذا ذكر الله مادوا كما تميد الشجرة فى يوم ريح فانهملت أعينهم حتى تبل والله ثيابهم والله لكأن القوم باتوا غافلين.

ألا إن الفقيه كل الفقيه لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من عذاب الله ولا يرخص لهم فى معاصى الله، ولا يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ولا خير فى عبادة لا علم فيها ولا خير فى علم لا فهم فيه ولا خير فى قراءة لا تدبر فيها.

كونوا ينابيع العلم مصابيح الليل، خلق الثياب، تعرفوا به فى السماء وتذكروا به فى الأرض.

وشيّع الإمام على جنازة فلما وضعت فى لحدها عج أهلها وبكوا فتساءل أمير المؤمنين على: ما تبكون؟ أما والله لو عاينوا ما عاين ميتهم لأذهلتهم معاينتهم عن ميتهم . وإن له فيهم لعودة ثم عودة حتى لا يبقى منهم أحد.

ثم قام فقال: أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذى ضرب لكم الأمثال ووقت لكم الآجال وجعل لكم أسماعا تعى عياها وأبصار لتجلو عن غشاها، وأفئدة تفهم ما دهاها فى تركيب صورها، وما أنعم عليكم بالنعم السوابغ، وأرفدكم بأوفر الروافد، وأحاط بكم الإحصاء وأرصد لكم الجزاء فى السراء والضراء ، فاتقوا الله

عباد الله وجدوا فى الطلب وبادروا بالعمل مقطع النهمات وهادم اللذات فإن الدنيا لا يدوم نعيمها ولا تؤمن فجائعها، غرور حائل وشبح فائل وسناد مائل، يمضى مستطرفا ويردى مستردفا، بإتعاب شهواتها وختل تراضعها اتعظوا عباد الله بالعبر واعتبروا بالآيات والأثر ، وازجروا بالنذر، وانتفعوا بالمواعظ، فكأن قد علقتكم مخالب المنية، وضمكم بيت التراب، ودهمتكم مقطعات الأمور بنفخة الصور، وبعثرة القبور وسياقة المحشر، وموقف الحساب بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سائق يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾(١). فارتجت لذلك اليوم البلاد ونادى المناد، وكان يوم التلاق، وكشف عن ساق، وكسفت الشمس، وحشرت الوحوش مكان مواطن الحشر، وبدت الأسرار وهلكت الأشرار وارتجفت الأفئدة.

وخرج أمير المؤمنين على فى جوف الليل فنظر إلى النجوم ثم قال: يا نوف (نوف البكالى) أراقد أنت أم رامق؟

قال نوف البكالى: بل رامق يا أمير المؤمنين.

فقال الإمام على: يا نوف طوبى للزاهدين فى الدنيا الراغبين فى الآخرة أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا والقرآن والدعاء دثارا وشعارا، قرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام.

يا نوف إن الله تعالى أوحى إلى عيسى أن مر بنى إسرائيل أن لا يدخلوا بيتا من بيوتى إلا بقلوب طاهرة وأبصار خاشعة وأيد نقية فإنى لا أستجيب لأحد منهم ولأحد من خلقى عنده مظلمة.

يا نوف لا تكن شاعرا ولا عريفا ولا شرطيا ولا جابيا ولا عشارا فإن داود عليه السلام قام فى ساعة من الليل فقال: إنها ساعة لا يدعو عبد إلا استجيب له فيها إلا أن يكون عريفا أو شرطيا أو جابيا أو عشارا أو صاحب عرطبة – وهو الطنبور – أو صاحب كوبة – وهو الطبل –.

---

(١) سورة الزمر الاية ٦٩.

وكان أمير المؤمنين على زاهدا فقد جاءه ابن النباج فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء (ذهب) وبيضاء (فضة).

فقال الإمام على : الله أكبر.

وقام متوكئا على ابن النباج حتى قام على بيت مال المسلمين فقال:

هذا جناى وخياره فيه ... وكل جان يده إلى فيه

ثم قال : يا ابن النباج على بأشياع الكوفة.

فنودى فى الناس فأقبلوا فأعطى أمير المؤمنين على جميع ما فى بيت المال لهم وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غرى غيرى . ها وها.

حتى ما بقى دينار ولا درهم . ثم أمر بنضحه وكنسه و .. صلى فيه ركعتين رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

يقول الأرقم بن أبى الأرقم :

– رأيت عليا وهو يبيع سيفا له فى السوق ويقول: من يشترى منى هذا السيف؟ فو الذى فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله ﷺ، ولو كان عندى ثمن إزار مابعته.

فقال أبو رجاء: يا أمير المؤمنين أنا أبيعك وأنسئك إلى العطاء.

فلما خرج عطاء الإمام على أعطى أبا رجاء.

ودخل عبد الله بن رزين على أمير المؤمنين على يوم الأضحى فقرب إليه خزيرة.

فقال عبد الله ومن معه: أصلحك الله لو أطعمتنا هذا البط (يعنى الأوز) فإن الله قد أكثر الخير ..

قال أمير المؤمنين على: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان: قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين يدى الناس.

ويقول رجل: رأيت على على بن أبى طالب إزارا غليظا قال: اشتريته بخمسة دراهم فمن أربحنى فيه درهما بعته إياه.

وقال زيد بن وهب: خرج علينا على بن أبى طالب وعليه رداء وإزار قد وثقه بخرقة فقيل له: ما هذا؟ فقال: إنما ألبس هذين الثوبين ليكون أبعد لى من الزهو وخيرا لى فى صلاتى وسنة للمؤمن.

وكان أمير المؤمنين على عادلا فقد قدم عليه مال من أصبهان فقسمه على سبعة أسهم فوجد فيه رغيفا فكسره على سبعة وجعل على كل قسم منها كسرة ثم دعا الأمراء الأسباع فأقرع بينهم لينظر أيهم يعطى أولا.

وأتت أمير المؤمنين على بن أبى طالب امرأتان (عربية ومولاة لها) تسألانه فأمر لكل واحدة منهما بكر من طعام وأربعين درهما فأخذت المولاة التى أعطيت وذهبت وقالت المرأة العربية: يا أمير المؤمنين تعطينى مثل الذى أعطيت هذه وأنا عربية وهى مولاة؟

فقال لها الإمام على: إنى نظرت فى كتاب الله عز وجل فلم أر فيه فضلا لولد إسماعيل على ولد إسحاق عليهما السلام.

صفته وأولاده ومن رووا عنه:

وكان الإمام على بن أبى طالب آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما ذا بطن، أصلع عظيم اللحية كثير شعر الصدر، هو أقرب إلى القصر (قيل كان فوق الربعة) وكان ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها، وكان من أحسن الناس وجها ولا يغير شيبه، كثير التبسم.

وكان له من الأولاد: الحسن والحسين ومحسن (توفى صغيرا). وهم أبناء فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ. والعباس وجعفر وعبد الله وعثمان وهم أبناء أم البنين بنت حرام الكلابية. وعبيد الله وأبو بكر وهما ولدا ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلية التميمية. ومحمد الأصغر ويحيى ابنا أسماء بنت عيسى. وعمر ورقية وهما ابنا الصهباء بنت ربيعة التغلبية. ومحمد الأوسط ابن أمامة بنت أبى العاص بن الربيع ومحمد الأكبر ابن الحنفية أمه خولة بنت جعفر من بنى حنيفة. وأم الحسن وأمها أم سعية ابنة عروة بن مسعود الثقفى و ..

وقد روى عنه من الصحابة ولداه: الحسن والحسين وعبد اللّه بن مسعود وأبو موسى الأشعرى وعبد اللّه بن عباس وأبو رافع وعبد اللّه بن عمر وأبو سعيد الخدرى وصهيب الرومى وزيد بن أرقم وجرير وأبو أمامة وأبو جحيفة والبراء بن عازب الأنصارى وأبو الطفيل وآخرون.

مقتله:

يقول أنس بن مالك خادم رسول اللّه ﷺ: مرض على فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر فجلست عنده فأتاه النبى ﷺ فنظر فى وجهه فقال أبو بكر وعمر: يا نبى اللّه ما نراه إلا ميتا، فقال: لن يموت هذا الآن ولن يموت حتى يملأ غيظا ولن يموت إلا مقتولا.

وتحققت نبوءة رسول اللّه ﷺ بعد ثلاثين سنة فقد ملئ أمير المؤمنين على غيظا..

وخرج ليلة الجمعة (لثلاث عشرة بقيت من رمضان) للصلاة فنادى: أيها الناس الصلاة الصلاة.

فضربه عبد الرحمن بن ملجم على قرنه بالسيف وقال: الحكم للّه لا لك يا على ولا لأصحابك.

فقال أمير المؤمنين على: لا يفوتنكم الرجل.

فشد الناس على ابن ملجم فأخذوه. وتأخر الإمام على وقدم جعدة بين هبيرة (هو ابن أخته أم هانئ بنت أبى طالب) يصلى بالناس الغداة.

وقال على بن أبى طالب : أحضروا الرجل عندى.

فأدخل عبدالرحمن بن ملجم عليه فقال الإمام على: أي عدو اللّه ألم أحسن إليك؟

قال عبد الرحمن بن ملجم : بلى.

فتساءل الإمام على: فما حملك على هذا؟

قال عبد الرحمن بن ملجم: شحذته أربعين صباحا وسألت اللّه أن يقتل به شر خلقه.

فقال أمير المؤمنين على: لا أراك إلا مقتولا به ولا أراك إلا من شر خلق اللّه.

ثم أردف :

النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلنى وإن بقيت رأيت فيه رأيى، يا بنى عبد المطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون: قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن إلا قاتلى. انظر يا حسن إن أنا مت من ضربتى هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلن بالرجل فإنى سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

وكان عبد الرحمن بن ملجم مكتوفا فقالت له أم كلثوم بنت على: أى عدو اللّه لا بأس على أبى واللّه مخزيك.

فقال ابن ملجم: فعلى من تبكين؟ واللّه إن سيفى اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر (كان عبد الرحمن بن ملجم من أهل مصر) ما بقى منهم أحد.

وقال أمير المؤمنين على لابنيه الحسن والحسين: أوصيكما بتقوى اللّه ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شئ زوى عنكما، وقولا الحق وارحما اليتيم، وأعينا الضائع واصنعا للآخرة، وكونا للظالم خصيما وللمظلوم ناصرا واعملا بما فى كتاب اللّه ولا تأخذكما فى اللّه لومة لائم.

ثم أوصى ابنه محمد بن الحنفية بتوقير أخويه الحسن والحسين. ثم قال لابنه الحسن: أوصيك أى بنى بتقوى اللّه وإقام الصلاة لوقتها وإيتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فإنه لا صلاة إلا بطهور وأوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه فى الدين، والتثبت فى الأمر، والتعاهد للقرآن، وحسن الجوار، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، واجتناب الفواحش.

ثم كتب وصيته ولم ينطق إلا بلا إله إلا اللّه .. حتى مات.

وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وكان عمره ثلاثا وستين سنة.

٥

الزبير بن العوام

«لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيٌّ ..وإنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ»

«حديث نبوى شريف»

الزبير بن العوام

فـــداء..

خـرج مع أهل الشام لقـتـال أمـيـر المؤمنين على بـن أبى طالب. فلما الـتـقى الجمعان وجها لوجه ناداه الإمام على :

- يا أبا عبد الله .. يازبير..

فـخـرج الزبير بن العـوام من بين صـفـوف جـيش أهل الشـام. فـانفرد أمـيـر المؤمنين على بن أبى طالب به وقال له :

- يا زبير ما أخرجك؟

قال الزبير بن العـوام : أنت. ولا أراك لهـذا الأمـر (الخلافـة) أهلا ولا أولى به منـــا..

فقال أمير المؤمنين على : ألست له أهلا بعد عثمان ؟

قال الزبير بن العوام : نعم.

قـال الإمـام على : لـقـد كنـا نعدك من بـنى عـبـد المطلب حـتى بلـغ ابنك ابن السـوء (عبد الله بن الزبيـر) ففـرق بيننا. أتذكـر يازبير يوم مـررت مع النبى عليـه الصـلاة والسـلام فى بنى غـنـم، فنظر إلى وضـحك وضـحكت فـقلت له : ألا يدع ابن أبى طالـب زهـوه؟ فـقـال لك رسـول الـلـه ﷺ : ليس به زهـو يازبيـر ألا تحب عـليـا؟ فـقلت: ألا أحـب ابن خـالى وابن عـمى ومـن هـو على دينى؟ فـقـال رسـول الله ﷺ : يازبير أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم.

فـأغمض الزبـيـر عـينيه وعض شفـتـه السـفلى وكأنه يـحث ذهنه على نبش أغوار الماضى .. ثم قال :

نعم أذكر الآن، وكنت قـد نسيت، ولو تذكرت مـا سرت مسـيرى هذا. والله لا أقاتلك أبدا.

هل أضاءت كلمات أمير المؤمنين على أقطار نفسه فأبصر سبيل الحق؟ هل كشطت عن عينيه الغـشاوة التى طمـستهـما فـرأى طريق الصواب؟ لقـد أصبح كل

همه أن يلقى الله عز وجل وهو عنه راض، كما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو عنه راض ويشره بالجنة.

ورجع الزبير بن العوام قرير العين بعد ما من الله تعالى عليه من بصيرة وهدى..

قال الزبير لأم المؤمنين عائشة : ما كنت فى موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا ..

فتساءلت عائشة بنت أبى بكر: فما تريد أن تصنع؟

قال الزبير بن العوام : أريد أن أدعهم وأذهب ..

فغضب ابنه عبد الله بن الزبير وقال : جمعت بين الغارين (العارين) حتى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب؟ لكأنك خشيت رايات ابن أبى طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد وأن تحتها الموت الأحمر فجبنت، فأحفظه ذلك أنى حلفت أن أقاتله.

قال الزبير بن العوام : لم أجبن يوما. كفر عن يمينك.

قال الزبير لأصحابه : هيا ..

فقالوا : إلى أين يا أبا عبد الله؟

قال الزبير : إلى مدينة رسول الله ﷺ، فقد أردت أن أدعهم فلقد رأيت بين جمع على بن أبى طالب عمار بن ياسر فارتجف قلبى ..

قالوا : لماذا ؟

قال الزبير بن العوام : ماذا نفعل لو هبر سيف من أسيافنا عمار بن ياسر؟

قالوا : ماذا نصنع لرجل جاء لقتالنا؟

قال الزبير بن العوام : سنكون الفئة الباغية، لقد سمعت رسول الله ﷺ عندما كنا نبنى مسجد قباء يقول لعمار بن ياسر : ياعمار تقتلك الفئة الباغية.

وأشار الزبير لأصحابه فتركوا أرض القتال لمن يريدون لنار الفتنة ألا تنطفئ.

فى مكة...

وطار خيال الزبير إلى مكة ..

لقد نشأ فى بيت الشرف، فوالده العوام بن خويلد وعمته خديجة بنت خويلد زوج النبى عليه الصلاة والسلام، وأمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ. ومات أبوه وهو صغير فكانت أمه تعلمه الشجاعة والفروسية .. ضربته يوما فقيل لها : قتلته، خلعت فواده أهلكت هذا الغلام..

قالت صفية بنت عبد المطلب : إنما أضربه كى يلب، ويجر الجيش ذا الجلب..

وقاتل الزبير بن العوام بمكة وهو غلام رجلا فكسر يده وضربه ضربا شديدا فمر الرجل على صفية بنت عبد المطلب فقالت:

– ما شأنه ؟

قالوا : قاتل الزبير ..

فقالت صفية بنت عبد المطلب :

كيف رأيت زبرا أأقطا حسبته أم تمرا؟

أم مشمعلا صقرا؟

كان يحب الفروسية والصيد والقنص. ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره صار فارسا رغم صغر سنه.

ولما مات العوام كانت صفية بنت عبد المطلب تضرب ابنها الزبير وهو صغير وتغلظ عليه فعاتبها عمه نوفل بن خويلد وقال لها :

– ما هكذا يضرب الولد. إنك لتضربينه ضرب مبغضة ..

فقالت صفيه بنت عبد المطلب :

من قال إنى أبغضه فقد كذب وإنما أضربه لكى يلب

ويهزم الجيش ويأتى بالسلب ولا يكن لماله خبأ مخب

يأكل فى البيت من تمر وحب

وكانت أمه تكنيه أبا الطاهر بكنية أخيها الزبير بن عبد المطلب .. وكان الزبير بن العوام جزارا.

إسلامه .. وتعذيبه :

وذات ضحى لقى أبو بكر الزبير فقال فى فرح :

– زبير؟ جئتك فى أمر ذى بال ..

فتساءل الزبير : أى أمر؟

قال أبو بكر بن أبى قحافة : أنت أعلم الناس بابن خالك (محمد بن عبد الله) ومقدار صدقه وأمانته، فهو زوج عمتك خديجة بنت خويلد .. وهو منكم ..

قال الزبير بن العوام : إن محمدا غير متهم فهو يؤدى الأمانة ويصل الرحم ويعين على نوائب الدهر ..

قال أبو بكر وهو يتلفت حوله، وكأنه يخشى أن يسمعه أحد :

لقد هبط عليه ملك من السماء وأخبره أنه نبى هذه الأمة وأمره أن يدعو إلى عبادة الله وحده ..

فنظر الزبير نحو الكعبة وطاف بصره على الأصنام المبثوثة حولها وتساءل:

– أيكفر باللات والعزى ومناة وهبل؟

قال أبو بكر بن أبى قحافة : نعم إنه يدعو إلى نبذ عبادة الأصنام، وإلى عبادة الله الواحد الأحد ..

فقال الزبير : ومن تبعه على دينه هذا؟

قال أبو بكر : أنا وعلى بن أبى طالب وزيد بن حارثة وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ..

قال الزبير بن العوام معاتبا : لماذا لم تخبرنى من قبل؟

قال أبو بكر فى فرح : هل تريد أن تلقى رسول الله ﷺ؟

قال الزبير بن العوام : نعم.

فانطلقا إلى بيت النبى عليه الصلاة والسلام فتلا النبى عليه الصلاة والسلام على الزبير القرآن ودعاه إلى الإسلام فنطق بشهادة الحق ففرحت عمته خديجة فرحا شديدا بإسلامه ..

وكان أحد السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام.

ودخل فى دين اللّه بعض أهل مكة وأسلم الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى، وجعل من داره دارا للإسلام فدخلها النبى ﷺ وأصحابه وصلوا فيها.

وذاع فى مكة أن محمدا ﷺ يدعو إلى عبادة إله واحد لاشريك له، وعلم نوفل بن خويلد (ابن العدوية) عم الزبير أنه تبع محمدا فقال له :

– كيف تترك آلهة آبائك وتتبع إله محمد؟

قال الزبير بن العوام : أتحاجونى فى الله وقد هدانى؟

فتساءل نوفل بن خويلد : أرنى إلهك هذا ؟

قال الزبير بن العوام :

– ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾(١).

قال ابن العدوية : لقد سحرك محمد ..

قال الزبير بن العوام : بل أخرجنى من الظلمات إلى النور ..

فركب الغضب نوفل بن خويلد، ونسى شرف الزبير بن العوام فى قومه فلفه فى حصير وعلقه فى جذع نخلة وأخذ يدخن عليه بالنار كى تزهق أنفاسه، وناداه تحت وطأة العذاب :

ـ اكفر برب محمد أدرأ عنك العذاب ..

فيقول الزبير : لا والله لا أعود للظلام بعد النور.

وسب رسول الله ﷺ آلهة قريش، فاشتدت عداوة قريش للنبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه، ولكن الله منع نبيه بعمه أبى طالب، وأنزل أشراف

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٣.

قريش بأتباع رسول الله ﷺ أشد العذاب، وكان المسلمون يأتون النبى عليه الصلاة والسلام ما بين مضروب ومشجوج، فيتأثر لهم رسول الله ﷺ ويقول :

– اصبروا ..

ونقد صبر الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة بن الجراح وقد نزل بهم أذى كبير فقالوا :

– يارسول الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا ضربنا وأوذينا فأذن لنا فى قتال هؤلاء ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : كفوا أيديكم عنهم.

هجرته الأولي إلي الحبشة :

ولما كثر المسلمون وظهر الإيمان وتحدث به ثار كثير من المشركين من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم، فعذبوهم وسجنوهم وأرادوا فتنتهم عن دينهم. فقال رسول الله ﷺ لأصحابه :

– تفرقوا فى الأرض ..

فقالوا : أين نذهب يارسول الله؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ههنا ..

وأشار إلى الحبشة (وكانت أحب الأرض إليه أن يهاجر قبلها).

فخرج عثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو والزبير بن العوام بن خويلد ابن أسد ومصعب بن عمير بن هاشم، وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ومعه امرأته أم سلمة هند بنت أبى أمية بنت المغيرة، وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبى حثمة، وأبو سبرة بن أبى رهم العامرى، وحاطب بن عمرو، وسهيل بن بيضاء .. خرجوا متسللين فى رجب من السنة الخامسة من حين نبئ رسول الله ﷺ حتى انتهوا إلى الشعيبة منهم الراكب والماشى، فحملهم سفينتان للتجار إلى الحبشة بنصف دينار فأقاموا شهر شعبان وشهر رمضان وعلموا أن عمر بن الخطاب قد

أسلم، وأن المسلمين أصبحوا يصلون فى المسجد ويقرءون القرآن فيه آمنين مطمئنين فقدموا مكة فى شهر شوال سنة خمس.

أول سيف سل في سبيل الله :

وسرت فى مكة نغمة (نفخة من الشيطان) أن محمدا ﷺ أخذ (قتل). فركب الغضب الزبير بن العوام، كيف يقتل رسول الله ﷺ؟ ومن قتله؟ فسل سيفه وخرج يشتد فى الأزقة (جمع زقاق أى السكة) فلقيه النبى عليه الصلاة والسلام وهو بأعلى مكة والسيف فى يده فلم يصدق الزبير عينيه .. رسول الله ﷺ ما زال حيا؟

تساءل النبى عليه الصلاة والسلام : ما لك يازبير؟

قال الزبير بن العوام : سمعت أنك قتلت ..

فقال رسول الله ﷺ : ما كنت تصنع؟

قال الزبير بن العوام : كنت أضرب بسيفى هذا من أخذك (قتلك).

فدعا له النبى عليه الصلاة والسلام ولسيفه .. ثم قال : انصرف ..

فانصرف الزبير .. ومعه سيفه الذى كان أول سيف سل فى سبيل الله (فى الإسلام).

وآخى رسول الله ﷺ بين الزبير وعبد الله بن مسعود.

الهجرة الثانية إلي الحبشة :

واشتدت قريش على أصحاب رسول الله ﷺ وسطت بهم عشائرهم، ولقوا منهم أذى شديدا، ونالوهم بالأذى فأذن لهم النبى عليه الصلاة والسلام فى الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية فقال عثمان بن عفان :

– يارسول الله فهجرتنا الأولى وهذه الآخرة إلى النجاشى ولست معنا ..

فقال رسول الله ﷺ : أنتم مهاجرون إلى الله وإلى، لكم هاتان الهجرتان جميعا ..

قال عثمان بن عفان : فحسبنا يارسول الله .

فخرج الزبير بن العوام مع أصحاب رسول الله ﷺ فكانوا ثلاثة وثمانين رجلا ومن النساء إحدى عشرة امرأة قريشية وسبع غرائب.

ولما رأت قريش أن المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة وأمنوا وأن النجاشي قد أحسن صحبتهم ائتمروا بينهم فبعثوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى أمية ومعهما هدية إليه وإلى أعيان أصحابه فسارا حتى وصلا الحبشة فحملا إلى النجاشي هديته وإلى أصحابه هداياهم وقالا لهم :

إن ناساً من سفهائنا فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دين الملك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد أرسلنا أشراف قومهم إلى الملك ليردهم إليهم، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يرسلهم معنا من غير أن يكلمهم (خافا أن يسمع النجاشى كلام المسلمين فلايسلمهم) فوعدهما أصحاب النجاشى المساعدة على مايريدان.

ثم حضرا عند النجاشى فأعلماه ما قالاه فأشار أصحابه بتسليم المسلمين إليهما. فغضب من ذلك وقال :

- لا والله لا أسلم قوما جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم وأسألهم عما يقول هذان، فإن كانا صادقين سلمتهم إليهما وإن كانوا على غير ما يذكر هذان منعتهم وأحسنت جوارهم.

ثم أرسل النجاشى إلى أصحاب رسول الله ﷺ فحضروا وكان المتكلم عنهم جعفر بن أبى طالب فقال لهم النجاشى :

- ماهذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من الملل؟

فقال جعفر : أيها الملك، كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الأرحام ونسىء الجوار، ويأكل القوى الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا لتوحيد الله وألاَّ نشرك به شيئا، وخلع ما كنا نعبد من الأصنام، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وأمرنا بالصلاة والصيام.

وعدد عليه أمور الإسلام واستطرد : فآمنا به وصدقناه، وحرمنا ما حرم علينا، وحللنا ما أحل لنا، فتعدى علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك..

فتساءل النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله شيء؟

قال جعفر بن أبى طالب : نعم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم* كهيعص* ذكر رحمت ربك عبده زكريا* إذ نادى ربه نداء خفيا* قال رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم أكن بدعائك رب شقيا* وإنى خفت الموالى من ورائى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا* يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا﴾(١) فبكى النجاشي وأساقفته، وقال ملك الحبشة :

– إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، انطلقا والله لاأسلمهم إليكما أبدا.

فلما خرج عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى أمية من عند النجاشى قال عمرو بن العاص :

– والله لآتينه غدا بما يبيد خضراءهم .

فقال عبد الله بن أبى أمية (كان أتقى الرجلين) :

ـ لاتفعل فإن لهم أرحاما.

فلما كان الغد قال عمرو بن العاص للنجاشى :

– إن هؤلاء يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما..

فأرسل النجاشى إلى أصحاب رسول الله ﷺ فسألهم عن قولهم فى المسيح فقال جعفر :

– نقول فيه الذى جاءنا به نبينا : هو عبد الله ورسوله وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

---

(١) أول سورة مريم

فأخذ النجاشى عودا من الأرض وقال :

– ماعدا عيسى ما قلت هذا العود.

فنخرت بطارقته فقال النحاشى :

وإن نخرتم (تشاجرتم).

وقال للمسلمين : اذهبوا فأنتم آمنون. ما أحب أن لى جبلا من ذهب وأنى آذيت رجلا منكم.

ورد هدية قريش وقال : ما أخذ الله الرشوة منى حتى آخذها منكم، ولا أطاع الناس فى حق أطيعهم فيه.

فأقام المهاجرون بخير دار.

وضاق رجال الدين فى الحبشة بما قرأ جعفر بن أبى طالب من آيات الذكر الحكيم، وزاد من ضيقهم موافقة النجاشى على أن المسيح رسول الله فأخذوا يؤلبون الناس عليه حتى مشى الناس إلى قصر الملك وقالوا للنجاشى :

– إنك فارقت ديننا ..

وخرجوا عليه. ونشب القتال بين النجاشى ومن ثاروا عليه. فقال السكران ابن عمرو :

– يا أصحاب رسول الله ﷺ لم لا ننضم إلى الرجل الذى أكرم مثوانا؟

قال جعفر بن أبى طالب : إنا نخشى أن يظهر الرجل الذى يقود الناس على النجاشى فلا يعرف من حقنا ما كان النجاشى يعرف منه ..

قال الزبير بن العوام : لم لا نرسل نفرا منا إلى النجاشى ونرى رأيه؟

قال جعفر بن أبى طالب : سأذهب إلى النجاشى وسأصحب معى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ..

وقبل أن ينتهى جعفر من حديثه جاء رجل من عند النجاشى وقال :

– يا أصحاب محمد، بعثنى الملك لأقول لكم: اركبوا أنتم السفينة وكونوا كما أنتم فإن هزمت فامضوا إلى حيث شئتم وإن ظفرت فاثبتوا ..

ودارت المعركة بين الفريقين وأتباع رسول الله ﷺ فى سفنهم يرقبون القتال وقلوبهم واجفة يدعون الله فى إخلاص وصدق أن يؤيد النجاشي بنصره. واشتد القتال. فبعث أصحاب رسول الله ﷺ الزبير بن العوام وأبا عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف ليرقبوا القتال ثم يأتوا بالخبر. فعادوا فرحين وقالوا:

- ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوه ومكن له فى بلاده.

وكان المهاجرون يشتغلون ليأكلوا من كد أيديهم، ويعمل بعضهم بالتجارة، فينطلق أبو حذيفة بن عتبة والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان إلى أسواق صنعاء ونجران، وكان خروجهم فى الشتاء ليلتقوا بالخارجين من قريش ليتحسسوا أخبار رسول الله ﷺ أو ليخلوا ببعض المسلمين الذين خرجوا فى قافلة قومهم.

وعلم أن رسول الله ﷺ قد بايع الأنصار عند العقبة (أوس وخزرج يثرب) فأخبر أصحابه المهاجرين فانطلق أبو سلمة المخزومى والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وأبو حذيفة وامرأته سهلة بنت سهيل وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبى خثمة وعثمان بن عفان وامرأته رقية بنت رسول الله ﷺ وعبد الله ابن جحش و.. إلى مكة.

هجرته إلي يثرب ..

واشتدت عداوة قريش ضراوة لما أيقنوا أن النبى عليه الصلاة والسلام آوى (استند إلى قوم أهل حرب وتحمل) وقد بايع الأوس والخزرج على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم، وأنهم قبلوه ﷺ على مصيبة الأموال وقتل الأشراف.. فنالوا من أصحابه ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والأذى، فأذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى يثرب .. ولحق بهم.

الطلب...

بلغ الزبير بن العوام وأصحابه سفوان (موضعا من البصرة كمكان القادسية من الكوفة) فلقيه البكر (الردئ الفسل من الناس) رجل من بنى مجاشع فقال :

– أين تذهب ياحوارى رسول الله ﷺ؟ إلىّ فأنت فى ذمتى لا يوصل إليك.

فأقبل معه وأتى إنسان الأحنف بن قيس فقال :

– هذا الزبير قد لقى بسفوان ..

فقال الأحنف بن قيس : ما شاء الله كان قد جمع بين المسلمين حتى ضرب بعضهم حواجب بعض بالسيوف .. ثم يلحق بنبيه وأهله؟

فسمعه عمرو (عميرة ويقال عمير) بن جرموز السعدى فقال :

– أتى يؤرش بين الناس، ثم تركهم والله لا أتركه ..

وأتبعه هو وفضالة بن حابس ونفيع.

مع رسول الله ﷺ :

وأراد رسول الله ﷺ أن يبنى مسجدا بقباء وكان لكلثوم بن الهدم مربد (محل) يجفف فيه التمر فلما علم برغبة النبى عليه الصلاة والسلام قدم مربده ليكون أول مسجد أسس على التقوى.

فقال رسول الله ﷺ : يا أهل قباء ائتونى بأحجار من الحرة ..

فجمعت أحجار كبيرة فخط النبى عليه الصلاة والسلام القبلة ثم بدأ البناء فكان يأخذ الحجر حتى يتعبه. فيأتى الزبير أو أبو بكر أو عمر أو أبو عبيدة بن الجراح فيقول :

يارسول الله بأبى أنت وأمى تعطينى أكفيك ..

ويأخذ الزبير أو أبو بكر وعمر الحجر فيقول النبى عليه الصلاة السلام:

– لأخذن مثله.

وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فآخى بين الزبير بن العوام وسلمة بن سلامة بن وقش الأنصارى.

ويوم بدر لم يكن مع أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فرس إلا الزبير بن العوام وكانت عليه يومئذ عمامة صفراء كان معتجرا بها فقال رسول الله ﷺ :

– إن الملائكة (يوم بدر) نزلت على سيماء الزبير.

ولما نزل قوله تعالى «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم»[1] فقال الزبير :

– يارسول الله وأى النعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

–أما إنه سيكون ..

ولما كان يوم أحد أخرج رسول الله ﷺ سيفا وكان مكتوبا فى إحدى صفحتيه :

فى الجبن عار وفى الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وتساءل النبى عليه الصلاة والسلام :

– من يأخذ هذا السيف بحقه؟

فقام إليه رجال فأمسكه عنهم، من بينهم، على بن أبى طالب فقال له رسول الله ﷺ :

– اجلس ..

وقام عمر بن الخطاب فأعرض النبى عليه الصلاة والسلام عنه وطلبه الزبير بن العوام ثلاث مرات فأعرض رسول الله ﷺ عنه حتى قام أبو دجانة وتساءل:

– ما حقه يارسول الله؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : تضرب به فى وجه العدو حتى ينحنى ..

فقال أبو دجانة :أنا آخذه بحقه ..

فدفعه إليه النبى عليه الصلاة والسلام.

وخرج رجل من بين صفوف قريش على بعير له فدعا للمبارزة فأحجم عنه المسلمون حتى دعا ثلاثا فقام إليه الزبير بن العوام فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير. فقال النبى عليه الصلاة والسلام : الذى يلى حضيض الأرض مقتول ..

---

(١) آخر سورة التكاثر

فوقع الرجل المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه فكبر المسلمون، وأثنى رسول الله ﷺ على الزبير وقال له :

– لكل نبى حوارى وإن حوارى الزبير ..

ثم أردف ﷺ : لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه.

وثبت أبو عبد الله يوم أحد حين انكشف المسلمون وفروا فى كل وجه، وقال له النبى عليه الصلاة والسلام :

– ارم فداك أبى وأمى ..

فكان الزبير يقول : جمع لى رسول الله ﷺ (أبويه).

وكان رسول الله ﷺ يبعث الزبير بن العوام فى المهام الصعبة، فقد قدم على النبى عليه الصلاة والسلام فى صفر سنة أربع عقب غزوة أحد رهط من عضل والقارة فقالوا :

يارسول الله إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا القرآن ويعلموننا شرائع الإسلام.

فأرسل رسول الله ﷺ معهم ستة من أصحابه وهم : مرثد بن أبى مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبى الأفلح وخبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق. وذات ضحى كان النبى عليه الصلاة والسلام جالسا مع أصحابه فى مسجده يفقههم فى أمور دينهم فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحى فسمعوه يقول :

– وعليه السلام ورحمة الله وبركاته.

ولما سرى عنه ﷺ قال :

هذا جبريل عليه الصلاة يقرئنى من خبيب السلام. خبيب قتلته قريش ..

لقد غدر رهط عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ.

ثم نظر رسول الله ﷺ إلى الجالسين حوله وتساءل: أيكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة؟

ليست المهمة سهلة فمن يستطيع أن يذهب إلى مكة ويقوم بهذا العمل ورجال قريش حول خشبة خبيب بن عدى. لكن أى أجر أفضل من الجنة؟

فقال الزبير بن العوام : أنا يارسول الله وصاحبى المقداد بن عمرو..

وأنطلق الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو إلى التنعيم فوجدا خبيب بن عدى مصلوبا على خشبة طويلة عندها أكثر من أربعين رجلا لكنهم سكارى ونيام فأنزلاه (وذلك بعد أربعين يوما من صلبه وموته) وحمله الزبير على رأسه وهو رطب لم يتغير منه شئ. وشعر بالزبير والمقداد رجال قريش فتبعوهما فلما لحقوا بهما قذف الزبير خبيب بن عدى فابتلعته الأرض (ومن ثم قيل له بليع الأرض) وكشف الزبير عمامته عن رأسه ووقف كالأسد الغاضب :

أنا الزبير بن العوام، وصاحبى المقداد بن الأسود (كانا فارسين) رابضان يذبان عن شبلهما فإن شئتم ناضلناكم وإن شئتم انصرفتم.

فانصرف رجال قريش عنهما. ولما قدم الزبير والمقداد مدينة رسول الله ﷺ جاءه جبريل وقال له :

يامحمد إن الملائكة تباهى بهذين الرجلين (الزبير والمقداد) من أصحابك.

ونزل فيهما قوله تعالى : ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾(١)

ويوم الخندق حاصر الأحزاب المدينة فاشتد الأمر على النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه، وعلم رسول الله ﷺ أن بنى قريظة قد نقضوا عهده وشقوا الكتاب الذى كتبه ﷺ فقال عمر بن الخطاب.

– يارسول الله بلغنى أن بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت.

فشق الأمر على النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– من يأتينى بخبر القوم؟

قال الزبير بن العوام : أنا ..

وكرر رسول الله ﷺ سؤاله ثلاث مرات .. والزبير يقول : أنا ..

---

(١) سورة البقرة آية ٢٠٧.

وذهب الزبير فوجد بنى قريظة قد نقضوا العهد، فعاد إلى النبى عليه الصلاة والسلام وأخبره فقال :

– إن لكل نبى حواريا وحواريى الزبير.

ولما قتل على بن أبى طالب فارس العرب عمرو بن عبد ود رجع من وصل الخندق من فرسان قريش هاربين فتبعهم الزبير بن العوام وحمل على هبيرة بن أبى هبيرة فضرب ثغر فرسه فقطعه وسقطت درع كان محقبها الفرس (جعلها مؤخر ظهرها) فأخذها الزبير والقى عكرمة بن أبى جهل رمحه وهو مهزوم. وهزم الله الأحزاب فأرسل عليهم ريحا صرصرا فى ليال باردة .. ولما رحلوا خائبين إلى بلادهم أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يخرج إلى بنى قريظة، فحاصرهم وحين طال الحصار دون أن يستسلموا أرسل النبى عليه الصلاة والسلام الزبير ابن العوام وعلى بن أبى طالب فوقف أمام الحصن المنيع يردد مع على قوله :

والله لنذوقن ما ذاق حمزة أو لنفتحن عليهم حصنهم.

ثم ألقيا بنفسيهما وحيدين داخل الحصن .. فلما رأى يهود بنى قريظة الزبير وعليا نزل الرعب فى قلوبهم وفتحا أبواب الحصن للمسلمين فتدفقوا كالسيل المدمر.

ولما نزلت ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾(١) قال الزبير ابن العوام :

– يارسول الله أيكرر علينا (أيردد علينا) ما كان فى الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال رسول الله ﷺ : نعم.

قال الزبير بن العوام : والله إنى لأرى الأمر شديدا.

وخرج الزبير مع رسول الله ﷺ وأصحابه فى العام السادس من الهجرة إلى العمرة فصدتهم قريش عن البيت الحرام.. فبايع الزبير النبى عليه الصلاة والسلام بيعة الرضوان هو وأصحابه. وشهدوا صلح الحديبية.

وذات يوم كان حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته وزوج أسماء بنت أبى بكر جالسا مع أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام فى مسجده فخرج رسول الله ﷺ عليهم وقال :

(١) سورة الزمر آية ٣١.

- يا زبير، إنى رسول الله إلى الناس عامة وإليك خاصة أتدرى ماذا قال ربكم حين استوى على عرشه؟

فقال الزبير والحاضرون :

- الله ورسوله أعلم ..

فنظر النبى عليه الصلاة والسلام خلفه وقال : عبدى أنفق أنفق عليك، ووسع أوسع عليك، ولا تضيق فأضيق عليك. إن باب الرزق مفتوح من فوق سبع سماوات، متواصل إلى العرش لا يغلق فى الليل ولا فى النهار. ينزل الله الرزق على كل امرئ بقدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته، من أكثر أكثر الله له. يا زبير إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار، وإن السخاء من اليقين، والبخل من الشك، ولا يدخل النار من أيقن، ولا يدخل الجنة من شك. يا زبير، إن الله يحب السخاء ولو بفلق تمرة، ويحب الشجاعة ولو بقتل حية أو عقرب.

ويوم خيبر خرجت كتائب اليهود يتقدمهم فارسهم ياسر. والتقى الجمعان وكان قتالا شديدا.

وخرج ياسر أخو مرحب وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى ياســـر شاكى السلاح بطل مغـاور

إذا الليوث أقبلت تبـــادر إن حماى فيه موت حاضـر

ثم طلب المبارزة. فخرج إليه الزبير بن العوام. فقالت صفية بنت عبد المطلب (عمة رسول الله ﷺ) :

- يارسول الله إنه يقتل ابنى ..

فتبسم النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

- بل ابنك يقتله إن شاء الله ..

ولما اقترب الزبير من ياسر قال :

قد علمت خيبر أنى زبـــار
قرم لقرم غير نكس فــرار
ابن حماة المجد ابن الأخيـار
ياسر لا يغررك جمع الكفـار
فجمعهم مثل السراب الختار

ولم يمهل الزبير ياسر فضربه ضربة تركته كأمس الدابر. فكبر المسلمون. ثم حمل على بن أبى طالب على الحصن وتبعه أصحاب رسول الله ﷺ فاقتحموه ..

وأتى النبى عليه الصلاة والسلام بكنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بنى النضير فسأله عنه فجحد أن يكون يعرف مكانه وقال :

نفد فى النفقة والحروب ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– كان أكثر من ذلك..

وجاء رجل من يهود إلى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله إنى رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ..

فقال رسول الله ﷺ لكنانة بن الربيع : أرأيت إن وجدناه عندك أقتلك؟

قال كنانة : نعم.

فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت فأخرج منها بعض كنز بنى النضير. ثم سأل النبى عليه الصلاة والسلام كنانة بن الربيع عما بقى فأبى أن يؤديه فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام به فقال :

– عذبه حتى نستأصل ما عنده.

فراح الزبير بن العوام يقدح بزند فى صدره حتى أشرف على نفسه، وجئ بكنز بنى النضير فإذا به أساور ودمالج وخلاخيل وأقرطة وخواتم من ذهب وعقود الجوهر والزمرد ..

ودفع رسول الله ﷺ بكنانة بن الربيع إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة ..

وشهد الزبير بن العوام مع النبى عليه الصلاة والسلام عمرة القضاء.

ولما أراد رسول الله ﷺ السير إلى مكة أمر الناس بالجهاد وطوى عنهم الوجه الذى يريده، وجعل بكل طريق جماعة ليعرف من يمر بها، وقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام:

– لاتدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه.

وكتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم، ثم أعطاه لسارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا. فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به ..

وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب بن أبى بلتعة فبعث النبى عليه الصلاة والسلام على بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال :

أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا له من أمرهم.

فخرجا حتى أدركاها بالحليفة، فاستنزلاها فالتمساه فى رحلها فلم يجدا فيه شيئا.

فقال على : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ..

فلما رأت سارة الجد منه قالت : أعرض ..

فأعرض على. فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه فأتى به النبى عليه الصلاة والسلام. فدعا حاطب بن أبى بلتعة فسأله: يا حاطب ما حملك على هذا؟

قال حاطب بن أبى بلتعة : يارسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله، ما غيرت ولابد لت، ولكنى كنت امرءا ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم..

فقال رسول الله ﷺ : صدق لا تقولوا له إلا خيرا ..

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله دعنى أضرب عنقه فإن الرجل قد نافق..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أتقتل رجلا من أهل بدر؟ وما يدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

وأنزل الله تعالى فى حاطب بن أبى بلتعة :

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل* إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ودوا لو تكفرون﴾ .. (١)

ويوم أن دخل رسول الله ﷺ مكة جعل الزبير بن العوام على إحدى مجنبتى جيشه وخالد بن الوليد على الأخرى وأبا عبيدة بن الجراح على الرجالة وأعطى النبى عليه الصلاة والسلام الزبير بن العوام راية وأمره أن يغرزها بالحجون.

وبعد أن فتح الله أم القرى وطهر النبى عليه الصلاة والسلام الكعبة من الأصنام والأوثان التى كانت حولها ودخل أهلها فى دين الله أفواجا وقع الرعب فى قلوب رجال من هوازن وثقيف فمشوا بعضهم إلى بعض وقالوا : قد فرغ لنا فلا ناهية..

والله إن محمدا وصحبه لاقوا أقواما لا يحسنون القتال .

وراح مالك بن عوف النصرى يحشد الجموع. فلما سمع النبى عليه الصلاة والسلام بخبرهم انطلق إليهم ومعه ألفان من أهل مكة (الطلقاء) وعشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة. فلما كان المسلمون بحنين وانحدروا إلى الوادى، وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم مالك بن عوف ومن معه، وكانوا كمنوا لهم فى شعاب الوادى ومضايقه، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد واستقبلوهم بالنبل كأنهم جراد منتشر.. فانهزم المسلمون، وكان الطلقاء أول من ولوا الأدبار وفروا.

ولما رأى رسول الله ﷺ الناس منهزمين صار يقول ، أنا رسول الله، أنا محمد بن عبد الله إنى عبد الله ورسوله.

---

(١) سورة الممتحنة آية ١ – ٢ .

ثم طلب من عمه العباس وكان عظيم الصوت : يا عباس اصرخ : يامعشر الأنصار يا أصحاب السمرة. يا أصحاب سورة البقرة.

فأقبل الناس على رسول الله ﷺ وهم يقولون :

– لبيك يارسول الله.

وأبصر الزبير بن العوام عوف بن مالك النصرى بين جنده فاقتحم حشده وحده فشتت شملهم وأزاحهم عن المكمن الذى كانوا يتربصون فيه ببعض جيش رسول الله ﷺ. وكان النصر لله ورسوله.

ولما عاد رسول الله ﷺ من حصار الطائف نظر النبى عليه الصلاة والسلام لحواريه الذى باع نفسه وماله لله عز وجل نظرة تقدير فلما رأى شاعره حسان ابن ثابت ذلك قال مادحا الزبير :

أقام على منهاجه وطريقه	**يوالى ولى الحق والحق أعدل**
هو الفارس المشهور والبطل الذى	**يصول إذا ما كان يوم محجل**
له من رسول الله قربى قريبة	**ومن نصرة الإسلام مجد مؤثل**
فكم كربة ذب الزبير بسيفه	**عن المصطفى والله يعطى ويجزل**
فما مثله فيهم ولاكان قبله	**وليس يكون الدهر مادام يذبل**
ثناؤك خير من فعال معاشر	**وفعلك يا ابن الهاشمية أفضل**

لم يكن الزبير فارسا فحسب بل كان صاحب سيف صارم ورأى حازم، وكان لمولاه مستكينا وبه مستعينا، وكان سخيا باذل الأموال.

ولما خرج رسول الله ﷺ لحرب الروم عقد الألوية فدفع لواءه الأعظم لأبى بكر الصديق، ورايته للزبير بن العوام ودفع راية الأوس لأسيد بن حضير، وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الأنصار ومن القبائل لواء.

حوارى رسول الله .. يوم اليرموك:

ويوم اليرموك جعل خالد بن الوليد جيشه كراديس، جعل على كل كردوس رجلا شجاعا، وكان الزبير شديد الولع بالشهادة عظيم الحرص على الموت، فلما رأى أكثر المقاتلين يتقهقرون أمام جحافل الروم صاح بأعلى صوته :

- الله أكبر.

واخترق جيش الروم بسيفه .. ثم عاد راجعا وسط الأمواج الزاحفة وسيفه يتوهج في يمينه. كان يسعى إلى الشهادة في سبيل الله .. فيكتب الله له النصر.

قال عمر بن الخطاب : إن الزبير ركن من أركان الدين.

وكان الزبير يقول : إن طلحة بن عبيد الله يسمى بنيه بأسماء الأنبياء، وقد علم أن لانبى بعد محمد ﷺ وإنى لأسمى بنى بأسماء الشهداء لعلهم يستشهدون.

وهكذا سمى ولده عبد الله (كان به يكنى) تيمنا بالصحابى الشهيد عبد الله ابن جحش ابن عمة رسول الله ﷺ. والمنذر تيمنا بالصحابى الشهيد المنذر بن عمرو. وعروة تيمنا بالصحابى الشهيد عروة بن عمرو. وحمزة تيمنا بأسد الله وأسد رسوله حمزة بن عبد المطلب. وجعفر تيمنا بالشهيد طائر الجنة جعفر بن أبى طالب. ومصعب تيمنا بالصحابى الشهيد مصعب بن عمير. وخالد تيمنا بالشهيد خالد بن سعيد.

كان يختار لأسماء أبنائه أسماء الشهداء راجيا أن يكونوا يوم تأتيهم آجالهم شهداء.

أكرم الناس علي رسول الله :

سأل أبو إسحاق السبيعى مجلسا فيه أكثر من عشرين رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ :

- من كان أكرم الناس على رسول الله ﷺ ؟

قالوا : الزبير وعلى بى أبى طالب ..

وذات يوم خرج الزبير بن العوام مع شيخ قدم من الموصل فى بعض أسفاره فأصابته جنابة بأرض قفر فقال الزبير للشيخ:

- استرنى ..

فستره فحانت منه التفاتة منه إلى الزبير فرآه مجذعا بالسيوف فقال : والله لقد رأيت بك آثارا ما رأيتها بأحد قط.

فتساءل الزبير : وقد رأيت ذلك؟

قال الشيخ : نعم.

قال الزبير : أما والله ما منها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ في سبيل الله.

وكان الزبير بن العوام طويلا تخط رجلاه الأرض إذا ركب راحلة، معتدل اللحم خفيف اللحية أسمر الوجه.

وسأله ابنه عبد الله يوما : لماذا تروى أحاديث قليلة عن رسول الله ﷺ ؟

قال الزبير بن العوام : كان بينى وبينه من الرحم ما قد علمت، ولكنى سمعته يقول : من قال على ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار.

وسمع عبد الله بن عمر رجلا يقول : أنا ابن الحوارى .

فقال عبد الله بن عمر : إن كنت ابن الزبير وإلا فلا ..

وسأل محمد بن سلام يونس بن حبيب : مامعنى قوله ﷺ : حواريى الزبير؟

قال يونس : من خلصائه (الحوارى الخليل. الحوارى الناصر. الحوارى الصاحب المستخلص).

يقول قتادة : الحواريون كلهم من قريش : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير.

وكان الزبير يدير تجارة ناجحة وكان ثراؤه عريضا فقيل له يوما :

– بم أدركت فى التجارة ما أدركت؟

قال حوارى رسول الله ﷺ : إنى لم أشتر معيبا ولم أرد ربحا والله يبارك لمن يشاء.

وكان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج فما كان يدخل بيته منها درهم واحد (يعنى أنه يتصدق بذلك كله).

يقول عروة بن الزبير : كان فى الزبير ثلاث ضربات بالسيف، كنت أدخل أصابعى فيها : ثنتين يوم بدر وواحدة يوم اليرموك.

وكانت أم المؤمنين عائشة تقول لعروة بن الزبير :

كان أبوك من الذين استجابوا لله وللرسول من بعد ما أصابهم القرح (تريد أبا بكر والزبير).

ولما طعن عمر بن الخطاب بخنجر أبى لؤلؤة جعل الزبير فى الستة أصحاب الشورى الذين ذكرهم للخلافة بعده.

وشهد الزبير فتح مصر، ولما أصاب أمير المؤمنين عثمان بن عفان الرعاف (الدم يخرج من الأنف) فقالوا له :

- استخلف ..

قال أمير المؤمنين عثمان : نعم.

قالوا : من هو؟

فسكت أمير المؤمنين عثمان. فدخل عليه رجل من قريش وقال :

- يا أمير المؤمنين استخلف ..

فقال ذو النورين : نعم ..

فقالوا : من ؟

قال أمير المؤمنين عثمان : الزبير بن العوام، أما والذى نفسى بيده إن كان لأخيرهم ما علمت وأحبهم إلى رسول الله ﷺ.

وأوصى إلى الزبير سبعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم : عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وعبد الله بن مسعود، فكان يحفظ على أولادهم ما لهم وينفق عليهم من ماله.

مقتل حوارى رسول الله ﷺ :

نزل الزبير بن العوام وادى السباع فقام يصلى الظهر ..

ولحق عمرو بن جرموز بالزبير فلما رأى الزبير أنه يريده أقبل على فرسه ذى الخمار فقال له عمرو بن جرمز:

- اذكرك الله ..

فكف أبو عبد الله عنه. ولكن عمرو بن جرموز عاد يريده فقال الزبير :

- قاتله الله يذكرناالله وينساه؟

فأتاه عمرو بن جرموز من خلف فطعنه طعنة خفيفة فحمل عليه الزبير ابن العوام فلما رأى ابن جرموز أنه قاتله نادى صاحبيه :

- يا نفيع يافضالة .

فحملوا عليه حتى قتلوه ..

وكان ابن سبع وستين سنة. ثم حمل عمرو بن جرموز سيف الزبير إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فأمر بطرده وقال :

- بشر قاتل ابن صفية بالنار ..

وحين أدخل عليه سيف الزبير قبله أمير المؤمنين على وأمعن فى البكاء وقال :

- سيف طالما والله جلا به صاحبه الكرب عن رسول الله.

فسلام على حوارى رسول الله ﷺ.

أبو عبيدة بن الجراح

«لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ»

حديث نبوى شريف

رجل بألف رجل ..

منذ أن أسلم أبو عبيدة بن الجراح على يد أبى بكر فى الأيام الأولى للإسلام وقبل أن يدخل النبى عليه الصلاة والسلام دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى وهب عامر بن عبد الله بن الجراح حياته فى سبيل الله عز وجل.

ونال أبو عبيدة نصيبه من الأذى والاضطهاد على أيدى مشركى قريش فخرج مهاجرا إلى الحبشة الهجرة الثانية مع ثمانين من أصحاب رسول الله ﷺ يرجون رحمة الله عز وجل. وأنزل الله تعالى فيهم:

﴿الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون* الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾.[1]

ورجع أبو عبيدة بن الجراح إلى أم القرى لما علم أن الأنصار قد بايعوا النبى عليه الصلاة والسلام .. ثم هاجر من مكة إلى يثرب ونزل على كلثوم بن الهدم.

وآخى رسول الله ﷺ بين أبى عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبى حذيفة. (مؤاخاة المهاجرين التى كانت فى مكة) وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار (فى يثرب) فآخى بين أبى عبيدة ومحمد بن مسلمة الأنصارى.

قطع حبال الجاهلية ..

ويوم بدر خرج الجراح من بين صفوف المشركين وقصد ابنه أبا عبيدة ليقتله فولى عنه أبو عبيدة بيد أن الجراح أصر على طلبه فرجع أبو عبيدة إلى أبيه وهبره بسيفه فقتله .. فأنزل الله عز وجل فيه : ﴿لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾[2] .. لقد خرج أبو عبيدة بن الجراح عن الشهوات النفسانية وقطع حبال الجاهلية لتشييد حبال الإسلام. لقد علم رسول الله ﷺ أصحابه وربأهم وسكب فى صدورهم الهدى قطرة قطرة، وبذر فى نفوسهم بذور الحكمة وأصابها بغيث مدرار من أدب النبوة وحكمتها.

(١) سورة النحل الآية ٤١.

(٢) سورة المجادلة الآية ٢٢.

فى صحبة رسول الله ﷺ :

وبلغ أبو عبيدة أن قريشا قد أقبلت بأحابيشها ومن تبعها من كنانة وتهامة لتثأر ليوم بدر فانطلق إلى رسول الله ﷺ فأخبره .. فجمع النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه وقال لهم:

– أشيروا على ..

فقال رجل من الأنصار : يارسول الله اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا ..

وقال عبد الله بن أبى بن سلول : يارسول الله أقم بالمدينة لاتخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا إلا أصاب منا ولادخلها علينا إلا أصبنا منه فدعهم يارسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا.

وارتفعت أصوات أصحاب رسول الله ﷺ من كل جانب تحبذ الخروج للقتال .. فدخل النبى عليه الصلاة والسلام داره .. فقال أبو عبيدة بن الجراح:

– استكرهتم رسول الله ﷺ ولم يكن لكم ذلك.

فندم الناس وقالوا : يارسول الله استكرهناك ولم يكن لنا ذلك فإن شئت فاقعد .

فقال رسول الله ﷺ : ما ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل.

وتجهز أبو عبيدة بن الجراح وخرج مع أصحاب رسول الله ﷺ إلى أحد ..

وثبتَ أبو عبيدة بن الجراح مع رسول الله ﷺ حين انهزم المسلمون وولوا..

وأقبل أبو بكر الصديق يسعى إلى النبى عليه الصلاة والسلام، فإذا حلقتان من المغفر قد دخلتا فى وجهه ﷺ وإذا أبو عبيدة بن الجراح يقول لأبى بكر :

– أسألك بالله يا أبا بكر إلا تركتنى فأنتزعه من وجه رسول الله ﷺ .

فتركه أبو بكر فأخذ أبو عبيدة بثنيتيه حلقة المغفر فنزعهما وسقط على ظهره وسقطت ثنية أبى عبيدة ثم أخذ الحلقة بثنيته الأخرى .. فصار أبو عبيدة فى الناس أثرم.

وشهد أبو عبيدة بن الجراح مع النبى عليه الصلاة غزوة الخندق وبنى قريظة ..

وسأل أبو عبيدة بن الجراح النبى عليه الصلاة والسلام يوما :

– يارسول الله أى الشهداء أكرم على الله عز وجل؟

قال رسول الله ﷺ : رجل قام إلى وال جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله، فإن لم يقتله فإن القلم لايجرى عليه بعد ذلك وإن عاش ماعاش.

وذات يوم كان رسول الله ﷺ جالسا فى مسجده وعبد الله بن عمر خلف أبيه فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

– ثلاثة من قريش أصبح الناس وجوها وأحسنها أخلاقا وأثبتها حياء إن حدثوك لم يكذبوك وإن حدثتهم لم يكذبوك : أبو بكر الصديق وعثمان بن عفان وأبو عبيدة بن الجراح.

سريته إلي ذي القصعة :

وبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فى أربعين رجلا إلى بنى ثعلبة وبنى عوال من ثعلبة بذى القصعة بعد أن أحدقوا بمحمد بن مسلمة الأنصارى وأصحابه ووضعوا فيهم السلاح فذهب أبو عبيدة ومن معه إلى مصارع أصحابه فلم يجدوا أحدا ووجدوا نعما وشاء فانحدورا بها إلى المدينة.

وعلم النبى عليه الصلاة والسلام أن بنى ثعلبة وبنى عوال يريدون أن يغيروا على سرح المدينة وهو يرعى يومئذ بمحل بينه وبين المدينة سبعة أميال فبعث أبا عبيدة بن الجراح وأربعين رجلا فصلوا المغرب ومشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصعة مع عماية الصبح فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربا فى الجبال وأسروا رجلا منهم وأخذوا نعما من نعمهم ورثة (ثيابا خلقا من متاعهم) وقدموا بذلك إلى مدينة رسول الله ﷺ فخمسه رسول الله ﷺ. وأسلم الرجل فتركه النبى عليه الصلاة والسلام.

أمين هذه الأمة :

وذات ضحى كان أصحاب رسول الله ﷺ جلوسا فى مسجده فخرج النبى عليه الصلاة والسلام عليهم فقال :

- أرحم أمتى بأمتى أبو بكر وأشدهم فى أمر الله عمر وأصدقهم حياء عثمان وأقرؤهم لكتاب الله أبى (ابن كعب) وأفرضهم زيد (ابن ثابت) وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ (ابن جبل) ألا وإن لكل أمة أمينا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح.

سرية الخبط :

وأرسل رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فى ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب إلى جى من جهينة فى ساحل البحر ليرصدوا عيرا لقريش .. وزودهم النبى عليه الصلاة والسلام جرابا من تمر .. فأقاموا بالساحل نصف شهر وكان أبو عبيدة يعطى الواحد منهم فى اليوم والليلة تمرة واحدة يمصها ثم يصرها فى ثوبه.

وأصابهم جوع شديد حتى أكلوا الخبط (كانوا يأكلونه بعد أن يخبطوه بقسيهم وينسفوه ويشربوا عليه من الماء) حتى تقرحت أشداقهم . وجهد أصحاب رسول الله ﷺ فقال قائل منهم :

- والله لو لقينا عدوا ما كان منا حركة إليه لما بالناس من الجهد ..

فقال قيس بن سعد بن عبادة : من يشترى منى تمرا أوفيه فى المدينة بجزور يوفيها إلى ههنا؟

فقال له رجل من أهل الساحل : أنا أفعل لكن والله ما أعرفك فمن أنت؟

قال قيس : أنا قيس بن سعد بن عبادة.

فقال الرجل : ما أعرفنى بسعد إن بينى وبين سعد خلة سيد أهل يثرب.

فاشترى خمس جزائر كل جزور بوسق (ستون صاعا) من تمر .. فقال الرجل :

- أشهد لى ..

قال قيس بن سعد بن عبادة : أشهد من تحب ..

فأشهد الرجل نفرا من المهاجرين والأنصار من جملتهم عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح. وأخذ قيس الجزر فنحر لأصحاب ورسول الله ﷺ منها

ثلاثة فى ثلاثة أيام وأراد أن ينحر لهم فى اليوم الرابع فنهاه أبو عبيدة بن الجراح وقال له :

– عزمت عليك ألا تنحر، أتريد أن تخفر ذمتك (لايوفى لك بما التزمت ولا مال لك) ؟

فقال قيس بن سعد : أترى أبا ثابت (يعنى والده سعد بن عبادة) يقضى ديون الناس ويطعم فى المجاعة ولا يقضى دينا استدنته لقوم مجاهدين فى سبيل الله ؟

وألقى البحر دابة هائلة يقال لها العنبر مثل الكثيب فقال أبو عبيدة بن الجراح:

– ميتة لا تأكلوا ..

فقال أصحاب رسول الله ﷺ :

– جيش رسول الله ﷺ وفى سبيل الله ونحن مضطرون.

فأكلوا منه عشرين ليلة .. ولما قدموا مدينة رسول الله ﷺ سألهم:

– ما حبسكم؟

قالوا : كنا نبتغى عيرات قريش ..

وذكروا له ﷺ شأن الدابة التى مثل الكثيب (العنبر) فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

– إنما هو رزق رزقكموه الله .. أمعكم منه شئ فتطعمونا؟

قالوا : نعم ..

فقدموا إلى النبى عليه الصلاة والسلام منه فأكله.

وشهد أبو عبيدة مع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان وصلح الحديبية وفتح خيبر وعمرة القضاء. وكان أبو عبيدة بن الجراح يوم فتح مكة على الرجالة.

طاعة الأمراء:

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص إلى قضاعة لما بلغه أن جمعا منهم قد تجمعوا يريدون المدينة، وعقد لعمرو لواء أبيض وجعل معه راية سوداء وبعثه فى ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار ومعه ثلاثون فرسا، وأمره رسول الله ﷺ أن يستعين بمن يمر عليهم، فسار الليل وكمن النهار حتى قرب من قضاعة فبلغه أن القوم جمعوا لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن كعب الجهنى إلى النبى عليه الصلاة والسلام فبعث إلى عمرو بن العاص أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين من سراة المهاجرين والأنصار منهم : أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعهد له لواء وأمره أن يلحق بعمرو بن العاص وأن يكونا جميعا ولا يختلفا. فلحق بعمرو. وأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو بن العاص :

– إنما قدمت على مددا وأنا الأمير ..

فقال جمع من المهاجرين الذين مع أبى عبيدة لعمرو :

– أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه ..

فقال عمرو بن العاص : أنتم مدد لنا.

فلما رأى أبو عبيدة بن الجراح الاختلاف قال :

–لتعلم ياعمرو أن آخر شئ عهد إلى رسول الله ﷺ أن قال : إن قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا وإنك والله إن عصيتنى لأطيعنك ..

فقال عمرو بن العاص : فإنى الأمير عليك.

فقال أبو عبيدة بن الجراح : فدونك ..

وسلم أبو عبيدة الإمارة لعمرو بن العاص لأن أبا عبيدة كان حسن الخلق لين العريكة .. فكان عمرو بن العاص يصلى بالناس.

رسول الله يكرم أبا عبيدة :

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يكرم أبا عبيدة بن الجراح .. فبينما كان رسو الله ﷺ فى نفر من الصحابة ومعه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح وأبو أمامة إذ أتى بقدح فيه شراب فناوله النبى عليه الصلاة والسلام أبا عبيدة بن الجراح فقال :

– أنت أولى به يارسول الله ..

فقال رسول الله ﷺ : اشرب فإن البركة مع أكابرنا، فمن لم يرحم صغيرنا ويجل كبيرنا فليس منا.

فأخذ أبو عبيدة القدح .. وشرب.

وشهد أبو عبيدة مع النبى عليه الصلاة والسلام غزوة تبوك ..

ولما قدمت الوفود على رسول الله ﷺ وأعلنوا إسلامهم ودخل الناس فى دين اللّه أفواجا، وقدم وفد نجران باليمن قالوا :

– يارسول الله ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين حق أمين حق أمين..

قالها ثلاثا. فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ .. فبعث معهم أبا عبيدة ابن الجراح.

- يقول أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح.

يرفض الخلافة :

ولما قبض النبى عليه الصلاة والسلام .. وكان يوم السقيفة قال أبو بكر :

– رضيت لكم أحد هذين الرجلين (يعنى عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح).

فقال عمر بن الخطاب : والله لأن أقدم فأنحر كما ينحر البعير أحب إلى من أن أتقدم على أبى بكر.

وكان أبو عبيدة أمينا كما سماه رسول الله ﷺ فلم يجدها نهزة (فرصة) ليثب ويصبح خليفة رسول الله ﷺ، لقد كان مدركا تمام الإدراك أن أبا بكر أفضل المهاجرين .. فبايعه .. وبايعه الناس.

يقول أبو هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول : نعم الرجل أبو بكر. نعم الرجل عمر. نعم الرجل أبو عبيدة. نعم الرجل أسيد بن حضير. نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس. نعم الرجل معاذ بن جبل. نعم الرجل معاذ بن عمرو ابن الجموح. نعم الرجل سهيل بن بيضاء.

ويقول عبد الله بن عباس : سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول : خالد ابن الوليد سيف الله وسيف رسوله وحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأبو عبيدة بن الجراح أمين اللّه وأمين رسوله وحذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن وعبد الرحمن بن عوف من تجار الرحمن عز وجل.

وكما عاش أبو عبيدة بن الجراح مع رسول الله ﷺ أمينا يحمل مسئولياته فى أمانة تكفى أهل الأرض لو اغترفوا منها جميعا .. كذلك كان مع الخليفة الأول.

ولما مات أبو بكر وبايع الناس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. كان أول قرار اتخذه الفاروق عزل خالد بن الوليد الذى كان يقود الجيوش فى الشام وولى أبا عبيدة مكان سيف الله المسلول .. فلم يكد أبو عبيدة يستقبل رسول الفاروق بهذا النبأ الجديد حتى استكتمه الخبر وكتمه هو فى نفسه طاويا عليه صدر زاهد ومقدرا موقف قائد يقود جيوش الإسلام فى موقعة كبرى حاسمة .. حتى أتم خالد بن الوليد فتحه العظيم .. عندئذ تقدم أبو عبيدة فى تواضع وأدب وقدم كتاب أمير المؤمنين عمر .. فقال خالد بن الوليد :

– يرحمك الله أبا عبيدة ما منعك أن تخبرنى حين جاءك الكتاب؟

فقال أمين هذه الأمة : إنى كرهت أن أكسر عليك حربك وما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل كلنا فى الله إخوة.

وكان نقش خاتم أبى عبيدة بن الجراح «الحمد لله».

وكتب أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

سلام عليك أما بعد ..

فإنا عهدناك وأمر نفسك لك مهم، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، يجلس بين يديك الشريف والوضيع، والعدو والصديق ولكل

حصته من العدل، فانظر كيف أنت عند ذلك ياعمر؟ فإنا نحذرك يوما تعنو فيه الوجوه، وتجف فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج، لحجة ملك قهرهم بجبروته، فالخلق داخرون له، يرجون رحمته، ويخافون عقابه، وإنا كنا نحدث أن أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة، وإنا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذى نزل من قلوبنا فإنما كتبنا به نصيحة لك .. والسلام عليك.

ولم يغضب الفاروق، فقد كان يعلم أن الدين النصيحة فكتب إلى أبى عبيدة ومعاذ بن جبل :

من عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة ومعاذ سلام عليكما أما بعد .. أتانى كتابكما تذكران أنكما عهدتمانى و أمر نفسى لى سهم، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها، جلس بين يدى الشريف والوضيع، والعدو والصديق، ولكل حصته من العدل، كتبتما : فانظر كيف أنت عند ذلك ياعمر؟ وإنه لا حول ولاقوة لعمر عند ذلك إلا بالله عز وجل. وكتبتما تحذرانى ما حذرت منه الأمم قبلنا وقديما كان اختلاف الليل والنهار بآجال الناس يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد، ويأتيان بكل موعود، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنة والنار. كتبتما تحذرانى : أن أمر هذه الأمة سيرجع فى آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السريرة، ولستم بأولئك وليس هذا بزمان ذاك، وذلك زمان تظهر فيه الرغبة تكون رغبة الناس بعضهم إلى بعض لصلاح دنياهم. كتبتما تعوذانى بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذى نزل من قلوبكما وإنكما كتبتما به نصيحة لى وقد صدقتما فلا تدعا الكتاب إلىّ فإنه لاغنى بى عنكما .. والسلام عليكما.

يقول أبو عبيدة بن الجراح : قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : إن الله لاينام ولا ينبغى له أن ينام. يخفض القسط ويرفعه. يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل. حجابه النور. لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه من خلقه.

وسئلت أم المؤمنين عائشة (سألها عبد الله بن شقيق) : أى أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إلى رسول الله ﷺ ؟

قالت عائشة : أبو بكر.

فقيل لها : ثم من؟

قالت أم المؤمنين عائشة : ثم عمر.

فقال عبد الله بن شقيق : ثم من؟

قالت عائشة بنت أبى بكر : أبو عبيدة بن الجراح.

أمير الأمراء :

وجعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبا عبيدة بن الجراح أمير الأمراء بالشام فأصبحت إمرته أكثر جيوش الإسلام طولا وعرضاوعتادا وعددا. فما زاده ذلك إلا تواضعا فكان الذى يراه لا يحسبه إلا فردا عاديا من المسلمين.

وانبهر أهل الشام بأبى عبيدة .. فقام فيهم خطيبا وقال :

- إنى مسلم من قريش، وما منكم من أحد أحمر ولا أسود يفضلنى بتقوى إلا وددت أنى فى مسلاخه (إهابه).

وذات يوم جلس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع جلسائه فقال لهم:

- تمنوا.

فقال رجل : أتمنى لو أن لى هذه الدار مملوءة ذهبا أنفقه فى سبيل الله.

ثم قال الفاروق : تمنوا ..

فقال رجل آخر : أتمنى لو أنها مملوءة لؤلؤا وزبرجدا وجوهرا أنفقه فى سبيل الله وأتصدق ..

ثم قال أبو حفص : تمنوا.

فقالوا : ماندرى يا أمير المؤمنين..

قال عمر بن الخطاب : لكنى أتمنى بيتا ممتلئا رجالا مثل أبى عبيدة بن الجراح.

وبعث أمير المؤمنين عمر إلى أبى عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمائةدينار وقال لرسوله:

– انظر ما يصنع ..

وأخذ أبو عبيدة المال، وقسمه كله على المساكين..فعاد رسول عمر وقال له:

– قسمها أبو عبيدة على المساكين من جيرانه.

ثم أرسل عمر بن الخطاب إلى معاذ بن جبل بمثلها وقال لرسوله مثل ما قال فقسمها معاذ بن جبل .. فلما أخبر رسول عمر أمير المؤمنين بما فعل معاذ قال :

إنهم إخوة بعضهم من بعض.

خضوعه للشوري :

وعلم أبو عبيدة بن الجراح أن جمعا من الروم عزموا على حصار أبى عبيدة بحمص واستجاشوا (استعانوا) بأهل الجزيرة وخلق ممن هنالك وقصدوا أبا عبيدة. فبعث أبو عبيدة إلى خالد بن الوليد فقدم عليه من قنسرين وكتب إلى عمر بن الخطاب بذلك. واستشار أبو عبيدة المسلمين : – هل نناجز الروم أو نتحصن بالبلد حتى يجئ إليَّ أمر عمر؟

فأشاروا كلهم بالتحصن إلا خالد بن الوليد فقال :

– نناجز الروم ..

فعصاه أبو عبيدة بن الجراح وأطاع الناس وتحصن بحمص .. فأحاط به الروم وكل بلد من بلدان الشام مشغول أهله عنه بأمر الروم ولو تركوا ماهم فيه وأقبلوا على حمص لانخرم النظام فى الشام كله.

وكتب عمر إليه أن يجهز جيشا إلى أهل الجزيرة الذين مالئوا الروم بقيادة القعقاع بن عمرو ويسيرهم إلى حمص فور وصول كتابه نجدة لأبى عبيدة بن الجراح فإنه محصور.

وكتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص أن يندب الناس لفك حصار أبى عبيدة ويكون أمير الجيش إلى الجزيرة عياض بن غنم.

فخرج الجيشان معا من الكوفة : القعقاع بن عمرو فى أربعة آلاف نحو حمص وخرج عمر بنفسه من المدينة لينصر أبا عبيدة بن الجراح.

ولما بلغ أهل الجزيرة الذين مالئوا الروم على حمص أن جيش عياض بن غنم قد طرق بلادهم انشمروا (ذهبوا) إلى بلادهم وفارقوا الروم.

وسمعت الروم بمقدم أمير المؤمنين عمر لينصر نائبه عليهم فدب الضعف فى جانبهم..

وأشار خالد بن الوليد على أبى عبيدة بن الجراح بأن يبرز إلى الروم ليقاتلهم .. فخرج أبو عبيدة ففتح الله عليه ونصره عليهم وهزمهم هزيمة ساحقة .. وذلك قبل ورود الإمدادات إليه بثلاث ليال. فكتب أبو عبيدة إلى أمير المؤمنين عمر بالفتح.

زهده ووصاياه لجنده :

ولما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الشام تلقاه الناس وعظماء أهل الأرض فتساءل الفاروق:

– أين أخى؟

فقالوا: من ؟

قال أمير المؤمنين عمر : أبو عبيدة.

قالوا : الآن يأتيك ..

فلما أتاه نزل واعتنقه ثم دخل عليه بيتا .. فلم ير فى بيته إلا سيفه وترسه ورحله (عدة فرسه).

فقال عمر بن الخطاب وهو يبتسم :

– ألا اتخذت ما اتخذ أصحابك؟

فقال أبو عبيدة بن الجراح :

– يا أمير المؤمنين هذا يبلغنى المقيل ..

ونظر الفاروق فرأى عيش أبى عبيدة بن الجراح وماهو عليه من شدة فقال له :

ـ كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة.

ودخل مسلم بن أكيس مولى عبد الله بن عامر على أبى عبيدة بن الجراح فوجده يبكى فسأله :

ـ ما يبكيك يا أبا عبيدة ؟

فقال أبو عبيدة : نبكى أن رسول الله ﷺ ذكر يوما ما يفتح الله على المسلمين ويفىء عليهم حتى ذكر الشام فقال : إن ينسأ فى أجلك يا أبا عبيدة فحسبك من الخدم ثلاثة : خادم يخدمك وخادم يسافر معك وخادم يخدم أهلك ويرد عليهم، وحسبك من الدواب ثلاثة : دابة لرحلك ودابة لنقلك ودابة لغلامك.

ثم أشار أبو عبيدة بيده واستطرد :

ثم هأنذا أنظر إلى بيتى قد امتلأ رقيقا وأنظر إلى مربطى قد امتلأ دواباً وخيلا، فكيف ألقى رسول الله ﷺ بعد هذا؟ وقد أوصانا رسول الله ﷺ : إن أحبكم إلى وأقربكم منى من لقينى على مثل الحال التى فارقنى عليها؟؟

وكان خوف أبى عبيدة بن الجراح وبكاؤه على بسط الدنيا جعل الدمع لايجف فبلل لحيته .. وكان يقول :

– وددت أنى كبش فذبحنى أهلى فأكلوا لحمى وحسوا مرقى.

وكان يسير فى العسكر فيقول : ألا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، ادرءوا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات، فلو أن أحدكم عمل من السيئات ما بينه وبين السماء ثم عمل حسنة لعلت فوق سيئاته حتى تقهرهن.

وأصيب أمين هذه الأمة فى طاعون عمواس بأرض الشام سنة ثمان عشرة .. اشتد الوجع بأبى عبيدة بن الجراح وبلغ ذلك أمير المؤمنين عمر فكتب إلى أبى عبيدة بالأردن ليستخرجه منه :

أن سلام الله عليك أما بعد ...

فإنه قد عرضت لى إليك حاجة أريد أن أشافهك فيها فعزمت عليك إذا نظرت فى كتابى هذا ألا تضعه من يدك حتى تقبل إلى .

فعرف أبو عبيدة بن الجراح أن أمير المؤمنين عمر إنما أراد أن يستخرجه من الوباء فقال :

– يغفر الله لأمير المؤمنين ..

ثم كتب أبو عبيدة إلى الفاروق : يا أمير المؤمنين إنى قد عرفت حاجتك إلى وإنى فى جند المسلمين لا أجد بنفسى رغبة عنهم فلست أريد فراقهم حتى يقضى الله فى وفيهم أمره وقضاءه. فخلنى من عزمتك يا أمير المؤمنين ودعنى فى جندى.

ودعا أبو عبيدة من حضره من المسلمين فقال لهم موصيا : إنى موصيكم بوصية إن قبلتموها لن تزالوا بخير : أقيموا الصلاة وصوموا شهر رمضان وتصدقواوحجوا وانصحوا لأمرائكم ولا تغشوهم ولا تلهكم الدنيا، إن امرءا لو عمر ألف حول ماكان له بد من أن يصير إلى مصرعى هذا الذى ترون، إن الله تعالى كتب الموت على بنى آدم فهم ميتون فأكيسهم أطوعهم لربه وأعلمهم وأعملهم ليوم معاده .. والسلام عليكم ورحمة الله ..

ثم نظر نحو معاذ بن جبل وقال :

– يا معاذ بن جبل .. صل بالناس .

وفاتـــه

ومات أمين هذه الأمة وأمير الأمراء فوق أرض الأردن التى طهرها من وثنية الفرس واضطهاد الروم .. توفى أبو عبيدة بن الجراح وعمره ثمان وخمسون سنة .. فصلى عليه معاذ بن جبل ونزل فى قبره معاذ وعمرو بن العاص والضحاك بن قيس ..

ولما بلغ أمير المؤمنين كتاب أبى عبيدة بن الجراح .. علم أنه الناعى .. فأسبل جفنيه على عينين غصتا بالدمع.

طلحة بن عبيد الله

«مَنْ سَرَّهُ أنْ ينظُرَ إلي رَجُلٍ يمْشى علَى الأرْضِ وقَدْ قضَى نَحبهُ (يعنى شهيْداً) فَليَنظُرْ إلى طَلَحة»

حديث نبوى شريف

«هَذَا شهيدٌ يمشِي علَى وَجهِ الأرضِ»

حديث نبوى شريف

الشهيد الذي يمشي على الأرض :

طلحة الخير ..

طلحة الجود ..

طلحة الفياض ..

من صاحب هذه الألقاب؟ ومن لقبه بها؟ إنه رسول الله ﷺ الذى استقبل وجوه أصحابه وقال وهو يشير إلى طلحة :

– من سره أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة.

يقول على بن أبى طالب : سمعت النبى عليه الصلاة والسلام يقول : طلحة جوارى فى الجنة.

لم تكن ثمة بشرى يتمناها أصحاب رسول الله ﷺ وتطير قلوبهم شوقا إليها أكثر من هذه التى قلدها طلحة بن عبيد الله.

نسبه :

هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى التيمى.

إسلامه:

كان طلحة حاضرا سوق بصرى بالشام فإذا راهب فى صومعته يقول :

– سلوا أهل الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم؟

فقال طلحة بن عبيد الله : نعم أنا.

قال الراهب : هل ظهر أحمد بعد؟

فتساءل طلحة : ومن أحمد؟

قال الراهب : ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذى يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء ومخرجه من الحرم ومهاجره إلى نخل وحرة وسباخ فإياك أن تسبق إليه.

فوقع فى قلب طلحة ما قال الراهب فخرج يشتد من أرض الشام. فلماقدم أم القرى تساءل:

– هل كان من حدث؟

فقالوا : نعم محمد بن عبد الله الأمين تنبأ..

فقال طلحة بن عبيد الله : هل تبعه أحد؟

قالوا : تبعه ابن أبى قحافة وعلى بن أبى طالب وزيد بن حارثة.

فانطلق طلحة إلى دار أبى بكر بن أبى قحافة فدخل عليه وسأله :

– أتبعت هذا الرجل؟

قال أبو بكر : نعم .. فانطلق إليه فادخل عليه فاتبعه فإنه يدعو إلى الحق.

وأخبر طلحة أبا بكر بما قال راهب بصرى .. فخرج أبو بكر بطلحة وذهبا إلى دار خديجة بنت خويلد فدخلا على النبى عليه الصلاة والسلام فعرض على طلحة الإسلام وقرأ عليه القرآن .. فأسلم طلحة بن عبيد الله، وأخبر رسول الله ﷺ بما قال الراهب فسر النبى عليه الصلاة والسلام بذلك.

تعذيبه في سبيل الله :

كان نوفل بن خويلد يسمى أسد قريش، وكان أخا لطلحة بن عبيد الله، فلما علم ابن العدوية بإسلام أخيه كبر عليه أن يترك أخوه الصغير دين آبائه ويتبع دين ابن عبد الله ﷺ، فأخذ نوفل بن خويلد أبا بكر (لأنه دعا طلحة للإسلام وكان ممن أسلموا على يد أبى بكر) وطلحة فشدهما فى حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم ومنعهما ابن العدوية أن يحضرا الصلاة ومجلس رسول الله ﷺ، فلذلك سمى أبو بكر وطلحة القرينين.

ولقى أبو جهل بن هشام طلحة فقال له :

– تركت دين آبائك وهو خير منك، لنسفهن حلمك، ولنفيلن (نخطئن) رأيك ولنضعن شرفك.

فلم يلتفت طلحة لقوله فعاد أبو جهل يهدده ويتوعده :

– والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك.

جهاده فى الإسلام :

لما هاجر أصحاب رسول الله ﷺ إلى يثرب كان طلحة بن عبيد الله فى تجارة الشام، ولما خرج النبى عليه الصلاة والسلام من الخرار فى هجرته إلى يثرب لقيه طلحة بن عبيد الله جائيا من الشام فى عير فكسا رسول الله ﷺ وأبا بكر من ثياب الشام، وأخبر النبى عليه الصلاة والسلام أن من بيثرب من المسلمين قد استبطؤوا رسول الله ﷺ .. فعجل النبى عليه الصلاة والسلام السير إلى يثرب .

ومضى طلحة إلى مكة حتى فرغ من حاجته .. ثم خرج بعد ذلك مهاجرا مع آل أبى بكر فقدم بهم إلى يثرب. ونزل طلحة على أبى أمامه أسعد بن زرارة .. ولما آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار آخى بين طلحة بن عبيد الله وكعب ابن مالك.

وعلم النبى عليه الصلاة والسلام أن عيراً قد خرجت من الشام فبعث طلحة ابن عبيد الله وسعيد بن زيد فى غرة شهر رمضان يتحسسان خبر العير .. فخرجا حتى بلغ الحور فلم يزالا مقيمين هناك حتى مرت عير قريش . وبلغ رسول الله ﷺ الخبر قبل رجوع طلحة وسعيد فندب أصحابه وقال لهم :

هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها.

ثم عاد النبى عليه الصلاة والسلام فقال : من كان ظهره (مايركبه) حاضرا فليركب معنا.

ولم ينتظر رسول الله ﷺ من كان ظهره غائبا عنه. وخرج وكان أصحابه خمسة وثلاثمائة رجل يريد عير قريش. فساحلت وأسرعت يقودها أبو سفيان ابن حرب ومن معه فساروا الليل والنهار خوفا من الطلب.

وأسرع طلحة وسعيد إلى المدينة ليخبرا النبى عليه الصلاة والسلام خبر العير (لم يعلما بخروجه بعد خروجهما بعشر ليال) فقدما المدينة فى اليوم الذى لاقى فيه رسول الله ﷺ النفير من قريش ببدر. فخرج طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد من مدينة الرسول ﷺ يعترضان النبى عليه الصلاة والسلام فلقياه بتربان (مكان بين ملل والسيالة) على المحجة منصرفا من بدر .. فلم يشهد طلحة وسعيد وقعة بدر.

وكلم طلحة رسول الله ﷺ فى سهمه فقال عليه الصلاة والسلام :

- لك سهمك.

فتساءل طلحة : وأجرى يارسول الله؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : وأجرك..

وخرج رسول الله ﷺ يوما على أصحابه فقال لهم : يا أصحاب محمد لقد أرانى الله الليلة منازلكم فى الجنة وقدر منازلكم من منزلى.

ثم أقبل على على بن أبى طالب فقال :

- يا على أترضى أن يكون منزلك مقابل منزلى فى الجنة؟

فقال على بن أبى طالب : بلى بأبى أنت وأمى يارسول الله ..

ثم أقبل النبى عليه الصلاة والسلام على أبى بكر فقال :

- إنى لأعرف رجلا باسمه واسم أبيه وأمه إذا أتى باب الجنة لم يبق باب من أبوابها ولا غرفة من غرفها إلا قال له : مرحبا مرحبا.

فقال سلمان الفارسى : إن هذا لغير خائف يارسول الله.

فقال رسول الله ﷺ : هو أبو بكر بن أبى قحافة.

ثم أقبل النبى عليه الصلاة والسلام على عمر بن الخطاب فقال :

- ياعمر، لقد رأيت فى الجنة قصرا من درة بيضاء شرفه من لؤلؤ أبيض مشيد بالياقوت فأعجبنى فقلت : يارضوان لمن هذا القصر؟ فقال : لفتى من

قريش، فظننته لى فذهبت لأدخله فقال لى رضوان : يامحمد هذا لعمر بن الخطاب. فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته.

فبكى الفاروق ثم قال : عليك أغار يارسول الله؟

ثم أقبل رسول الله ﷺ على عثمان بن عفان فقال : ياعثمان إن لكل نبى رفيقا فى الجنة وأنت رفيقى فى الجنة.

ثم أقبل النبى عليه الصلاة والسلام على طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ثم قال لهما :

– ياطلحة يازبير لكل نبى حوارى وأنتما حواريى.

ثم أقبل النبى عليه الصلاة والسلام على عبد الرحمن بن عوف فقال :

– ياعبد الرحمن لقد بطؤ بك عنى حتى خشيت أن تكون قد هلكت، ثم جئت وقد عرقت عرقا شديدا فقلت لك : ما بطأ بك عنى لقد خشيت أن تكون قد هلكت، فقلت : يارسول الله كثرة مالى ما زلت موقوفا محتبسا أسأل عن مالى : من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟.

فبكى عبد الرحمن بن عوف وقال : يارسول الله هذه مائة راحلة جاءتنى الليلة عليها تجارة مصر، فأشهدك أنها بين أرامل أهل المدينة وأيتامهم لعل الله يخفف عنى ذلك اليوم.

ويوم أحد أخذ طلحة يضرب بسيفه فى جيش المشركين الذى جاء باغيا وعاديا يريد أن يطفئ نور الله .. وكلما استدرجته ضرورات القتال بعيدا عن النبى عليه الصلاة والسلام قاتل وعيناه متجهتان دوما إلى حيث يقف الصادق الصدوق يقاتل ترقبانه فى حرص وقلق. وكلما تراءى لطلحة خطر يقترب من رسول الله ﷺ قطع الأرض وثبا فيرد قريشا على أعقابها قبل أن ينالوا من النبى عليه الصلاة والسلام منالا.

وثبت طلحة مع رسول الله ﷺ حيث ولى الناس، وبايع النبى عليه الصلاة والسلام جماعة من أصحابه على الموت منهم : أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسهل بن حنيف وأبو دجانة

.. فصبروا وجعلوا يبذلون نفوسهم دونه، وأبلى طلحة بلاء حسنا، ووقى رسول الله ﷺ بنفسه واتقى النبل عنه بجسده، وحمل رسول الله ﷺ على ظهره حتى استقل (صعد) الصخرة .. ولما غشى رجال من قريش النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– من لهؤلاء ؟

فقال طلحة بن عبيد الله : أنا ..

فقاتلهم .. وذهب رجل من المشركين يضرب وجه رسول الله ﷺ بالسيف فوقاه طلحة بيده .. فلما أصاب طلحة السيف قال :

– حس حس (كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه ما يمضه وأحرقه غفلة كالجمرة أو الضربة)

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : لو قلت : «باسم الله» لحملتك الملائكة والناس ينظرون.

وكان رسول الله ﷺ ظاهر بين درعين فلم يستطع النهوض فاحتمله طلحة ابن عبيد الله فأنهضه حتى استوى على صخرة واستتر بها عن المشركين فقال لطلحة:

– هكذا ..

وأومأ ﷺ بيده إلى وراء وأردف:

– هذا جبريل يخبرنى أنه لايراك يوم القيامة فى هول إلا أنقذك منه.

فارتجز طلحة :

نحن حماة غالب ومالك نذب عن رسولنا المبارك

نضرب عنه القوم فى المعارك ضرب صفاح الكوم فى المبارك

وأقبل ضرار بن الخطاب فلقيه طلحة بن عبيد الله فضربه ضرار ضربة وقعت فى رأسه فشجته وقطع نساءه (عرق النسا) وشلت أصبعه فغلبه الغشى ورسول الله ﷺ مكسورة رباعيته مشجوج فى وجهه فقال لأبى بكر والزبير وعمر:

- عليكم صاحبكم (يعنى طلحة). فقد نزف..

فأقبلوا عليه فوجدوا بجسده خمسا وسبعين ضربة سيف وطعنة رمح .. فلما رآه رسول الله ﷺ قال : أوجب طلحة (يعنى مات).

ثم نظر إلى طلحة والزبير واستطرد : طلحة والزبير جاراى فى الجنة.

ولما رجع رسول الله ﷺ من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ قوله تعالى :

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾(١)

فقام إليه رجل وتساءل :

- يارسول الله من هؤلاء؟

فأقبل طلحة بن عبيد الله عليه ثوبان أخضران .. فقال النبى عليه الصلاة والسلام وهو يشير نحو طلحة :

- أيها السائل .. هذا منهم ..

فنظر الناس نحو طلحة بن عبيد الله فعاد رسول الله ﷺ :

- من سره أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة.

لم تكن ثمة بشرى يتمناها أصحاب رسول الله ﷺ وتطير قلوبهم إليها أكثر من هذه التى قلدها رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله .. صقر يوم أحد.

وأمر النبى عليه الصلاة والسلام شاعره حسان بن ثابت فقال له :

- قل فى طلحة ..

فقال شاعر رسول الله ﷺ :

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٣.

وطلحة يوم الشعب آسى محمدا على ساعة ضاقت عليه وشقت
يقيه بكفيه الرماح وأسلمت أشاجعه تحت السيوف فشلت
وكان إمام الناس إلا محمدا أقام رحى الإسلام حتى استقلت

وقام أبو بكر الصديق فقال :

حمى نبى الهدى والخيل تتبعه حتى إذا مالقوا حامى عن الدين
صبرا على الطعن إذ ولت حماتهم والناس مابين مهدى ومفتون
ياطلحة بن عبيد الله قد وجبت لك الجنان وزوجت المها العين

وقام أبو حفص فقال :

حمى نبى الهدى بالسيف منصلتا لما تولى جميع الناس وانكشفوا

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب : صدقت ياعمر..

وذات ضحى كان أصحاب رسول الله ﷺ جلوسا عند النبى عليه الصلاة والسلام فمر طلحة فقال رسول الله ﷺ :

– هذا شهيد يمشى على وجه الأرض.

وكان بين طلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف مال فقاسمه طلحة إياه فأراد عبد الرحمن شربا فى أرض طلحة فمنعه فأتى عبد الرحمن بن عوف النبى عليه الصلاة والسلام فشكاه إليه فقال رسول الله ﷺ :

– اتشكو عملا قد أوجب (عمل عملا يوجب له الجنة).

فانطلق عبد الرحمن بن عوف إلى طلحة فبشره بما قال رسول الله ﷺ فقال طلحة لعبد الرحمن بن عوف :

– يا أخى بلغ من هذا المال ما تشكونى إلى رسول الله ﷺ ؟

فقال عبد الرحمن بن عوف: قد كان ذلك ..

فقال طلحة بن عبيد الله : فإنى أشهد الله وأشهد رسوله أنه لك.

وخرج طلحة بن عبيد الله مع النبى عليه الصلاة والسلام يوم غزوة الأحزاب وشهد غزوة بنى قريظة ولما مر رسول الله ﷺ فى غزوة ذى قرد على ماء يقال له بيسان قال النبى عليه الصلاة والسلام :

– هو نعمان وطيب.

وأدرك طلحة أن رسول الله ﷺ أعجبه ماؤه.. فاشتراه طلحة بن عبيد الله وتصدق به فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

– ما أنت ياطلحة إلا فياض.

فلقب بطلحة الفياض.

وتزوج طلحة بن عبيد الله أربع نسوة عند رسول الله ﷺ أخت كل منهن : أم كلثوم بنت أبى بكر أخت عائشة وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش والفارعة بنت أبى سفيان أخت رملة بنت أبى سفيان (أم حبيبة) ورقية بنت أبى أمية أخت أم سلمة بنت زاد الركب.

وكان طلحة بن عبيد الله من أكثر الناس برا بأهله وأقربائه، فكان لايدع أحدا من بنى تيم عائلا إلا كفاه مؤونته ومؤونة عياله، وزوج أياماهم وأخدم عائلهم وقضى دين غارمهم.

وبايع طلحة رسول الله ﷺ تحت الشجرة بيعة الرضوان وشهد صلح الحديبية وفتح خيبر وعمرة القضاء .. وفتح مكة وغزوة حنين وحصار الطائف.

وذات يوم جلس رسول الله ﷺ يحدث أصحابه ويفقههم فى دينهم فقال :

– رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة.

(وكان رجلان من بلى قدما على رسول الله ﷺ فكان إسلامهما معا وكان أحدهما أشد اجتهادا من الآخر فغزا المجتهد فاستشهد ثم مكث الآخر بعده سنة ثم مات).

ونام طلحة فرأى رؤيا فحدث الناس فعجبوا فبلغ ذلك النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– من أى ذلك تعجبون ؟

قالوا : يارسول الله هذا الذى كان أشد الرجلين اجتهادا فاستشهد فى سبيل الله فدخل الآخر الجنة قبله.

قال رسول الله ﷺ : بلى.

وأضاف النبى عليه الصلاة والسلام متسائلا :

– وصلى كذا كذا من سجدة فى السنة؟

قالوا : بلى :

قال النبى عليه الصلاة والسلام.

– لما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض..

ويوم غزوة (تبوك) جاء طلحة بن عبيد الله بما عنده من مال ووضعه بين يدى رسول الله ﷺ فقد كان ماله كله فى خدمة الدين وفى سبيل الله عز وجل .. فلقبه النبى عليه الصلاة والسلام بطلحة الخير.

ولما هم رسول الله ﷺ بالخروج لحرب الروم جاءه جماعة من المنافقين وقالوا: يارسول الله قد بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه وتدعو لنا بالبركة..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إنى على جناح سفر وحال شغل ولو قدمنا إن شاء الله تعالى لأتيناكم فصلينا لكم فيه.

وذبح طلحة بن عبيد الله جزورا فأطعم النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه وأسقاهم فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

– أنت طلحة الفياض..

وكان رسول الله ﷺ سماه يوم أحد : طلحة الخير، ويوم حنين : طلحة الجود لكثرة إنفاقه على العسكر.

ولما رجع رسول الله ﷺ من تبوك وكان بذى أروان (محل بينه وبين المدينة ساعة من نهار) جاءه المنافقون الذين بنوا المسجد وطلبوا منه أن يأتيهم ليصلى

فيه. فدعا ﷺ بقميصه ليلبسه فيأتيهم ولكن الله عز وجل أوحى إليه ﴿والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون* لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين* أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لايهدى القوم الظالمين* لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم﴾ ..(١)

فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم وطلحة بن عبيد الله ومعن بن عدى وعامر بن يشكر ووحشى بن حرب وقال لهم :

– انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه.

فخرجوا وأشعلوا فيه نارا .. وهدموه، وكان ذلك بين المغرب والعشاء .. فلما ارتفع أذان مسجد قباء ذهب المسلمون إلى المسجد الذى أسس على التقوى وصلوا فيه خلف النبى عليه الصلاة والسلام .

ودخلت سعدى بنت عوف المرية ذات ليلة على زوجها طلحة فوجدته حزيناً شاردا فسألته :

– ما بك يا أبا محمد؟

فلم يجبها ..

فقالت : أرابك شئ من أهلك فنعتب؟

قال طلحة بن عبيد الله : نعم حليلة المرء أنت، ولكن عندى مال قد أهمنى أو غمنى ..

قالت سعدى بنت عوف : أقسمه.

فدعا طلحة جاريته وقال لها : أدخلى على قومى ..

فدعت الجارية بنى تيم قوم طلحة فقسم المال (كان أربعمائة ألف) بينهم حتى مابقى منه درهم.

(١) سورة التوبة آية ١٠٧ – ١١٠.

ولما انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى وولى أبو بكر الخلافة كان يستشير أهل الرأى من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام كعلى وعمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف..

وذات يوم خرج الأقرع بن حابس والزبرقان إلى الخليفة الأول فقالا :

– اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك ألا يرجع من قومنا أحد (لايرجع عن الإسلام أى لايرتد).

فكتب أبو بكر لهما كتابا جعل لهما خراج البحرين، وشهد طلحة بن عبيد الله على الكتاب فقد كان يختلف بين أبى بكر والأقرع والزبرقان .. فلما أتى كتاب أبى بكر عمر بن الخطاب ونظر فيه قال :

– ولا كرامة ..

ثم مزق الكتاب ومحاه .. فغضب طلحة بن عبيد الله وأتى خليفة رسول الله ﷺ وقال له :

– أنت الأمير أم عمر؟

فقال أبو بكر الصديق : عمر .. غير أن الطاعة لى ..

فسكت طلحة بن عبيد الله.

وباع طلحة بن عبيد الله أرضا له من عثمان بن عفان بسبعمائة ألف فحملها إليه فنظر طلحة إلى المال ودمعت عيناه وقال :

– إن رجلا تبيت هذه الأموال فى داره لايدرى مايطرقه من أمر الله العزيز (لمغرور بالله).

ودعا طلحة أصحابه فحملوا المال ومضوا فى شوارع المدينة يوزعون المال حتى أسحر طلحة وما عنده منها درهم .. فقال جابر بن عبد الله : ما رأيت أحدا أعطى لجزيل مال من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله.

يقول السائب بن يزيد : صحبت طلحة بن عبيد الله فى السفر والحضر فما وجدت أحدا أعم سخاء على الدرهم والثوب والطعام من طلحة.

وسمى طلحة بنيه بأسماء الأنبياء وقد علم أن لانبى بعد محمد ﷺ.

وكان طلحة يقول : إن أقل العيب على الرجل جلوسه فى داره.

ورأى أمير المؤمنين عمر على طلحة ثوبين مصبوغين بمشق (وهو محرم) فقال الفاروق :

– ما بال هذين الثوبين يا طلح؟

فقال طلحة بن عبيد الله : يا أمير المؤمنين إنما صبغته بمدر ..

فقال أبو حفص : إنكم أيها الرهط أئمة يقتدى بكم الناس ولو أن جاهلا رأى عليك ثوبيك هذين لقال قد كان طلحة بن عبيد الله يلبس الثياب المصبغة وهو محرم، وإن أحسن ما يلبس المحرم البياض فلا تلبسوا على الناس.

وكان طلحة بن عبيد الله إذا رأى الهلال يقول :

– كان النبى عليه الصلاة والسلام إذا رأى الهلال قال : اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام ربى وربك الله.

ويقول طلحة بن عبيد الله : قال رسول الله ﷺ : من أولى معروفا فليذكره فمن ذكره فقد شكره ومن كتمه فقد كفره.

وخطب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أم أبان بنت عتبة بنت ربيعة فأبته (رفضته) فقيل لها :

– لم ؟

قالت أم أبان : إن دخل دخل ببأس، وإن خرج خرج ببأس، وقد داخله أمر أذهله عن أمر دنياه كأنه ينظر إلى ربه بعينه.

ثم خطبها الزبير بن العوام فأبته فقيل لها :

– ولم ؟

قالت أم أبان : ليس لزوجته منه إلا شاة فى قرامها.

ثم خطبها على بن أبى طالب فأبت وقيل لها : ولم ؟

قالت أم أبان بنت عتبة :

– ليس لزوجته منه إلا قضاء حاجته، ويقول : كنت وكنت وكان وكان.

ثم خطبها طلحة بن عبيد الله فرضيت وقالت : زوجى حقا ..

فقيل لها : وكيف ذلك؟

قالت أم أبان بنت عتبة : إنى عارفة بخلائقه، إن دخل دخل ضاحكا وإن خرج خرج بساما. إن سألت أعطى وإن سكتُّ ابتدأ وإن عملت شكر وإن أذنبت غفر.

فلما ابتنى بها طلحة بن عبيد الله قال له على بن أبى طالب :

– يا أبا محمد إن أذنت لى أن أكلم أم أبان..

فقال طلحة بن عبيد الله : كلمها.

فأخذ على على سجف (ستر) الحجلة ثم قال :

– السلام عليك ياعزيزة نفسها ..

فقالت أم أبان بنت عتبة : وعليك السلام.

فقال أبو الحسن : خطبك أمير المؤمنين وسيد المسلمين فأبيت.

قالت أم أبان : كان ذلك.

قال على بن أبى طالب : وخطبك الزبير ابن عمة رسول الله ﷺ وأحد حوارييه فأبيته ..

قالت أم أبان بنت عتبة : وقد كان ذلك ..

قال أبو الحسن : وخطبتك أنا وقرابتى من رسول الله ﷺ ..

قالت أم أبان : وقد كان ذلك..

قال على بن أبى طالب : أما والله لقد تزوجت أحسننا وجها وأسمحنا كفا يعطى هكذا وهكذا.

وخرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتفقد أحوال رعيته فذات ليلة ذهب فى سواد الليل فرآه طلحة بن عبيد الله فدخل بيتا ثم دخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة (أصابها داء القعاد فلا تستطيع المشى) فقال لها :

– ما بال هذا الرجل (يعنى الفاروق) يأتيك؟

قالت المرأة العجوز : إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى .. فقال طلحة : ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات (زلات) عمر تتبع؟

ولما طعن أبو لؤلؤة المجوسى عمر جعل طلحة من أهل الشورى الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض .. ولما مات عمر بن الخطاب قال طلحة ابن عبيد الله :

– ما كان عمر بن الخطاب بأولنا إسلاما ولا أقدمنا هجرة ، ولكنه كان أزهدنا فى الدنيا وأرغبنا فى الآخرة.

ولما قتل عثمان بن عفان .. وأطلت الفتنة الكبرى بقرنيها انحاز طلحة إلى معاوية بن أبى سفيان وطالب بدم عثمان بن عفان.

وفاته :

نظر الإمام على بن أبى طالب نحو جيش معاوية فرأى أم المؤمنين عائشة فى هودجها ورأى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام حواريى رسول الله ﷺ فحزن حزنا شديدا .. ثم نادى طلحة بن عبيد الله .. فلما خرج إليه من بين صفوف أهل الشام قال له أمير المؤمنين على :

– يا طلحة أجئت بعرس رسول الله تقاتل بها وخبأت عرسك فى البيت ؟؟

فركب الحياء طلحة .. ووقع بصره على عمار بن ياسر بين صفوف جيش أمير المؤمنين على فتذكر قول رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر:

– تقتلك الفئة الباغية ..

ماذا يفعل طلحة لو قتل عمار فى معركة اشترك فيها طلحة بن عبيد الله؟

سيكون طلحة باغيا؟؟

فلوي طلحة عنان فرسه ·· لقد قرر الانسحاب من القتال ·· ولكن مروان ابن الحكم لما رأى فى عينى طلحة البصيرة والهدى ·· لم يرض بذلك فرمى طلحة ابن عبيد الله بسهم ·· أودى بحياته·

حياة رجل قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– من سره أن ينظر إلى رجل يمشى على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة·

عبد الرحمن بن عوف

«سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لِعَبْدِ الرَّحمنِ بنِ عوفٍ :
أَنتَ أمينٌ فِى أَهلِ الأَرْضِ، أمينٌ فِى أَهلِ السَّماءِ»

علَى بْنُ أبى طَالِبٍ

الرجل الذي صلى خلفه النبى عليه الصلاة والسلام صلاة الفجر :

كان جيش المسلمين فى طريقه إلى الشام (غزوة تبوك) فلما كان الفجر ذهب رسول الله ﷺ ليتوضأ ومعه المغيرة بن شعبة الثقفى فأبطأ عن الناس فأقيمت الصلاة فتقدم عبد الرحمن بن عوف .. فصلى النبى عليه الصلاة والسلام خلف عبد الرحمن بن عوف صلاة الفجر. أدرك معه الركعة الثانية منها فلما سلم عبد الرحمن بن عوف والناس أعظموا ما وقع فقال رسول الله ﷺ :

– أحسنتم وأصبتم. (يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها ولم ينتظروه).

ثم نظر رسول الله ﷺ نحو عبد الرحمن بن عوف وأردف :

– ما قبض نبى قط حتى يصلى خلف رجل صالح من أمته.

وهذه منقبة عظيمة لا تبارى (لم يصل النبى عليه الصلاة والسلام خلف أحد من أمته إلا وراء أبى بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف).

وبينما كان رسول الله ﷺ جالسا مع أصحابه قرأ رجل وكان لين القراءة (لين الصوت) فما بقى أحد من القوم إلا فاضت عينه بالدمع إلا عبد الرحمن بن عوف فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

– إن لم يكن عبد الرحمن بن عوف فاضت عينه فقد فاض قلبه.

يقول على بن أبى طالب: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعبد الرحمن بن عوف : أنت أمين فى أهل الأرض وأمين فى أهل السماء..

وذهب الزبير بن العوام إلى أمير المؤمنين عثمان فقال له :

– إن عبد الرحمن بن عوف يقول : كذا وكذا ..

فقال أمير المؤمنين عثمان : هو جائز الشهادة له وعليه.

وتقول أم المؤمنين أم سلمة بنت زاد الركب :

سمعت رسول الله ﷺ يقول لأزواجه : إن الذى يحافظ عليكن بعدى لهو الصادق البار. اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة.

نسبه :

هو عبد الرحمن (كان فى الجاهلية اسمه عبد عمرو أو عبد الحارث أو عبد الكعبة فلما اعتنق الإسلام سماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن) بن عوف بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة (من بني زهرة بن كلاب بن مرة) ويكنى بأبى محمد القرشى الزهرى. وأمه الشفاء بنت عوف (بنت عم أبيه).

ولد عبد الرحمن بن عوف فى بنى زهرة بعد عشرة أعوام من عام الفيل، وشب عفيف النفس سمح الخلق سخى اليد فكانت يداه مبسوطتين بالعطيات، وتشرب بالعادات العربية الأصيلة كالوفاء والأمانة والصدق .. عزوفا عن المآثم الشائعة فى قبيلته وبلاد العرب كعبادة الأوثان وحرم على نفسه الخمر وكان شغوفا بالسفر فتعلم التجارة.

إسلامه :

كان عبد عمرو بن عوف يذهب إلى اليمن وكان ينزل على عسكلان بن عواكن الحميرى كلما سافر إليها. وكانت اليهودية والنصرانية منتشرتين فى اليمن، وكان عبد عمرو بن الحارث يجلس إلى اليهود ويدور الحديث حول الدين والأنبياء وحول البشارات التى يفيض بها الكتاب ويدور الحديث حول نبى من الأمم. وكان عبد عمرو بن عوف يصغى إلى حديث الكهان والأحبار :

– إنه سيبعث من البيت الحرام نبى ..

فقال عبد عمرو بن عوف : مثل موسى بن عمران.

قال الأحبار والكهان : نعم.

وسأل عسكلان بن عواكن عبد عمرو بن عوف :

– هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر؟

فقال عبد عمرو بن عوف : لا.

فقال عسكلان بن عواكن الحميرى : هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم؟

فقال عبد عمرو بن عوف : لا.

وذات يوم رجع عبد عمرو بن عوف من اليمن فدخل على عبد الله بن أبى قحافة عثمان بن عامر فقال له :

– هل بلغك النبأ؟

فتساءل عبد عمرو بن عوف : أى نبأ؟

قال عبد الله بن أبى قحافة : نبأ محمد بن عبد الله .. لقد بعثه الله رسولا إلى الناس كافة.

وتذكر عبد عمرو بن عوف كل ما سمعه من أحبار وكهان اليهود والنصارى وملأه إحساس عميق برسالة محمد – ﷺ – ووجده أهلا للرسالة، فهو صادق أمين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

فقال عبد عمرو بن عوف : وهل تبعه أحد؟

قال أبو بكر بن أبى قحافة : نعم.

تبعته وصدقته، وكذلك أسلم على بن أبى طالب وزيد بن محمد (ابن حارثة) والزبير بن العوام وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص ومن النساء خديجة بنت خويلد.

وانطلقا إلى دار خديجة فوجدا محمدا– ﷺ – جالسا وإلى جواره ابن عمه على فلما رآهما رحب بهما ثم راح يعرض على عبد عمرو بن عوف الإسلام فشرح الله صدره للإيمان وقال فى صدق :

– أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

فقال له رسول الله ﷺ : أنت عبد الرحمن.

فكان عبد الرحمن بن عوف أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام وأحد الذين أسلموا على يد أبى بكر بن أبى قحافة.

ووجد عبد الرحمن بن عوف فى هذا الدين بغيته وأمنيته والحق الذى كان يبحث عنه. ولكن ما جاء به محمد ﷺ زلزل الأرض تحت أقدام سادات قريش، فكيف يسوى الدين الجديد بين العبد وسيده؟ وكيف يدعو إلى عبادة إله واحد ويدع عبادة اللات والعزى وهبل ومناة و .. فراحوا يحاربون هذا الدين..

وذات ضحى كان عبد الرحمن بن عوف منذ أن اعتنق الإسلام لم يعد يجلس معهم فأمية بن خلف وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وسائر أشراف قريش يسخرون ويهزءون بدعوة رسول الله ﷺ.

لحق أمية بن خلف بعبد الرحمن بن عوف وقال له :

– أفسدك محمد علينا فتركت دين آبائك ودخلت فيما يدعو إليه، وأدعوك بعبد عمرو فلا تجيب؟ أرغبت عن اسم سماكه أبوك؟

قال عبد الرحمن بن عوف : أنت تعلم أنى سميت حين أسلمت عبد الرحمن؟

قال أمية بن خلف : إنى لا أعرف الرحمن فاجعل بينى وبينك شيئا أدعوك به، أما أنت فلا تجيبنى باسمك الأول وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ..

فقال عبد الرحمن بن عوف : يا أبا على اجعل بينى وبينك ما شئت ..

قال أمية بن خلف : فأنت عبد الإله.

قال عبد الرحمن بن عوف : نعم.

وراح رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام سرا وجهرا، فاستجاب لله عزوجل من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن بالله تعالى وسادات قريش غير منكرين ما جاء به .. حتى دخل دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى فأخذ المسلمون يصلون ويتفقهون فى أمور دينهم فى دار الإسلام (كانت دار الأرقم على جبل الصفا وتطل على البيت الحرام) . ولما عاب النبى عليه الصلاة والسلام آلهة قريش (اللات والعزى و ..) ناصبوا رسول الله ﷺ ومن تبعه العداء .. وأنزلوا بمن آمن بالله ورسوله العذاب.

هجرته إلى الحبشة .. ثم إلى يثرب :

لما رأى النبى عليه الصلاة والسلام ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن عمه أبى طالب وأنه لا يقدر على أن يمنع أتباعه مما هم فيه من البلاء قال لهم:

– لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة، فركبوا سفينة فروا بدينهم إلى الله. كانوا عشرة من بينهم عبد الرحمن بن عوف فكانت أول هجرة فى الإسلام. وكانت الحبشة هى المستقر الآمن الذى وجد به أصحاب رسول الله ﷺ المضطهدون فى صدر الإسلام مأمنا وإيواء ودارا، فقد استقبلهم النجاشى ملك الحبشة أحسن استقبال، وبعد أن مكث المهاجرون ثلاثة أشهر عند النجاشى بلغهم أن النبى عليه الصلاة والسلام قد قارب قريشا ودنا منهم ودنوا منه، وأن أهل مكة قد سجدوا وأسلموا، حتى أن الوليد بن المغيرة وأبا أحيحة (سعيد بن العاص) قد سجدا خلف رسول الله ﷺ فقال المهاجرون :

– فمن بقى بمكة إذا أسلم هؤلاء؟

وقالوا : عشائرنا أحب إلينا ..

وخرجوا من الحبشة راجعين إلى أم القرى حتى إذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش وعن حالهم فقال الركب :

– ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأثم ارتد عنها فعاد فشتم آلهتهم وعادوا له بالشر فتركناهم على ذلك.

فائتمر مهاجرو الحبشة فى الرجوع إلى أرض الحبشة .. وقال عبد الرحمن ابن عوف :

– قد بلغنا ندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من أراد بأهله ثم يرجع.

فلما علمت قريش بمقدم المهاجرين. نصبت لهم شباكها فلم يدخل أحد منهم مكة إلا بجوار، إلا عبد الله بن مسعود فإنه مكث يسيرا ثم رجع إلى الحبشة.

وأنزلت قريش بالمسلمين الهول والعذاب، فجاء أصحاب رسول الله ﷺ النبى عليه الصلاة والسلام ما بين مضروب ومشجوج فيتأثر لهم ويقول ﷺ :

– اصبروا.

ونفد صبر أصحاب رسول الله ﷺ فجاءت جماعة منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وقدامة بن مظعون و .. وقد نزل بهم أذى كبير فقالوا :

– يا نبى الله كنا فى عز ونحن مشركون فلما آمنا ضربنا وأوذينا فأذن لنا فى قتال هؤلاء المشركين.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : كفوا أيديكم عنهم.

ورأى رسول الله ﷺ أن بعض المسلمين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بينهم على الحق والمساواة، فاخى بين أبى بكر وعمر بن الخطاب وآخى بين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن محمد (زيد بن حارثة) وبين عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف و ..

واشتدت كل قبيلة على من أسلم منها وسطت عشائر المهاجرين بهم، ولقوا منهم أذى شديدا فأذن رسول الله ﷺ فى الخروج إلى أرض الحبشة مرة ثانية فهاجر عبد الرحمن بن عوف إلى الحبشة ومعه اثنان وثمانون من أصحاب رسول الله ﷺ.

ووجد المهاجرون فى الحبشة الأمن والأمان والاستقرار وحمدوا جوار النجاشى وعبدوا الله وحده لا يخافون على ذلك شيئا، ونسوا أنهم تركوا المال والأهل والدور فى مكة ليفروا بدينهم إلى الله عز وجل.

وكان عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان والزبير بن العوام و.. ينطلقون إلى اليمن فيعملون بالتجارة فى الشتاء ليلتقوا بالخارجين من قريش ليتحسسوا أخبار رسول الله ﷺ وأصحابه أو ليخلوا ببعض المسلمين الذين خرجوا فى قافلة قومهم.

وعلم مهاجرو الحبشة أن النبى عليه الصلاة والسلام قد بايع الأوس والخزرج وآوى (استند إلى قوم أهل حرب وتحمل) وقد منعه خزرج يثرب مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم فانطلق عبد الرحمن بن عوف وعامر بن ربيعة وامرأته ليلى بنت أبى حثمة وعبد الله بن جحش و.. إلى مكة واستفحلت عداوة

قريش ضراوة لما أيقنوا أن النبى عليه الصلاة والسلام قد بايعه الأنصار وقبلوه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف وعودة كثير من مهاجرى الحبشة.

ونال أصحاب رسول الله ﷺ من الشتم والأذى ما لم يكونوا ينالونه .. واشتد البلاء عليهم وصاروا ما بين مفتون فى دينه وبين معذب من أيدى المشركين، فشكوا إلى رسول الله ﷺ : واستأذنوه فى الهجرة فمكث أياما لا يأذن لهم .. ثم قال ﷺ :

– لقد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب.

وأذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة فقال :

– من أراد أن يخرج فليخرج إليها (يثرب).

فهاجر عبد الرحمن بن عوف بعد أن هاجر أبو سلمة المخزومى وعامر بن ربيع وامرأته ليلى بنت أبى حثمة .. ثم هاجر أصحاب رسول الله ﷺ أرسالا ولحق بهم النبى عليه الصلاة والسلام وأبو بكر الصديق. ونزل عبد الرحمن بن عوف على سعد بن الربيع فى بلحارث بن الخزرج.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار :

ولما بنى رسول الله ﷺ مسجده وحجراته دخل بيت أبى طلحة (زيد بن سهل بن الأسود) زوج أم سليم (أم أنس بن مالك) وأرسل إلى خمسين من المهاجرين وخمسين من رجال الأنصار وآخى بينهم فآخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصارى فقال :

– يا أبا محمد أنا أكثر أهل المدينة مالا فانظر شطر مالى فخذه وتحتى امرأتان فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها لك (فانظر أيتهما أحببت حتى أخالعها فإذا حلت فتزوجها).

فقال عبد الرحمن بن عوف :

– أخى بارك الله لك فى أهلك ومالك. لا حاجة لى فى أهلك ومالك دلونى على السوق.

كان عبد الرحمن بن عوف تاجرا ناجحا أكثر ما يكون النجاح، مضرب المثل في عفة النفس والاعتماد على الله عز وجل واهتمامه بأن يأكل من عمل يده .. فذهب إلى السوق، لقد كان خبيرا بالأسواق قادرا على الكسب دون أن يكون كلا على أحد فاشترى وباع فربح فجاء بشئ من أقط وسمن ثم لبث أياما .. وجاء وعليه عباءة فلما رآه النبى عليه الصلاة والسلام تساءل:

– مهيم ياعبد الرحمن؟

فقال عبد الرحمن بن عوف : يارسول الله تزوجت امرأة من الأنصار ..

فقال رسول الله ﷺ : فما أصدقتها؟

قال أبو محمد : وزن نواة من ذهب ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أولم ولو بشاة ..

وخط رسول الله ﷺ الدور بالمدينة فخط لبنى زهرة فى ناحية من مؤخر المسجد فكان لعبد الرحمن بن عوف الحش (نخل صغار لا يسقى).

صفتــه:

كان عبد الرحمن بن عوف طويلا أبيض مشربا حمرة حسن الوجه دقيق البشرة لا يخضب، أعين (واسع العينين) أهدب أقنى، له جمة أسفل من أذنيه طويل النابين الأعليين أعنق (طويل العنق) ضخم الكتفين غليظ الأصابع.

جهاده في سبيل الله :

منذ أن نطق عبد الرحمن بن عوف بشهادة الحق وهب نفسه وماله لرفع راية الإسلام، فلما فرض الصيام على المسلمين فى السنة الثانية من الهجرة (قبل وقعة بدر) سمع أبو محمد النبى عليه الصلاة والسلام يتحدث عن فضل صوم شهر رمضان فقال ﷺ :

– شهر رمضان شهر كتب عليكم صيامه وسننت لكم قيامه ومن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

وسمع أبو محمد النبى عليه الصلاة والسلام يقول :

– إن الله تعالى قد افترض عليكم صوم رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا ويقينا كان كفارة لما مضى.

وكان عبد الرحمن بن عوف المؤمن الأريب الذى يأبى أن تذهب حظوظه من الدنيا بحظوظه من الدين، وكان سباقا إلى الجهاد فى سبيل الله، وطلب الشهادة، فقد كان يعلم أن سنام الإيمان الجهاد فى سبيل الله .. فخرج يوم بدر يحمل سيفه فهو من المجاهدين العظام والمقاتلين الأشداء .. وكان أبو محمد يقدر الصبيان المجاهدين.يقول عبد الرحمن بن عوف :

– نظرت يوم بدر عن يمينى وعن شمالى فإذا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما فتمنيت أن أكون بين أضلع منهما فغمزنى أحدهما فقال :

– أى عم هل تعرف أبا جهل؟

قلت : نعم فما حاجتك إليه يا ابن أخى؟

قال الغلام (معاذ بن عمرو بن الجموح):

– أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ، والذى نفسى بيده لئن رأيته لا يفارق سوادى سواده حتى يموت الأعجل منا (الأقرب أجلا).

وغمزنى الغلام الآخر (معاذ بن عفراء) وقال :

– أى عم هل تعرف أبا جهل؟

فقلت له : نعم فما حاجتك إليه؟

قال معاذ بن عفراء (معاذ بن الحارث):

– بلغنى أنه كان يسب رسول الله ﷺ، والذى نفسى بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده (أى شخصى شخصه) حتى يموت الأعجل منا.

فعجبت لذلك (لحرص كل منهما على قتل أبى جهل وإخفائه على صاحبه ليكون المختص به).

ولم ألبث أن نظرت إلى أبى جهل يزول فى الناس (يتحول من محل إلى محل) فقلت للغلامين:

- ألا تريان؟ هذا صاحبكما الذى تسألان عنه.

فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه .. ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبرا فقال :

- أيكما قتله؟

فقال كل منهما : أنا قتلته..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : هل مسحتما سيفيكما؟

قالا : لا.

فنظر رسول الله ﷺ فى السيفين وقال: كلاكما قتله .. وقضى بسلبه لمعاذ ابن الجموح .. ثم قال :

- يرحم الله ابنى عفراء فإنهما قد أشتركا فى قتل فرعون هذه الأمة ورأس أئمة الكفر..

فقيل : يارسول الله من قتله معهما؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : الملائكة.

وكتب الله النصر لرسوله والمؤمنين فى أول وقعة بين الحق والضلال.

وهزم المشركون فقتل منهم سبعون رجلا، وفر رجال قريش فراح المسلمون يأسرون فريقا منهم (أسروا سبعين رجلا) وألقوا دروعهم وأسيافهم .. فبينما كان عبد الرحمن بن عوف يحمل أدراعا فرأى أمية بن خلف ومعه ابنه على يساق كما تساق الإبل فلما وقع بصره على صديقه عبد الرحمن بن عوف قال بأعلى صوته مستنجداً:

- ياعبد عمرو.

فلم يجبه عبد الرحمن بن عوف. كيف يناديه باسمه الأول؟ ألم يتفق معه عقب إسلامه أن يناديه بعبد الإله؟

وتذكر أمية بن خلف فقال : ياعبد الإله.

فقال أبو محمد : نعم.

فقال أمية بن خلف :

- هل لك فيّ فأنا خير لك من هذه الأدرع (يعنى الأسر والفداء) التى معك..

فقال عبد الرحمن بن عوف : نعم.

فطرح الأدراع من يده وأخذ بيد أمية بن خلف وبيد ابنه على فقال أمية بن خلف :

- ما رأيت كاليوم قط.

ثم تساءل أمية بن خلف : ياعبد الإله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره؟

قال عبد الرحمن بن عوف : ذلك حمزة بن عبد المطلب.

فقال على بن أمية بن خلف : فمن رجل دحداح قصير معلم بعصابة حمراء؟

قال عبد الرحمن بن عوف : ذاك رجل من الأنصار يقال له سماك بن خرشة (أبو دجانة).

فقال على بن أمية : وبذاك أيضا يا أبا محمد صرنا اليوم جزرا لكم.

وبينما عبد الرحمن بن عوف يسوق أمية بن خلف أمامه ومعه ابنه على إذ بصر به بلال بن رباح وهو يعجن عجينا له فترك العجين وجعل يفتل يديه منه فتلا ونادى بأعلى صوته :

- يا معشر الأنصار أمية بن خلف رأس الكفر لا نجوت إن نجا ..

لقد تذكر بلال الأيام التى كان أمية بن خلف يعذبه فيها ويسقيه الهول فى رمضاء مكة .

وأقبل الأنصار فأحاطوا بأمية بن خلف وابنه على، وسل رجل سيفه من غمده وضرب عليا فقتله وألقى عبد الرحمن بن عوف نفسه على أمية ليمنعه من أسياف الأنصار، ولكن سيفى معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد بن حبيب اشتركا فى قتل أمية بن خلف.

فنظر عبد الرحمن بن عوف إلى بلال بن رباح وإلى أمية بن خلف وقال :

– رحم الله بلالا أذهب أدرعى وفجعنى فى أسيرى.

ويوم أحد ثبت عبد الرحمن بن عوف حين انكشف المسلمون، فلما تفرقوا ثبت رسول الله ﷺ وجماعة من أصحابه، فلما رأى النبى عليه الصلاة والسلام تفرق صفوف المسلمين فى كل وجه سأل عن عبد الرحمن بن عوف فقال الحارث ابن الصمة:

– نعم رأيته إلى جنب الجبل وعليه عسكر من المشركين فهويت إليه لأمنعه فرأيتك يارسول الله فعدت إليك.

قال رسول الله ﷺ : إن الملائكة تمنعه.

فذهب الحارث بن الصمة إلى جنب الجبل فوجد عبد الرحمن بن عوف بين يديه سبعة رجال من المشركين صرعى فتساءل الحارث بن الصمة.

– ظفرت يمينك يا أبا محمد أكل هؤلاء قتلت؟

قال عبد الرحمن بن عوف : أما هذا الأرطأة بن شرحبيل وهذان فأنا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره.

فقال الحارث بن الصمة : صدق الله ورسوله.

وجرح عبد الرحمن بن عوف يوم أحد إحدى وعشرين جراحة، وجرح فى رجله فكان يعرج بها وسقطت ثنيتاه. ولم يمنعه هذا العرج عن الجهاد فى سبيل الله وإرضاء ربه.

وشهد أبو محمد مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق وبنى قريظة.

ولما ماتت أم عبد الرحمن بن عوف (الشفاء بنت عوف) تساءل أبو محمد:

– يارسول الله أعتق عن أمى؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم.

فأعتق عبد الرحمن بن عوف عن أمه فجاءت فيها سنّة العتق عن الميت.

وكان عبد الرحمن بن عوف كثير الإنفاق فى سبيل الله عز وجل، فقد أعتق فى يوم واحد ثلاثين عبداً، وكان حريصا على المعرفة، سأل النبى عليه الصلاة والسلام يوما عن فضل العالم على العابد فقال رسول الله ﷺ له:

– فضل العالم على العابد سبعون درجة مابين كل درجة كما بين السماء والأرض.

ودخل عبد الرحمن بن عوف يوما مسجد رسول الله ﷺ فرأى النبى عليه الصلاة والسلام خارجا من المسجد فأتاه يمشى وراءه ولا يشعر به، ثم دخل ﷺ نخلا فاستقبل القبلة فسجد وأطال السجود وأبو محمد وراءه حتى ظن أن الله توفاه فأقبل يمشى حتى جاء وطأطأ رأسه ينظر فى وجهه ﷺ فرفع رأسه وتساءل:

– مالك يا عبد الرحمن؟

قال أبو محمد : لما أطلت السجود يارسول الله خشيت أن يكون الله توفى نفسك فجئت أنظر ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إنى لما رأيتنى دخلت النخل لقيت جبريل فقال : أبشرك أن الله عز وجل يقول : من سلم عليك سلمت عليه، ومن صلى عليك صليت عليه.

ويقول عبد الرحمن بن عوف : إن رسول الله ﷺ خرج علينا يوما وفى وجهه البشر، فقال إن جبريل جاءنى فقال لى : أبشر يا محمد بما أعطاك الله من أمتك وما أعطى أمتك منك من صلى عليك صلاة صلى الله عليه ومن سلم عليك سلم الله عليه.

وذات ضحى كان رسول الله ﷺ جالسا فى مسجده ومعه أبو هريرة فاطّلع على بن أبى طالب وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان وأبو بكر وعبد الرحمن ابن عوف فلما رآهم ﷺ قد وقفوا عليه تبسم ضاحكا وقال :

– جئتمونى تسألوننى عن شئ إن شئتم أعلمكم وإن شئتم فاسألونى..

قالوا : بل تخبرنا يارسول الله.

قال النبى عليه الصلاة والسلام : جئتم تسألوننى عن الصنائع لمن يحق؟ لا ينبغى صنيع إلا لذى حسب أو دين، وجئتم تسألوننى عن جهاد الضعيفين : الحج والعمرة، وجئتم تسألوننى عن جهاد المرأة إن جهاد المرأة حسن التبعل لزوجها، وجئتم تسألوننى عن الأرزاق من أين؟ أبى الله أن يرزق عبده إلا من حيث لا يعلم.

وقال عبد الرحمن بن عوف : يانبى الله لمن شفاعتك؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : شفاعتى مباحة إلا لمن سب أصحابى..

وفى شهر شعبان سنة ست من الهجرة علم رسول الله ﷺ أن بدومة الجندل (بلدة بينها وبين دمشق خمس ليال وهى أقرب بلاد الشام إلى المدينة) جمعا كثيرا يظلمون من مر بهم، فندب رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف وقال له :

– تجهز فإنى باعثك فى سرية من يومك هذا ومن الغد إن شاء الله تعالى.

ثم أمره أن يسرى من الليل فى سبعمائة من أصحابه، فراحوا يتجهزون، وعسكروا خارج مدينة رسول الله ﷺ فلما آن وقت السحر جاء أبو محمد النبى عليه الصلاة والسلام وقال :

– أحببت يارسول الله أن يكون آخر عهدى بك.

لقد كان للنبى عليه الصلاة والسلام فى عبد الرحمن بن عوف ثقة عظيمة، وكان على رأس أبى محمد عمامة غليظة فنقضها رسول الله ﷺ بيده وعممه بيده وأسدلها بين كتفيه ثم قال ﷺ :

– سر باسم الله. اغز باسم الله. وفى سبيل الله، فقاتل من كفر، ولا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليدا فهذا عهد الله وسنة نبيكم فيكم.

ثم أردف النبى عليه الصلاة والسلام :

– إذا استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم (الأصبع بن عمرو الكلبى).

وسار أبو محمد ومن معه إلى دومة الجندل ليدعو أهلها إلى الإسلام فقد اعتنق ملكهم النصرانية، وقدمت سرية عبد الرحمن بن عوف دومة الجندل

فذهب إلى قصر الأصبغ بن عمرو الكلبى، ودعاه وقومه إلى الإسلام فأسلم وأسلم معه ناس كثيرون، فتزوج ابنته تماضر فهى أول كلبية نكحها قرشى (وهى أم أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الفقيه).

ورأى النبى عليه الصلاة والسلام فى النوم أنه دخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين (بعضهم محلق وبعضهم مقصر) وأنه دخل البيت الحرام وأخذ مفتاحه وعرّف مع المعرفين (طاف هو وأصحابه) واعتمر .. فلما أخبر النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه فرحوا وهفت نفس عبد الرحمن ابن عوف إلى أم القرى والبيت الحرام ..

فخرج عبد الرحمن بن عوف مع رسول الله ﷺ وأصحابه فبايعه بيعة الرضوان وشهد صلح الحديبية.

وذات يوم كان أبو محمد جالسا فى مسجد رسول الله ﷺ مع جماعة من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام فطلع عليهم رسول الله ﷺ وأعطاهم جميعا مالا ولم يعط عبد الرحمن بن عوف فظن أبو محمد أن النبى عليه الصلاة والسلام لم يعطه سخطا عليه فحزن لذلك حزنا شديدا ولقيه عمر بن الخطاب فسأله :

– ما بك يا أبا محمد؟

فأخبره عبد الرحمن بن عوف .. فدخل عمر بن الخطاب على النبى عليه الصلاة والسلام وسأله عن الأمر فقال له رسول الله ﷺ :

– ليس بى سخط عليه ولكنى وكلته لإيمانه .

فلما سمع أبو محمد ذلك ذهب ما به من حزن وخر لله ساجدا.

ولازم عبد الرحمن بن عوف رسول الله ﷺ فأخذ عنه الكثير من فقه وتعاليم وتشريعات، وكان من الذين إذا سمعوا فقهوا وعملوا .. استمع أبو محمد إلى النبى يوما يقول :

ـ من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين .

وأصغى إلى رسول الله ﷺ وهو يقول :

ـ الناس معادن خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا.

وذات ضحى خرج النبى عليه الصلاة والسلام على أصحابه وهم جلوس فى المسجد فقال :

– أريت أنى دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدى فقلت : من هذا ياجبريل؟

فقال : بلال المؤذن، فنظرت فإذا أعالى أهل الجنة الفقراء المهاجرون وذرارى المؤمنين، وإذا فيها ليس أقل من الأغنياء والنساء فقلت : مالى لا أرى فيها أحدا أقل من الأغنياء والنساء؟ فقال لى : أما الأغنياء فإنهم على الباب يحاسبون ويمحصون، وأما النساء فألهاهن الأحمران الذهب والحرير، فخرجنا من أحد الثمانية أبواب فإذا أنا بالميزان فوضعت فى كفة وأمتى فى كفة فرجحت بها ثم جئ بأبى بكر فوضع فى كفة وأمتى فى كفة فرجح بها ثم جئ بعمر فوضع فى كفة وأمتى فى كفة فرجح بها ثم جعلوا يعرضون على أمتى رجلا رجلا فاستبطأت عبد الرحمن بن عوف فلم أره إلا بعد إياسة فلما رآنى بكى، قلت : عبد الرحمن ابن عوف ما يبكيك؟ قال : والذى بعثك بالحق ما رأيتك حتى ظننت أنى لا أراك أبدا إلا بعد المشيبات قلت : وما ذاك؟ قال : من كثرة مالى ما زلت أحاسب بعدك وأمحص.

فلما سمع عبد الرحمن بن عوف قول رسول الله ﷺ ملأ الخوف قلبه فهو شديد الخشية من الله تبارك وتعالى على الرغم من أنه سيد ماله ولم يكن عبده. إنه لم يبدأ التجارة برأس مال (فى المدينة فقد هاجر من مكة وليس معه مال) ولكنه جد وجهد بالثقة والأمانة فى البيع والشراء والصدق والإخلاص والقناعة بالربح القليل فتدفق المال فى يديه .. حتى أنه قال :

– لو رفعت حجرا من مكانه لوجدت تحته ذهبا (مالا).

وقد سأله بعض أصحابه : يا أبا محمد بم أدركت فى التجارة ما أدركت ؟

قال عبد الرحمن بن عوف: لأنى لم أشترمعيبا ولم أرد ربحا كثيرا والله يبارك لمن يشاء.

لقد كانت نظرته إلى المال على أنه عرض زائل ومتاع فانٍ، وكان يستخدمه في الإنفاق في سبيل الله.

وخرج عبد الرحمن بن عوف مع رسول الله ﷺ وجيش المسلمين وشهد فتح حصون خيبر وكان يجاهد بماله ونفسه في سبيل الله.

ورغم كثرة مال عبد الرحمن بن عوف فقد كان يلبس من الثياب الخشن حتى شكا إلى رسول الله ﷺ كثرة القمل فقال :

– يارسول الله تأذن لي أن ألبس قميصا من حرير؟

فأذن له النبي عليه الصلاة والسلام.

وشهد أبو محمد مع رسول الله ﷺ عمرة القضاء وفتح مكة، وبينما كان النبي عليه الصلاة والسلام مقيما بها أرسل خالد بن الوليد في ثلاثمائة وخمسين رجلا من المهاجرين والأنصار ومن بني سليم إلى جذيمة (كانوا في الجاهلية قد قتلوا عمي خالد بن الوليد الفاكه وأخا الفاكه كما قتلوا والد عبد الرحمن بن عوف فقد كانوا شر حي، وكانوا يسمون لعقة الدم) فلما علموا بمقدم خالد بن الوليد وبني سليم (كانوا قد قتلوا منهم مالك بن الشريد وأخويه في موطن واحد) خافوا فلبسوا السلاح فلما انتهى إليهم خالد تلقوه فقال لهم:

– ما أنتم (أمسلمون أم كفار)؟

قالوا : صبأنا صبأنا (مسلمون مسلمون، ولكنهم لم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا) وصدقنا بمحمد ﷺ وبنينا المساجد في ساحتنا وأذنّا فيها وصلينا ..

فتساءل خالد بن الوليد : فألقوا السلاح (سلاحكم) وانزلوا .

قالوا : لا والله مابعد وضع السلاح إلا القتل ما نحن بآمنين لك ولا لمن معك..

قال خالد بن الوليد : فلا أمان لكم إلا أن تنزلوا.

فنزلت فرقة منهم فأسرهم . وتفرقت بقية القوم وأمر خالد أصحابه أن يضعوا السلاح في أسرى جذيمة فقتلوهم .. فلما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام

ما فعل خالد أنكر عليه ما صنع. وكان بين خالد وعبد الرحمن بن عوف كلام فقال عبد الرحمن بن عوف:

– عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام..

فقال خالد بن الوليد : إنما أخذت بثأر أبيك.

فقال له عبد الرحمن بن عوف : كذبت أنا قتلت قاتل أبى ..

ثم أردف أبو محمد : كيف تأخذ مسلمين بقتل رجل فى الجاهلية؟

قال خالد بن الوليد: ومن أخبركم أنهم أسلموا؟

قال عبد الرحمن بن عوف :

– أهل السرية كلهم أخبروا بأنك قد وجدتهم بنوا المساجد وأقروا بالإسلام.

قال أبو سليمان : جاءنى أمر رسول الله ﷺ أنى أغير ..

قال عبد الرحمن بن عوف : كذبت على رسول الله ﷺ وإنما أخذت بثأر عمك الفاكه.

قال خالد بن الوليد : تستطيلون (أصحاب رسول الله ﷺ السابقون إلى الإسلام) علينا بأيام سبقتمونا بها؟

فبلغ ذلك النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– مهلا يا خالد، دع عنك أصحابى، فو الله لو كان لك أحد (جبل أحد) ذهبا فأنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل منهم ولا روحة من غدوات أو روحات عبد الرحمن.

لقد ظن خالد بن الوليد أن خذيمة قالوا : صبأنا على سبيل الأنفة وعدم الانقياد إلى الإسلام وأنه ﷺ إنما أنكر عليه العجلة وترك التثبت فى أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم : صبأنا.

وكره أبو محمد داره التى كان يعيش فيها فى الجاهلية، فكان إذا أتى مكة كره أن ينزل منزله الذى هاجر منه فقد كان يذكره بعادات الجاهلية الممقوتة وصورها المرذولة .. يذكره بالظلم للضعفاء واحتقار العبيد واضطهاد المستضعفين من المسلمين فى الإسلام كبلال بن رباح وعبد الله بن مسعود وصهيب بن سنان الرومى.

وفى السنة التاسعة للهجرة أمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ إلى غزو الروم فقال عليه الصلاة والسلام :

– أيها الناس إنى أريد الروم ..

فأعلمهم، على الرغم من أنه قلَّ ما كان يخرج فى وجه من مغازيه إلا أظهر أنه يريد غيره، غير أنه فى غزوة تبوك أعلن عنها صراحة، وذلك فى زمان من البأس وشدة من الحر وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار والناس يحبون المقام فى ثمارهم ويكرهون الشخوص عنها.

وأمر رسول الله ﷺ بالجهاز فراحوا يتجهزون وحثهم على النفقة فى سبيل الله، وحثهم على الحمل فى سبيل الله، فتصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله، وحمل على خمسمائة فرس وخمسمائة راحلة .. وخرج جيش المسلمين لملاقاة جيش الروم، فلما كان المسلمون بين الحجر وتبوك عسعس الفجر، وذهب النبى عليه الصلاة والسلام ليتوضأ ومعه المغيرة بن شعبة الثقفى .. فأبطأ عن الناس فأقيمت الصلاة وتقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بالناس فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى عبد الرحمن بن عوف وهو يصلى بالناس أراد أبو محمد أن يتأخر فأومأ إليه النبى عليه الصلاة والسلام أن مكانك فصلى وصلى رسول الله بصلاة عبد الرحمن بن عوف.

وكان عبد الرحمن بن عوف يصلى قبل الظهر صلاة طويلة فإذا سمع الأذان شد عليه ثيابه وخرج إلى المسجد.

وذات يوم كـ ان عبد الرحمن بن عوف يصلى خلف رسول الله ﷺ فلما انتهى من صلاته رأى نخامة فى قبلة – جدار – المسجد فتناول ﷺ حصاة فحكها ثم قال :

- إذا تنخم أحدكم فلا يتنخمن قبل وجهه - لأن الله عز وجل قبل وجهه- ولاعن يمينه وليبزق عن شماله أو تحت قدمه اليسرى.

وذات ضحى قال رسول الله ﷺ لأصحابه:

- تصدقوا فإنى أريد أن أبعث بعثا.

فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال : يارسول الله عندى أربعة آلاف، ألفان أقرضتهما ربى وألفان لعيالى.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

- بارك الله لك فيما أعطيت وبارك الله لك فيما أمسكت.

وبات رجل من الأنصار فأصاب صاعين من تمر فقال :

- يارسول الله إنى أصبت صاعين من تمر صاع لربى وصاع لعيالى .

فلمزه المنافقون وقالوا : ما أعطى مثل الذى أعطى ابن عوف إلا رياء..

وقالوا : لم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا.

فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين﴾[1]..

يدخل الجنة زحفا :

وذات يوم قال رسول الله ﷺ لأبى محمد : يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفا فأقرض الله عز وجل يطلق لك قدميك.

فتساءل عبد الرحمن بن عوف : وما الذى أقرض الله؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : تتبرأ مما أمسيت فيه ..

فقال عبد الرحمن بن عوف : من كله أجمع يارسول الله ؟

قال رسول الله ﷺ : نعم..

فخرج أبو محمد وهو يهم بذلك. فأتى جبريل النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

---

(١) سورة التوبة الاية ٧٩.

- مر ابن عوف فليضف الضيف وليطعم المسكين وليعط السائل فإذا فعل ذلك كانت كفارة لما هو فيه.

ولما فارق الزبير بن العوام أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط .. قال لها النبى عليه الصلاة والسلام :

- انكحى سيد المسلمين عبد الرحمن بن عوف.

فلما انقضت عدتها تزوجته وولدت له إبراهيم وحميدا.

وقال رسول الله ﷺ : أول من يدخل الجنة من أغنياء أمتي عبد الرحمن بن عوف، والذى نفس محمد بيده لن يدخلها إلا حبوا.

وذهب عمر بن الخطاب مع رسول الله ﷺ يوما إلى بيت على بن أبى طالب فوجد ريحانتى النبى عليه الصلاة والسلام الحسن والحسين يبكيان جوعا، ويتضرعان فتساءل رسول الله ﷺ :

- من يصلنا بشئ؟

فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حيس (تمر يخلط بسمن وأقط) ورغيفان بينهما إهالة (دسم اللحم) فقال النبى عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن ابن عوف:

- كفاك الله أمر دنياك، فأما آخرتك فأنا لها ضامن.

إنفاقه فى سبيل الله:

وتصدق عبد الرحمن بن عوف فى عهد رسول الله ﷺ بشطر ماله أربعة آلاف، ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله عز وجل، ثم حمل ألفا وخمسمائة راجلة فى سبيل الله، وكان عموم ماله من التجارة ..

وقيل أن قوله تعالى : ﴿الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1] نزلت فى عبد الرحمن بن عوف وكرام صحابة رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٢.

يقول أنس بن مالك (خادم رسول الله ﷺ) : بينما أم المؤمنين عائشة فى بيتها إذ سمعت صوتا رجت منه المدينة فقالت :

– ماهذا؟

قالوا : إنها قافلة لعبد الرحمن بن عوف جاءت من الشام تحمل تجارة له ..

فتساءلت أم المؤمنين عائشة : قافلة تحدث كل هذه الرجة؟

قالوا : أجل يا أم المؤمنين إنها سبعمائة راحلة..

فقالت أم المؤمنين عائشة : أما إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا.

ونقل بعض أصحابه مقالة أم المؤمنين عائشة فأتاها وثبا وهرولة فسألها عما بلغه فحدثته. فقال أبو محمد:

– فإنى أشهدك أنها بأحمالها وأقتابها وأحلاسها فى سبيل الله.

لقد كان عبد الرحمن بن عوف يعمل بقوله تعالى : ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾(١) ..

إن للمال فتنة وغرورا، ولكن أبا محمد لم يَغْتر، فقد كان يعى ويفقه معنى قوله تعالى : ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد﴾(٢) فكان سباقا إلى مغفرة من الله ورضوان وجنة عرضها السماوات والأرض ببذل ماله فى سبيل الله وتحرير الرقيق. يقول جعفر بن برقان :

– بلغنى أن عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألفا من العبيد.

---

(١) سورة القصص الاية ٧٧.

(٢) سورة الحديد الاية ٢٠.

في عهد أبي بكر :

وإذا كان الصحابى الجليل عبد الرحمن بن عوف يفتى فى عهد رسول الله ﷺ ففى خلافة أبى بكر كان الخليفة الأول إذا نزل به أمر يريد فيه مشاورة أهل الرأى وأهل الفقه دعا رجالا من المهاجرين والأنصار: عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وعبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت. وكل هؤلاء كان يفتى فى خلافته وإنما يصير فتوى الناس إلى هولاء. ولما أراد الصديق أن يغزو الروم (فتح الشام) دعا أكابر الصحابة واستشارهم.

ولما مرض أبو بكر الصديق بعث إلى عبد الرحمن بن عوف فقال له : إنى لا آسى على شئ إلا على ثلاث فعلتهن ووددت أنى لم افعلهن، وثلاث لم أفعلهن ووددت أنى فعلتهن، وثلاث وددت أنى سألت رسول الله ﷺ عنهن : وددت أنى يوم السقيفة (يوم أن بايع الناس أبا بكر خليفة للمسلمين فى سقيفة بنى ساعدة) كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين : أبى عبيدة بن الجراح أو عمر فكان أميرا وكنت وزيرا . وددت أنى حيث وجهت خالدا إلى الشام كنت وجهت عمر إلى العراق فأكون قد بسطت يدى يمينا وشمالا فى سبيل الله. وأما الثلاث التى وددت أنى سألت عنهن رسول الله ﷺ فوددت أنى سألته فيمن هذا الأمر فلا ينازعه أهله ووددت أنى كنت سألته هل للأنصار فى هذا الأمر شئ؟

ودخل أبو محمد على أبى بكر فى مرضه الذى توفى فيه فقال :

- السلام عليك ياخليفة رسول الله .

فرد أبو بكر الصديق السلام .. ثم قال :

رأيت الدنيا قد أقبلت ولما تقبل وهى جائية، وستتخذون ستور الحرير ونضائد الديباج، وتألمون ضجائع الصوف (النضيدة وهى الوسادة) الأزربى، كأن أحدكم على حسك السعدان، ووالله لأن يقدم أحدكم فيضرب عنقه - فى غير حد - خير له من أن يسبح فى غمرة الدنيا.

ولما ثقل المرض بأبى بكر بعث إلى عبد الرحمن بن عوف فقال له :

- أخبرنى عن عمر بن الخطاب :

فقال عبد الرحمن بن عوف : ما تسألنى عن أمر إلا وأنت أعلم به منى.

فقال أبو بكر : وإن.

قال عبد الرحمن بن عوف : هو -والله - أفضل من رأيك فيه ..

ثم دعا أبو بكر عثمان بن عفان وسأله عن عمر بن الخطاب فقال ذو النورين:

- علمى به أن سريرته خير من علانيته وأنه ليس فينا مثله.

فقال أبو بكر : يرحمك الله والله لو تركته ما عدوتك.

وشاور الصديق عبد الرحمن بن عوف وعثمان وأبا الأعور سعيد بن زيد وأسيد بن حضير فقال :

- اللهم أعلمه الخيرة بعدك، يرضى للرضى، ويسخط للسخط، الذى يسر خير من الذى يعلن، ولم يل هذا الأمر أحد أقوى عليه منه.

وسمع بعض أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام بدخول عبد الرحمن بن عوف وعثمان وسعيد بن زيد وأسيد بن حضير على أبى بكر وخلوتهم به فقال قائل منهم (من أصحاب رسول الله ﷺ):

- ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظته؟

فقال أبو بكر : أجلسونى. أبا الله تخوفوننى؟ خاب من تزود من أمركم بظلم، أقول: اللهم استخلفت عليهم خير أهلك أبلغ عنى ما قلت لك من ورائك.

في خلافة الفاروق :

وكتب أبو بكر كتابا استخلف فيه عمر بن الخطاب .. وبايع الناس أمير المؤمنين عمر.

واستخلف عمر بن الخطاب بن عوف على الحج سنة ولى الخلافة فخرج أبو محمد بأمهات المؤمنين، وحمل على هوادجهن الطيالسة ونزل بهن فى الشعب الذى ليس له منفذ وكان يقول وهو يطوف حول الكعبة : - اللهم قنى شح نفسى ..

فتساءل سعيد بن جبير : من هذا الرجل؟

قيل له : عبد الرحمن بن عوف.

ودخل أبو محمد على أم المؤمنين أم سلمة بنت زاد الركب يوما فقال لها :

- يا أمة لقد خفت أن يهلكنى مالى.أنا أكثر قريش مالا ..

قالت أم المؤمنين أم سلمة : يا بنى أنفق فإنى سمعت رسول ﷺ يقول : إن من أصحابى من لايرانى بعد أن أفارقه.

فخرج عبد الرحمن بن عوف من عندها فلقى أمير المؤمنين عمر وأخبره فجاء عمر ودخل على أم المؤمنين أم سلمة فسألها:

- بالله منهم أنا؟

قالت أم المؤمنين أم سلمة : لا والله ولن أبرئ أحدا بعدك (ولن أقول لأحد بعدك).

ودخل عبد الرحمن بن عوف على أمير المؤمنين عمر ومعه ابنه محمد وعليه قميص من حرير فقام عمر فأخذ بجيبه فشقه إلى سفله فقال أبو محمد :
- غفر الله لك لقد أفزعت الصبى فأطرت قلبه.

قال أمير المؤمنين عمر : تكسونهم الحرير؟

قال عبد الرحمن بن عوف : أما علمت أن رسول الله ﷺ أحله لى؟

فقال أمير المؤمنين عمر : إنما أحله لك لأنك شكوت إليه القمل.

ودخل خالد بن الوليد على أمير المؤمنين عمر وعلى خالد قميص حرير فقال عمر :

- ما هذا ياخالد؟

قال أبو سليمان : وما باله يا أمير المؤمنين؟ أليس قد لبسه ابن عوف (عبد الرحمن).

وقال عمر بن الخطاب : فأنت مثل ابن عوف؟ ولك مثل ما لابن عوف؟

ثم نظر أمير المؤمنين عمر إلى الجالسين حوله وقال :

- عزمت على من فى البيت إلا أخذ كل واحد منهم طائفة مما يليه ..

فمزقوا قيص خالد الحريرى حتى لم يبق منه شئ .

وباع عبد الرحمن بن عوف أرضه (كيدمة) وهى سهمه من بنى النضير بأربعين ألف دينار قسمها على الفقراء من بنى زهرة (كانت آمنة بنت وهب أم النبى عليه الصلاة والسلام من بنى زهرة) وفى ذى الحاجة من الناس وفى أمهات المؤمنين، فلما بعث إلى عائشة بنت أبى بكر بنصيبها من ذلك قالت :

- من أرسل هذا ؟

قيل لها : عبد الرحمن بن عوف ..

قالت أم المؤمنين عائشة : إن رسول الله ﷺ قال : لا يحنو عليكن بعدى إلا الصابرون، سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة.

أجرأ الناس على أمير المؤمنين عمر :

وإذا كان المسلمون يهابون أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد كان عبد الرحمن بن عوف أجرأ الناس على الفاروق، فذات يوم اجتمع على بن أبى طالب وعثمان بن عفان والزبير بن العوام، فقالوا :

- ياعبد الرحمن، لو كلمت أمير المؤمنين للناس فإنه يأتى الرجل طالب الحاجة فتمنعه هيبتك أن يكلمك فى حاجته حتى يرجع ولم يقض حاجته.

فدخل أبو محمد على أمير المؤمنين عمر فقال له :

– ياأمير المؤمنين لن للناس فإنه يقدم القادم فتمنعه هيبتك أن يكلمك فى حاجته حتى يرجع ولم يكلمك..

قال الفاروق عمر : ياعبد الرحمن أنشدك الله أعلى وعثمان وطلحة والزبير وسعد أمروك بهذا؟

قال عبد الرحمن بن عوف : اللهم نعم ..

قال أمير المؤمنين عمر : يا عبد الرحمن، والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله فى اللين، ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله فى الشدة فأين المخرج؟

قال أبو محمد : أف لهم بعدك ..

وقام يبكى ويجر رداءه.

وكان أمير المؤمنين عمر يتجر وهو خليفة، وجهز عيرا إلى الشام فبعث إلى عبد الرحمن بن عوف يستقرضه أربعة آلاف درهم فقال لرسول عمر : قل له: يأخذها من بيت المال ثم ليردها ..

فعاد الرسول وأخبر أمير المؤمنين عمر بما قال أبو محمد، فشق ذلك على الفاروق فلقى عبد الرحمن بن عوف فقال له :

– أنت القائل : ليأخذها (أربعة آلاف درهم) من بيت المال؟ فإن مت قبل أن تجئ قلتم : أخذها أمير المؤمنين دعوها وأوخذ بها يوم القيامة؟ لا ولكن أردت أن آخذها من رجل حريص شحيح مثلك فإن مت أخذها من مالى.

وجمع أمير المؤمنين عمر ذوى الرأى من المسلمين وشاورهم فى حد الخمر فاختلفوا فى القليل والكثير، إنها مضيعة للعقول ومجلبة للمآثم ورأس الكبائر، ولذلك حرمها الإسلام تحريما قاطعا فقال تبارك وتعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون* إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾..(١)

---

(١) سورة المائدة آية ٩٠ – ٩١.

فقال عبد الرحمن بن عوف : إنى أرى أن نجلد شارب الخمر ثمانين جلدة.

فأخذ عمر بن الخطاب برأيه.

أبو محمد .. يفتي ..

وخرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى الشام حتى إذا كان بسرع لقيه أمراء الأجناد : أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء (الطاعون .. طاعون عمواس) قد وقع بأرض الشام فقال عمر لأبى عبيدة : ادع لى المهاجرين ..

فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا فقال بعضهم:

- قد خرجت لأمر ولا نرى أن نرجع عنه.

وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء.

فقال أمير المؤمنين عمر : ارتفعوا عنى ..

ثم قال لأبى عبيدة بن الجراح : ادع لى من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ..

فدعوهم ولم يختلف عليه رجلان فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء.

فنادى أمير لمؤمنين عمر فى الناس : إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه.

فتساءل أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله؟

فقال أمير المؤمنين عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان إحداهما خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصب رعيتها بقدر الله وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟

فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال : إن عندى فى هذا علما سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا سمعتم به (الوباء : الطاعون) بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه.

فقال عمر بن الخطاب : الحمد لله..

ثم انصرف راجعا إلى المدينة ..

أهل الشوري :

وذات صباح خرج عمر بن الخطاب إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت جاء فكبر ..

ودخل أبو لؤلؤة المجوسى فى الناس وفى يده خنجر له رأسان نصابه فى وسطه فضرب أمير المؤمنين عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته .. ثم قتل كليب بن أبى البكير الليثى وكان خلفه فلما وجد عمر حر السلاح سقط وقال :

- أفى الناس عبد الرحمن بن عوف؟

قالوا : نعم يا أمير المؤمنين .. هو ذا..

فقال أمير المؤمنين لأبى محمد : تقدم فصل بالناس ..

فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح ثم احتمل فأدخل داره ..

فدعا عبد الرحمن بن عوف فقال له : إنى أريد أن أعهد إليك ..

قال عبد الرحمن بن عوف : يا أمير المؤمنين نعم إن أشرت على قبلت منك .. وما تريد ؟

أنشدك الله أتشير على بذلك ؟

قال عمر بن الخطاب : اللهم لا.

قال أبو محمد : والله لا أدخل فيه أبدا ..

قال أمير المؤمنين عمر : فهب لى صمتا حتى أعهد إلى النفر الذين توفى رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. إذ قال عليه الصلاة والسلام قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى بأيام :

– أيها الناس .. إن أبا بكر لم يسؤنى قط فاعرفوا له ذلك. أيها الناس .. إنى راض عن عمر وعلى وعثمان وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين فاعرفوا لهم ذلك .

ثم طلب أمير المؤمنين عمر من عبد الرحمن بن عوف أن يدعو له : عليا وعثمان والزبير وسعدا .. وكان طلحة بن عبيد الله غائبا عن المدينة .. فلما جاءوا قال عمر :

– انتظروا أخاكم طلحة ثلاثا فإن جاء وإلا فاقضوا (امضوا) أمركم.

وكان هؤلاء الستة أصحاب الشورى الذين جعل أمير المؤمنين عمر الخلافة فيهم .. وقال :

– إنى نظرت فوجدتكم القادة، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم، وقد قبض رسول الله ﷺ وهو عنكم راض، وإنى لا أخاف الناس عليكم ما استقمتم. فإذا أنا مت فتشاوروا ثلاثة أيام ولا يأتى اليوم الرابع إلا وعليكم أمير منكم، وليحضر معكم عبد الله بن عمر مشيرا ولا يكون له من الأمر(الخلافة) شئ.

فاجتمع أصحاب الشورى الذين وضع أمير المؤمنين الأمانة فى أعناقهم .. فقال عبد الرحمن بن عوف :

من يخرج نفسه منها (الخلافة) ويختار للمسلمين؟

كان أبو محمد يريد أن يتنازل أحد الرجال الستة عن حقه فى الترشيح ليكون صوته مرجحا إذا قام خلاف..

فلم يجيبوه إلى ذلك .. فقال عبد الرحمن بن عوف : أنا أخرج نفسى من الخلافة وأختار للمسلمين.

فلم يجيبوه إلى ذلك، وكذلك خلع الزبير نفسه وتنازل عن حقه فيها لعلى بن أبى طالب، وتنازل سعد بن أبى وقاص عن حقه أيضا .. فانحصر الأمر بين عثمان وعلى .. وفوض عبد الرحمن بن عوف فى اختيار أحدهما .. فأجرى أبو محمد شورى واسعة واستفتاء على على بن أبى طالب وعثمان بن عفان بين أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام .. فأخذ يذرع مدينة رسول الله ﷺ ويقرع أبواب دورها يستشير الناس ويجمع رأى المسلمين عامهم وقادتهم جميعا وأشتاتا مثنى وفرادى ومجتمعين سرا وجهرا حتى خلص إلى النساء المحجبات فى بيوتهن، وحتى سأل الولدان فى المكاتب، وسأل الركبان الوافدين على المدينة. ثم أرسل عبد الرحمن بن عوف فى طلب عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب فقدما عليه فأقبل عليهما وقال لهما :

- إنى سألت الناس عنكما فلم أجد أحدا يعدل بكما أحدا.

ثم أخذ عبد الرحمن بن عوف العهد على كل منهما لئن ولاه ليعدلن ولئن ولى عليه ليسمعن وليطيعن. ثم خرج أبو محمد بعلى بن أبى طالب وعثمان بن عفان إلى المسجد وقد لبس العمامة التى عممه بها رسول الله ﷺ يوم أن خرج أميرا فى سرية دومة الجندل، وتقلد سيفا وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ونودى فى الناس كافة :

- الصلاة جامعة .

وتراص الناس حتى غص بهم المسجد، ولم يجد ذو النورين موضعا يجلس فيه إلا فى أخريات الناس (كان رجلا حييا فقد قال رسول الله ﷺ : (عثمان حيى تستحى منه الملائكة) ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله ﷺ فدعا دعاء طويلا ثم قال :

- أيها الناس إنى سألتكم سراً وجهرا فلم أجدكم تعدلون بعلى وعثمان أحدا.

ثم تساءل أبو محمد : هل لكم أن أختار لكم وأنتقى منها؟

فقام على بن أبى طالب وقال : يا أبا محمد أنا أول من يرضى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنت أمين فى أهل السماء وأمين فى أهل الأرض.

فقال عبد الرحمن بن عوف : فقم إلى ياعلى ..

فقام إليه وأخذ عبد الرحمن بن عوف بيده وسأله :

– هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبى بكر وعمر؟

قال على بن أبى طالب : على كتاب الله وسنة نبيه واجتهاد رأيى ..

ثم قال أبو محمد : قم إلى ياعثمان.

فقام إليه فأخذ بيده وقال :

– هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبى بكر وعمر؟

فقال ذو النورين : اللهم نعم ..

فرفع عبد الرحمن بن عوف رأسه إلى سقف المسجد ويده فى يد عثمان وقال :

– اللهم فاسمع واشهد .. اللهم إنى قد جعلت ما فى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان.

وازدحم الناس على عثمان بن عفان .. فبايعوه.

وكانت أول يد شدت على يد أمير المؤمنين عثمان بن عفان يد على بن أبى طالب .. وتتابع المسلمون جميعا فبايعوا عثمان بن عفان أميرا للمؤمنين.

أدى عبد الرحمن بن عوف الأمانة التى وضعها عمر فى رقبته فإنه لم ينس يوم أن سئل النبى عليه الصلاة والسلام عن ألين شئ فى الدين وعن أشده فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

ألين شئ فى الدين : أشهد أن الله لا إله الله وأن محمدا رسول الله وأشد شئ فى الدين هو الأمانة.

خشية الله عز وجل :

وذات يوم أتى بطعام لأبى محمد وكان صائما فلما حان موعد إفطاره نظر إلى الطعام وقال :

– قتل مصعب بن عمير وهو خير منى فكفن فى برده، إن غطى رأسه بدت رجلاه وإن غطيت رجلاه بدا رأسه. قتل حمزة وهو خير منى فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة. ثم بسط الله لنا من الدنيا ما بسط (أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا).

ثم جعل يبكى حتى ترك الطعام.

لقد كان عبد الرحمن بن عوف يخاف من ربه تبارك وتعالى ذلك الخوف الذى يتمثل أمامه فى كل لحظة من حياته فقد سمع النبى عليه الصلاة والسلام وهو يقول :

– أنا أعلمكم بالله وأخشاكم لله وأتقاكم له.

فى عهد ذى النورين :

ومضت السنون الأولى من خلافة أمير المؤمنين عثمان على خير ما كان يرجى لها أن تمضى فى عهد خليفة .. ثم رأى عبد الرحمن بن عوف وأبو ذر وعمار بن ياسر وبعض الصحابة أن أمير المؤمنين عثمان قد أعطى مروان بن الحكم خمس خراج أفريقيا والحارث بن أبى العاص ثلاثمائة ألف درهم وأن بنى أمية قد صار لهم كل شئ فذهبوا إلى أمير المؤمنين عثمان وحدثوه فى ذلك فرفع صوته على عبد الرحمن بن عوف فقال :

– لأى شئ ترفع صوتك وقد شهدت بدرا ولم تشهد وبايعت رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ولم تبايع وفررت يوم أحد ولم أفر .. فقال أمير المؤمنين عثمان :

– أما قولك : أنك شهدت بدرا ولم أشهد فإن رسول الله ﷺ خلفنى على ابنته (كان زوجا لرقية آنذاك) وضرب لى بسهم وأعطانى أجرى. وأما قولك : بايعت رسول الله ﷺ فإنه ﷺ بعثنى إلى أناس من المشركين وقد علمت ذلك فلما احتبست ضرب بيمينه على شماله فقال : هذه لعثمان بن عفان فشمال رسول

الله ﷺ خير من يميني، وأما قولك : فررت يوم أحد ولم أفر فإن الله تعالى قال : ﴿إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا ولقد عفا الله عنهم﴾[1] فلمَ تعيرني بذنب قد عفا الله عنه؟.

وقدم رجل مدينة رسول الله ﷺ فقال :

– دلوني على عبد الرحمن بن عوف.

فقيل له : إنه بالجرف (على بعد ثلاثة أميال من المدينة) في أرضه ..

فجاء الرجل أبا محمد فوجده يحول الماء بمسحاة في يده واضعا رداءه فسلم عليه فرد عبد الرحمن بن عوف السلام فقال الرجل :هل جاءكم إلا ما جاءنا وهل علمتم إلا ما قد علمنا ؟

قال عبد الرحمن بن عوف : ما جاءنا إلا ما جاءكم وما علمنا إلا ما علمتم.

فقال الرجل : فما لنا نزهد في الدنيا وترغبون فيها ، ونخف في الجهاد وتتثاقلون عنه ،وأنتم خيارنا وسلفنا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

فقال أبو محمد: إنه لم يأتنا إلا ما جاءكم ولم نعلم إلا ما قد علمتم ولكنا أبتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر.

لقد اعترف الصحابي الجليل بتقصيره في طاعة ربه عز وجل .. على الرغم من حياته الحافلة بالسخاء والكرم والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس و..

وكان عبد الرحمن بن عوف نعم الجليس، فقد خرج على جماعة من المسلمين يوما فجلس معهم فأتي بصفحة فيها خبز ولحم فلما وضعت بكى أبو محمد فقال إياس الهذلي :

يا أبا محمد ما يبكيك؟

قال عبد الرحمن بن عوف : هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ولا أرانا أخرنا لها (الآخرة) لما هو خير منها.

ولقد روى عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ وعن عمر بن الخطاب وروى عنه أولاده : إبراهيم وحميد وعمرومصعب وأبوسلمة وحفيده (ابن ابنه) المسور

---

(١) سورة آل عمران الاية ١٥٥.

ابن إبراهيم وابن أخته المسور بن مخرمة وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وجبير بن مطعم وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك ومالك بن أوس وعبد الله بن عامر بن ربيعة وآخرون.

وفاته:

كان الصحابي الجليل يذكر الموت كثيرا ويستعد له .. فلما مرض كتب وصيته، يقول عبد الله بن عباس:

- مرض عبد الرحمن بن عوف فأوصى بثلث ماله فصح فتصدق بذلك.

ثم مرض فكتب وصيته وقال : يا أصحاب محمد ﷺ كل من بقى من أهل بدر له أربعمائة دينار .

وأوصى لكل امرأة من أمهات المؤمنين بمبلغ كبير وأوصى فى السبيل بخمسين ألف دينار ..

وأخذ مائة رجل من أهل بدر حتى أمير المؤمنين عثمان وعلى بن أبى طالب أربعمائة دينار..

وكان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدى الرجال منه وثلاثة آلاف شاة ومائة فرس وألف بعير وعشرون ناضحا (جملا يحمل الماء).

ومرض عبد الرحمن بن عوف فأغمى عليه فصاحت امرأته فلما أفاق قال :

- أتانى رجلان فقالا : انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين فلقيهما رجل فقال: لا تنطلقا به فإنه سبقت له السعادة فى بطن أمه.

ومات أبو محمد أحد العشرة الذين بشروا بالجنة وأحد صحابة النبى عليه الصلاة والسلام الذى مات وهو عنهم راض، وأحد الرجال الستة الذين جعل عمر فيهم الخلافة (أصحاب الشورى) وقد توفى سنة إحدى وثلاثين وقيل اثنتين وثلاثين من الهجرة وهو ابن خمس وسبعين سنة.

ووضع سعد بن أبى وقاص سرير عبد الرحمن بن عوف على كاهله وحمله وصلى عليه أمير المؤمنين عثمان بن عفان كما أوصى .. فقال على بن أبى طالب :

– اذهب بن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت زيفها.

وقال سعد بن أبى وقاص وهو بين عمودى سرير عبد الرحمن بن عوف:

–واجبلاه..

وقال عمرو بن العاص : اذهب عنك بن عوف فقد ذهبت ببطنتك ما تغضغض منها من شئ.

ودفن بالبقيع .. قرير العين مع الأبرار من أصحاب رسول الله ﷺ.

سعد بن أبى وقاص

«سعد خالى، فليرنى امرؤخاله»

حديث نبوى شريف

خال رسول الله ﷺ :

كان أول من رمى بسهم فى سبيل الله .. ويقول :

– أنا أول رجل من العرب رمى بسهم فى سبيل الله فى الغزو وعند القتال.

وكان أول من أراق دما فى سبيل الله.

وكان أحد الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة.

وأحد العشرة سادات الصحابة ..

وأحد الستة أهل الشورى الذين أخبر عنهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قد توفى وهو عنهم راض.

وكان النبى عليه الصلاة والسلام إذا رآه مقبلا أقبل عليه وقال مفاخرا: سعد خالى فليرنى امرؤ خاله ..

فمن هذا الذى يفخر به سيد الخلق ﷺ؟

هو سعد بن أبى وقاص (اسم أبى وقاص مالك بن أهيب) بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشى الزهرى .. كان سعد بن أبى وقاص بن عم السيدة آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ . وأهل الأم أخوال.

وقبل أن يشرح الله عز وجل صدر سعد للإسلام رأى رؤيا .. رأى فى المنام كأنه فى ظلمة لا يبصر شيئا إذ أضاء له قمر فاتبعه فكأنه ينظر إلى من سبقه .. فنظر إلى زيد بن حارثة وإلى على بن أبى طالب وإلى أبى بكر وكأنه يسألهم :

– متى انتهيتم إلى هذا ؟

فقالوا : الساعة.

فقام من نومه قلقا .. ورأت أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس (بنت عم أبى سفيان بن حرب) قلق ابنها فقالت له :

– ما بك؟ ألم تذهب إلى اللات وسجدت للآلهة البارحة قبل أن تنام؟

قال سعد : لا..

فنظرت إليه فى عتاب كيف لا يذهب إلى الصنم الرابض فى البيت ويتضرع إليه؟ إنها كثيرا ما توصى سعدا وأخاه عامر بن أبى وقاص بالصلاة للآلهة شكرا

اتقاء لشرهم فى الدنيا وجلبا للرزق وإطالة العمر على الأرض .. فكانت حمنة بنت سفيان مؤمنة بآلهتها يضيق صدرها بأية بادرة تسئ إلى دين آبائها.

فقالت حمنة بنت سفيان : هيا أنت وأخوك فقد أعددتِ لكما الطعام ..

ومد الطعام فجلس سعد وأخوه عامر إلى جوار أمهما فراح سعد يطعمها أطيبه .. لقد كان يحبها وكان بارا بها ويعطف عليها .

ولما فرغ من طعامه طلبت منه أن يذهب إلى الصنم الموجود فى البيت ليؤدى له صلاته .. ولأول مرة يجد سعد تثاقلا فى نفسه .. كان يفكر فى هذا القمر الذى أنار له ظلمته وفى زيد وعلى وأبى بكر الذين سبقوه إلى هذا النور.

ولأول مرة رأى سعد إلهه حجرا نحته الناس ثم عبدوه .. فرماه بنظرة احتقار ومشى إلى عمله .. كا ن يبرى النبل لفرسان قريش الذين يخرجون للقنص.

وأقبل خالد بن الوليد فارس بنى مخزوم وحمزة بن عبد المطلب سيد شباب مكة ونوفل بن خويلد أسد قريش و .. شباب مكة المولع بالصيد ليبروا سهامهم ودار بينهم حديث حول صيد الغزلان وصيد الحسان .. ولكن سعدا كان غائبا عنهم فى التفكير فى الرؤيا التى رآها البارحة.

إسلامه :

وأقبل أبو بكر بعد أن انصرف خالد وحمزة ونوفل للهو والقنص وقبل أن يروى سعد بن أبى وقاص رؤياه لأبى بكر قال :

– جئتك ياسعد فى أمر ذى بال..

فتساءل سعد : وما هو ؟

قال أبو بكر : أنت يا سعد أعلم الناس بمحمد بن عبد الله ومقدار صدقه وأمانته فأنت خاله وهو منكم ..

فقال سعد بن أبى وقاص : إن محمدا غير متهم فهو يؤدى الأمانة ويصل الرحم ويقرى الضيف ويعين على نوائب الدهر.

فقال أبو بكر بن أبى قحافة : قد نزل على محمد وحى من السماء أخبره أنه نبى هذه الأمة وأمره أن يدعو إلى عبادة الله وحده.

فتساءل سعد : أيكفر باللات والعزى؟

قال أبو بكر : نعم، إنه يدعو إلى التحرر المطلق من عبادة هذه الأصنام التى لا تملك لنفسها شيئا ولا تدفع عن نفسها ضرا.

فتساءل سعد بن أبى وقاص : ومن تبعه على دينه؟

قال أبو بكر : أنا وعلى بن أبى طالب وزيد بن حارثة.

وتذكر سعد رؤياه التى رآها البارحة .. فليس هذا القمر الذى أنار ظلمته إلا محمد بن عبد الله.

فقال سعد بن أبى وقاص فى انفعال : وأين محمد الآن؟

قال أبو بكر : فى شعب أجياد يعبد الله مستخفيا.

فقال سعد بن أبى وقاص : هيا إليه ..

وانطلقا .. حتى بلغا شعب أجياد فلقيا النبى عليه الصلاة والسلام قائما يصلى، فجعل سعد بن أبى وقاص ينظر إليه متعجبا ويتبعه بنظره .. فلما انتهى من صلاته سار أبو بكر وسعد إليه فسلما عليه .. وعرض النبى عليه الصلاة والسلام على سعد الإسلام وقرأ القرآن فأخذ سعد بعذوبة القرآن وفتن برقته وانتشى بحلاوته وكان لجرسه وقع عظيم فى صدره فقال :

– أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

ورجع سعد بن أبى وقاص إلى داره مسرورا . وكأنه خلق من جديد .. وكان عمره تسع عشرة سنة.

القرآن يحيى موقف سعد :

ولما كان الليل قام سعد فاغتسل وراح يصلى العشاء .. وبينما كان ساجدا دخلت عليه أمه فوجدته يهمهم بصوت خاشع خفيض .. أين الصنم الذى يسجد له؟ لماذا لم يعرها انتباها؟ لماذا لم يقبل عليها كعادته؟ لماذا ظل فى همهمته وقيامه وقعوده وسجوده؟ ماذا يقول ؟

أحدثت حمنة بنت سفيان جلبة لتنبه ابنها سعدا إلى مقدمها .. ولكن سعدا ظل فى همهمته ولم يلق التفاتا إلى مقدمها فهتفت :

– سعد ..

فلم يجبها .. فعادت تتساءل : سعد .. ما تفعل؟

ولم يأتها رد ... فازداد غضبها ودهشها .. واندفعت نحوه فوجدته يلتفت يمينا ثم يلتفت شمالا.

وأقبل عليها منشرحا وقال لها : ماذا يا أماه؟

قالت حمنة بنت سفيان : ما كنت تفعل الآن؟

قال سعد بن أبى وقاص : كنت أصلى.

قالت الأم : لمن تسجد؟

قال سعد : أسجد لله رب العالمين.

فقالت حمنة بنت سفيان : ومن رب العالمين؟

قال سعد بن أبى وقاص : الرحمن الرحيم خالق كل شئ . فاطر السماء والأرض..

فتساءلت الأم : أتصلى لإله غير اللات والعزى ومناة وهبل وآلهة آبائك؟

قال سعد بن أبى وقاص : ما آلهتكم إلا أحجار صماء لا تضر ولا تنفع..

فقالت حمنة بنت سفيان فى غضب : أتسفه أحلامنا وأحلام آبائنا ياسعد؟ عد إلى رشدك ودع هذا الدين الذى أحدثت.

فقال سعد بن أبى وقاص : لا يا أمت فإنى لا أدع دينى فإنه دين الحق وإنى أدعوك إليه ..

قالت حمنة بنت سفيان : لا تغضبنى عليك ولا تصبأ فتكونن من الخاسرين ..

قال سعد بن أبى وقاص : إنى لأرجو أن تستمعى إلى عسى أن يهديك ربى إلى الصراط المستقيم ..

قالت الأم : لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى.

فقال سعد بن أبى وقاص : لا تفعلى يا أمه فإنى لا أدع دينى.

وأخفقت جميع محاولات حمنة بنت سفيان لترد ابنها البار بها وتصده عن سبيل الله .. فلجأت إلى الصوم عن الطعام والشراب لتهزم روح ابنها الرحيم بها .. ولكنه لم يبع إيمانه ودينه بشئ حتى لو كان هذا الشئ أمه.

ولبثت حمنة بنت سفيان يوما وليلة لا تأكل فأصبحت وقد جهدت فأقبل بعض أهل سعد يلومونه، أو لعل قلبه يرق ويعود إلى دين آبائه .. ولكنه كان كالطود الأشم، وقال بصوت مرتفع حتى تسمعه أمه:

– والله لو أن لك ألف نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشئ. فكلى إن شئت أولا تأكلى.

فلما رأت أمه إصراره على دينه .. أكلت وشربت .. فأنزل الله تعالى يحيى موقف سعد بن أبى وقاص، قال ﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾ (١).

يقول سعد بن أبى وقاص : ما أسلم أحد فى اليوم الذى أسلمت فيه، ولقد مكثت سبعة أيام وإنى لثلث الإسلام.

لقد أسلم بعد ستة فكان سابع سبعة فى الإسلام .. ويقول سعد : أسلمت قبل أن تفرض الصلاة.

أول دم أريق فى الإسلام :

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يستخفون بصلاتهم فبينما سعد بن أبى وقاص فى شعب من شعاب مكة فى نفر من أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام إذ ظهر عليهم عكرمة بن أبى جهل وعبد الله بن خطل وضرار بن الخطاب وأبو سفيان بن الحارث ونفر من المشركين فنافروهم وعابوا عليهم دينهم حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص عبد الله بن خطل بلحى جمل فشجه .. فكان أول دم أريق فى الإسلام.

وأنذر النبى عليه الصلاة والسلام عشيرته الأقربين . وجهر بدعوته ودعا قريشا إلى عبادة الله عز وجل وحده ونبذ عبادة الأصنام فأعرضوا عنه .. واشتدت عداوتهم له ولأصحابه. وذاق المسلمون صنوف الاضطهاد وهول العذاب ولكنهم ثبتوا على دينهم وهاجر بعض الصحابة إلى الحبشة ولكن سعد بن أبى وقاص ظل بمكة فقد أبى أن يفارق رسول الله ﷺ.

وذات ضحى لقى سعد بن أبى وقاص عمر بن الخطاب متقلدا سيفه متنكبا كنانته (جعلها فى منكبه) فسأله : أين تذهب يابن الخطاب؟

---

(١) سورة لقمان آية ١٥.

قال عمر بن الخطاب : أريد هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وسب آلهتها فأقتله..

فقال سعد بن أبى وقاص : أنت أصغر وأحقر من ذلك، تريد أن تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف أن تمشى على الأرض؟

فقال عمر بن الخطاب : ما أراك إلا وقد صبأت فأبدا بك فأقتلك..

فقال سعد بن أبى وقاص : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله..

فسل عمر بن الخطاب سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا .. ثم أراد سعد أن يصرف عمر بن الخطاب عن أذية النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

- مالك ياعمر لا تصنع هذا بختنك (زوج أختك سعيد بن زيد) وأختك (فاطمة بنت الخطاب)؟

فقال عمر بن الخطاب : صبأ؟

فقال سعد بن أبى قاص : نعم.

فتركه عمر بن الخطاب وسار إلى دار أخته .. فأسلم عمر بن الخطاب.

الحصار .. سنوات الشدة :

وفكر سادات قريش فى سلاح جديد يحاربون به رسول الله ﷺ وأصحابه غير سلاح الاضطهاد والتعذيب الذى فل، فاقترح النضر بن الحارث أن يقتلوا النبى عليه الصلاة والسلام علانية، فلما رأى عمه أبو طالب عمل القوم جمع بنى عبد المطلب وأمرهم أن يدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ويمنعوه ممن أراد قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم فمنهم من فعله حمية ومنهم من فعله إيمانا ويقينا، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا النبى عليه الصلاة والسلام واجتمعوا على ذلك اجتمع أشراف قريش وأجمعوا أمرهم ألا يجالسوهم ولا يبايعوهم ولا يدخلوا بيوتهم حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل.

وكتبوا فى مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق لا يقبلوا من بنى هاشم وبنى عبد المطلب أبدا صلحا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموه للقتل .

ولبث بنو عبد المطلب وبنو هاشم فى شعبهم ثلاث سنين واشتد عليهم البلاء والجهد وقطعوا عنهم الأسواق فلا يتركوا طعاما يقدم مكة ولا بيعا إلا

بادروهم إليه فاشتروه يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم النبى عليه الصلاة والسلام.

يقول سعد بن أبى وقاص : كنا قوما يصيبنا ظلف (بؤسه وشدته وخشونته) العيش مع رسول الله ﷺ وشدته فلما أصابنا البلاء اعترفنا بذلك ومرنا (اعتدنا وداومنا) عليه وصبرنا له. خرجت من الليل أبول وإذا بى أسمع قعقعة شئ تحت بولى فإذا قطعة جلد بعير فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرين ثم أستفها (أخذتها غير ملتوية) وشربت عليها الماء فقويت عليها ثلاثا.

وكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله ﷺ فاضطجع على فراشه حتى يرى ذلك من أراد مكرا به واغتياله فإذا نوم الناس أمر أحد بنيه أو إخوته أو بنى عمه أو سعد بن أبى وقاص فاضطجع على فراش رسول الله ﷺ وأمر النبى عليه الصلاة والسلام أن يأتى بعض فرشهم فينام عليه.

فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بنى عبد مناف ومن بنى قصى ورجال سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بنى هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا بالحق واجتمع أمرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والبراءة منه.

وبعث الله عز وجل على صحيفتهم التى فيها المكر برسول الله ﷺ - الأرضة (دويبة تأكل الخشب) فلحست كل اسم الله عز وجل وبقى ما كان فيها من شرك أو ظلمة أو قطيعة رحم. وأطلع الله عز وجل رسوله على الذى صنع بصحيفتهم فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبى طالب.

فقال أبو طالب : لا والثواقب (النجوم المضيئة) ما كذبنى.

فانطلق يمشى بعصابة (جماعة) من بنى عبد المطلب حتى أتى المسجد الحرام وهو حافل من قريش فلما رأوهم عامدين لجماعتهم أنكروا ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء وأتوهم ليعطوهم رسول الله ﷺ.

فتكلم أبو طالب فقال : قد حدثت أمور بينكم لم نذكرها لكم فأتوا بصحيفتكم التى تعاهدتم عليها فلعله أن يكون بيننا وبينكم صلح (قال أبو طالب ذلك خشية أن ينظروا فى الصحيفة قبل أن يأتوا بها).

فأتوا بصحيفتهم معجبين بها لا يشكون أن رسول الله ﷺ مدفوع إليهم. فوضعوها بينهم وقالوا :

– قد آن لكم أن تقبلوا وترجعوا إلى أمر يجمع قومكم فإنما قطع بيننا وبينكم رجل واحد جعلتموه خطرا لهلكة قومكم وعشيرتكم وفسادهم.

فقال أبو طالب : إنما أتيتكم لأعطيكم أمرا لكم فيه نصف (وسط بيننا وبينكم لافيه حيف علينا ولا عليكم) إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يكذبنى : إن الله عز وجل برئ من هذه الصحيفة التى فى أيديكم ومحا كل اسم هو له فيها وترك فيها غدركم وقطيعتكم إيانا وتظاهركم علينا بالظلم فإن كان الحديث الذى قال ابن أخى كما قال فأفيقوا فو الله لا نسلمه أبدا حتى يموت من عندنا آخرنا وإن كان الذى قال باطلا دفعناه إليكم فقتلتم أو استحييتم.

قال سادات قريش : قد رضينا بالذى يقول.

ففتحوا الصحيفة فوجدوا الصادق المصدوق ﷺ قد أخبر خبرها. فلما رأتها قريش كالذى قال أبو طالب قالوا :

– والله إن كان هذا قط إلا سحر من صاحبكم.

فارتكسوا وعادوا بشر ماكانوا عليه من كفرهم والشدة على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه ..

فقال أبو طالب ومن معه : إن أولى بالكذب والسحر غيرنا فكيف ترون فإنا نعلم أن الذى أجمعتم عليه من قطيعتنا أقرب إلى الجبت والسحر من أمرنا ولولا أنكم أجتمعتم على السحر لم تفسد صحيفتكم وهى فى أيديكم طمس الله ما كان فيها من اسمه وما كان من بغى تركه فنحن السحرة أم أنتم؟

فقال أبو البخترى بن هشام والمطعم بن عدى وزهير بن أبى أمية وزمعة بن الأسود وهشام بن عمرو وكانت الصحيفة عنده :

– نحن برءاء مما فى هذه الصحيفة.

فقال أبو جهل بن هشام : هذا أمر قضى بليل ..

فمزق المطعم بن عدى الصحيفة وذهب إلى داره فلبس السلاح وانطلق معه زمعة بن الأسود وأبو البخترى وزهير بن أبى أمية وهشام بن عمرو إلى شعب أبى طالب .. وخرج النبى عليه الصلاة والسلام ورهطه إلى مكة وخالطوا الناس .

مع رسول الله ﷺ في مكة .. ويثرب:

وكان سعد بن أبى وقاص من أحدّ الناس بصرا فرأى ذات يوم شيئا يزول فقال لمن معه:

– ترون شيئا؟

قال أصحاب رسول الله ﷺ : نرى شيئا كالطائر.

قال سعد بن أبى وقاص : أرى راكبا على بعير.

ثم جاء بعد قليل عم سعد على بختي (جمل) .. فقال سعد :

– اللهم إنا نعوذ بك من شر ما جاء به.

واشتدت عداوة المشركين لرسول الله ﷺ لما علموا أن الأنصار قد بايعوا النبى عليه الصلاة والسلام عند العقبة وانزلوا بأصحابه أشد العذاب فجاء سعد بن أبى وقاص وبعض أصحاب رسول الله ﷺ يشكون فقالوا :

– قد كنا فى عز ونحن مشركون أفنرضى الذلة ونحن مؤمنون؟

فسمح لهم النبى عليه الصلاة والسلام بالهجرة إلى يثرب .. فترك المسلمون دار الشرك وهاجروا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والإخوان والخلان والجيران..لم يكن ذنبهم إلا أنهم آمنوا بالله وحده .. فهاجر سعد بن أبى وقاص وعمير أخوه إلى يثرب فنزلا فى منزل لأخيهما عتبة بن أبى وقاص كان بناه فى بنى عمرو بن عوف وحائط له (كان عتبة أصاب دما بمكة فهرب فنزل فى بنى عمرو بن عوف وذلك قبل حرب بعاث) ... ثم هاجر رسول الله ﷺ ولحق بأصحابه.

وأرق رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال لعائشة بنت أبى بكر :

– ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة.

وبينما هما يتحدثان إذ سمعا خشخشة سلاح فتساءل النبى عليه الصلاة والسلام :

– من هذا؟

قال سعد : سعد بن أبى وقاص.

فتساءل رسول الله ﷺ عن سبب مجيئه فى هذه الساعة فقال سعد :

– وقع فى نفسى خوف على رسول الله فجئت أحرسه ..

فقام النبى عليه الصلاة والسلام فدعا له .. ثم اتجه إلى فراشه فنام ملء جفونه.

ولما استقر المهاجرون فى يثرب واستتب الإسلام بها وقويت شوكته بعث النبى عليه الصلاة والسلام السرايا ليتنسم أخبار قريش وليعلم ما تخبئه له من مفاجآت ليكون على بينة من أمرها حتى لا تدهمه وهو غافل عنها فبعث عبيدة ابن الحارث فى ستين راكبا من المهاجرين منهم سعد بن أبى وقاص (كان ذلك على رأس ثمانية أشهر من الهجرة) ليعترض عيرا لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب، وقيل عكرمة بن أبى جهل وقيل مكرز بن حفص فى مائتى رجل فوافوا العير ببطن رابغ فلم يكن بينهم إلا المناوشة برمى السهام (لم يسلوا السيف ولم يصطفوا للقتال) وكان أول من رمى بسهم من المسلمين فى سبيل الله سعد بن أبى وقاص. فكان سهمه أول سهم رمى به فى الإسلام.

وتقدم سعد أصحابه ونثر كنانته وكان فيها عشرون سهما.

فقال سعد بن أبى وقاص :

الا هل أتى رسول الله أنى حميت صحابتى بصدور نبل
أذود بها عدوهم ذيادا بكل حزونة وبكل سهل
فما يعتد رام من معد بسهم مع رسول الله قبلى

وبعث النبى عليه الصلاة والسلام سعد بن أبى وقاص فى عشرين من المهاجرين على رأس تسعة أشهر من الهجرة وعقد له لواءه الأبيض ليعترض عيرا لقريش.

وخرج سعد بن أبى وقاص فى سرية عبد الله بن جحش إلى بطن نخلة، واعترضوا عيرًا لقريش، وغنموا زبيبا وأدما (جلودا من الطائف) وأمتعة للتجارة.

وأبلى سعد بن أبى وقاص يوم بدر بلاء حسنا، فقد كان أحد الفرسان الشجعان من قريش .. فلما انتهت وقعة بدر بهزيمة المشركين .. تقدم الأسرى

سهيل بن عمرو، وكان سعد بن أبى وقاص قد رماه بسهم فقطع نساءه .. فأتبع أثر الدم حتى وجده قد أخذه مالك بن الدخشم الأنصارى وهو ممسك بناصيته فقال سعد بن أبى وقاص:

– أسيرى رميته..

فقال مالك بن الدخشم : أسيرى أخذته.

فأتيا رسول الله ﷺ .. فأخذه منهما.

وحزن سعد بن أبى وقاص لمقتل أخيه عمير، ولكن الله شفاه من المشركين فقتل سعيد بن العاص وأخذ سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة، فأخذه وذهب إلى النبى عليه الصلاة والسلام وقال له :

– يارسول الله قد شفانى الله اليوم من المشركين فهب لى هذا السيف ..

فقال رسول الله ﷺ : إن هذا السيف لا لك ولا لى ضعه.

فقال سعد بن أبى وقاص : يانبى الله أنفلنيه ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ضعه من حيث أخذته ..

يقول سعد بن أبى وقاص : أخذت السيف ورجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلبى .. فما جاوزت إلا يسيرا حتى نزلت فى أربع آيات :

﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين﴾.

ويعث النبى عليه الصلاة والسلام إلى سعد فلما جاءه قال له : كنت سألتنى السيف وليس هو لى وإنه قد وهب لى فهو لك.

ففرح سعد بذى الكتيفة ..

وظن أهل الشجاعة أن رسول الله ﷺ يخصهم بالغنيمة دون غيرهم من أهل الضعف، فلما أمر النبى عليه الصلاة والسلام أن تقسم بينهم على سواء قال سعد بن أبى وقاص :

– يارسول الله تعطى فارس القوم الذى يحميهم مثل ما تعطى الضعيف؟

فقال رسول الله ﷺ : ثكلتك أمك وهل تنصرون إلا بضعفائكم؟

ورجع أصحاب رسول الله ﷺ إلى يثرب ظافرين منتصرين، وعاد سعد بن أبى وقاص إلى داره وخلع جبته الصوف التى شهد بها بدرا فطواها برفق ووضعها فى مكان أمين.

لقد كان سعد بن أبى وقاص كثير البكاء من خشية الله يسبح بالحصى، وكان إذا سمع رسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه فاضت عيناه بالدمع حتى تكاد دموعه تملأ حجره .. وذات يوم كان رسول الله ﷺ جالسا فى ظل مسجده ومعه بعض أصحابه فنظر إلى وجوههم وقال : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة.

وأخذ أتباع النبى عليه الصلاة والسلام يتلفتون صوب كل اتجاه يستشرفون هذا السعيد الموفق المحظوظ وبعد قليل طلع غليهم سعد بن أبى وقاص.

ورزق الله سعد بن أبى وقاص إسحاق فكان يكنى به.

وعلم رسول الله ﷺ أن قريشا قد أقبلت لقتال المسلمين وقد نزلوا بالقرب من جبل أحد.

فخرج منادى رسول الله ﷺ يدعو المسلمين إلى الخروج للجهاد فى سبيل الله فحمل سعد بن أبى وقاص سيفه وانطلق إلى مسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام فلقى عبد الله بن جحش فقال له :

– جاءت قريش لتثأر لهزيمتها يوم بدر؟

قال سعد بن أبى وقاص : يوم بدر كنا ثلاثمائة وكانوا ألفا ونصرنا الله فقتلنا منهم سبعين رجلا وأسرنا سبعين.

ولما خرج جيش المسلمين إلى أحد قال سعد بن أبى وقاص لعبد الله بن جحش :

– ألا تأتى لندعو الله؟

فجلسا فى ناحية فرفع سعد بن أبى وقاص يديه بحذاء كتفيه وقال : يارب إذا لقيت العدو – قريشا – غدا فلقنى رجلا شجاعا أقتله ثم انصرنى عليه حتى أقتله وآخذ سيفه ودرعه وقوسه و .. فقال عبد الرحمن بن جحش : آمين يارب العالمين ..

ثم دعا عبد الله بن جحش فقال : اللهم ارزقنى غدا رجلا شجاعا أقاتله فيك ويقاتلنى فيقتلنى فيجدع - يقطع- أنفى وأذنى فإذا لقيتك قلت : ياعبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول : فيك وفى رسول الله فتقول : صدقت ..

ولما انتهى القتال وقف سعد بن أبى وقاص على قتلى المسلمين فرأى عبد الله بن جحش مجدوع الأنف والأذنين فتذكر دعاءه .. فقال فى حزن :

- كانت دعوتك خيرا من دعوتى .. أردت بدعوتى عرض الدنيا الزائف - سيف ودرع وقوس رجل من فرسان قريش - وأردت بدعوتك حرث الآخرة. الشهادة والتمثيل بجسدك.

ولما ألتقى الجمعان راح سعد يطيح برءوس المشركين بسيفه وصوته يدوى:

- أمت أمت ..

واستبشر المسلمون بنصر الله .. ولكن رماة المسلمين الذين كانوا يحمون ظهر المسلمين تخلوا عن الجبل وخالفوا أمر رسول الله ﷺ وانصرفوا ليجمعوا غنائم قريش .. فانكشف ظهر جيش المسلمين وظهرت خيل المشركين على الجبل ودارت الدائرة على أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام ووقع بينهم هرج شديد وتفرقوا فى كل وجه .. وثبت سعد بن أبى وقاص مع رسول الله ﷺ الذى شج وجهه وكسرت رباعيته فوقف بجانبه يسدد سهامه إلى المشركين فالتفت رسول الله ﷺ وقال :

- ارم أيها الفتى الحزوّر فداك أبى وأمى .

فجعل سعد يرمى سهامه حتى كسرت القوس فى يده فناوله النبى عليه الصلاة والسلام قوسا أخرى وقال : اللهم سدد رميته وأجب دعوته.

فاستجاب الله عز وجل لدعوة نبيه .. فكان سعد مسدد الرمية .. مستجاب الدعوة.

وحرص سعد بن أبى وقاص على قتل أخيه عتبة بن أبى وقاص حرصا ما حرص مثله على شئ قط فراح يطلبه بين صفوف قريش .. فقال له رسول الله ﷺ :

- ياعبد الله ماتريد؟ أتريد أن تقتل نفسك؟

فكف سعد عن طلب أخيه.

وانتفض جبل أحد فقال رسول الله ﷺ : اسكن فما عليك إلا نبى وصديق وشهيد .

وكان بجانب رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى وطلحة ابن عبيد الله والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل.

وثار المشركون ليوم بدر وعزم أبو سفيان بن حرب على الرحيل .. فأشفق النبى عليه الصلاة والسلام أن يغيروا على المدينةفيهلك الذرارى والنساء فقال لسعد بن أبى وقاص :

– اذهب فأتنا بخبر القوم فإنهم إن ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فهو الظعن إلى مكة. وإن ركبوا الخيل وجنبوا الإبل فهو الغارة على المدينة. والذى نفسى بيده إن ساروا إليها لأسيرن إليهم ثم لأناجزنهم.

وتأهب سعد بن أبى وقاص للانطلاق فى أثر قريش فقال له النبى عليه الصلاة والسلام:

– إن رأيت القوم يريدون المدينة فأخبرنى فيما بينى وبينك ولاتفت فى عضد المسلمين.

فتوجه سعد فى آثار المشركين .. فرآهم قد ركبوا الإبل وجنبوا الخيل فقال فى نفسه :

– إنه الظعن إلى بلادهم .

فلما انصرفوا إلى مكة رجع سعد إلى النبى عليه الصلاة والسلام وهو كالمنكسر فقال :

– وجه القوم يارسول الله إلى مكة .. امتطوا الإبل وجنبوا الخيل.

فقال رسول الله ﷺ : ماتقول ؟

قال سعد بن أبى وقاص : ما قلت يارسول الله..

فخلا به فقال : أحقا ما تقول ؟

قال أبو إسحاق : نعم يارسول الله ..

فتساءل رسول الله ﷺ : فما بالى رأيتك منكسرا؟

قال أبو إسحاق : كرهت أن آتى المسلمين فرحا بقفولهم إلى بلادهم.

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إن سعدا لمجرب.

ولما تليت ﴿يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا﴾[1] عند رسول الله ﷺ قام سعد بن أبى وقاص فقال :

- يارسول الله ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ..

فقال رسول الله ﷺ : ياسعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذى نفسى بيده إن العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به.

فقام رجل وقال : يارسول الله أوصنى..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :- عليك بالإياس مما فى أيدى الناس. وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر. وصل صلاتك وأنت مودع. وإياك وما يعتذر عنه.

وذات يوم كان رسول الله ﷺ جالسا فى ظل مسجده وحوله أصحابه فقال :

- أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟

فقال أبو إسحاق وبعض الصحابة : كيف يكسب ألف حسنة؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة.

ودارت عجلة الزمن وشرح الله قلوب كثير من الناس فقويت شوكة المسلمين .. ولكن قريشا ظلوا يتربصون بأصحاب رسول الله ﷺ الدوائر .. وذات يوم لقى سعد بن أبى وقاص أسيد بن حضير زعيم الأوس فقال له :

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٨.

- أبلغك ما فعله اليهود؟

قال أسيد بن حضير : وما فعلوه يا أبا إسحاق ؟

قال سعد : خرج سلام بن أبى الحقيق النضرى وهوذا بن قيس الوائلى وأبو عمار الوائلى وكنانة بن الربيع أو الحقيق، وحيى بن أخطب فى نفر من بنى النضير حتى قدموا مكة فدعوهم إلى حربنا ..

فقال أسيد بن حضير : من أبلغك هذا؟

قال أبو إسحاق : ترامت الأنباء إلى هنا.

فتساءل أسيد بن حضير : وما فعلت قريش؟

قال سعد بن أبى وقاص : استجابت لدعوة اليهود وخرجوا يقودهم أبو سفيان بن حرب .. أما يهود فقد خرجوا إلى غطفان يحضونهم على قتال رسول الله ﷺ.

فانطلق سعد بن أبى وقاص وأسيد بن حضير إلى النبى عليه الصلاة والسلام وأخبراه بالخبر .. فجمع رسول الله ﷺ أصحابه وشاورهم فى الأمر وقال لهم :

- هل نبرز من المدينة أو نكون فيها ؟

فسكت أصحاب رسول الله ﷺ، لقد أشاروا عليه بالخروج من المدينة يوم أحد وأكرهوه عليه فكانت الهزيمة التى منوا بها. وتمنى أصحاب رسول الله ﷺ لو أن الوحى نزل على النبى عليه الصلاة والسلام بما يفعله وجحافل قريش والعرب يزحفون نحو مدينة رسول الله ﷺ ليطفئوا نور الله بأفواههم .. فقال سلمان الفارسى :

- يارسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا.

لقد اقترح سلمان حفر خندق عميق واسع على طول الجهة المفتوحة من المدينة، وكان ذلك شيئا جديدا على العرب الذين اعتادوا أن يبرز رجل لرجل وأن يقاتلوا يدا بيد.

وركب رسول الله ﷺ فرسا له ومعه سعد بن أبى وقاص وعلى بن أبى طالب والزبير ونفر من الأنصار وسلمان الفارسى وخطط مكان الخندق، واستعار المسلمون من بنى قريظة مساحى وكرارين ومكاتل وراحوا يعملون فى حفر الخندق .. ولما تم حفر الخندق هدأت نفوس المسلمين واطمأنت قلوبهم وعسكروا فيه ينتظرون مقدم عشرة آلاف من الأحزاب.

وأقبلت جموع العرب لقتال النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه، ولكنهم لما رأوا الخندق اربدت وجوههم وانقبضت أفئدتهم وانهارت قصور أمانيهم التى بنوها وقالوا فى غيظ:

- والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

وحاول الأحزاب اجتياز الخندق مرارا ولكن سهام سعد بن أبى وقاص وأصحاب رسول الله ﷺ تردهم على أعقابهم فلم يبق أمامهم إلا أن يضربوا الحصار على المدينة.

ورمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ بسهم فأصاب أكحله (عرق فى وسط الذراع) فقال:

- خذها وأنا ابن العرق (سميت بذلك لطيب عرقها).

فقال رسول الله ﷺ : عرق الله وجهك بالنار.

فرماه سعد بن أبى وقاص بسهم فأصاب جبهته فوقع وانكشفت عورته فضحك النبى عليه الصلاة والسلام حتى بدت نواجذه .. ثم قال ﷺ :

- اللهم استجب لسعد إذا دعاك .

ودعا رسول الله ﷺ ليكشف عنه وأصحابه البلاء فقال : اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم.

فهبت ريح صرصر عاتية اقتلعت خيامهم وطوحت آنيتهم، وألقت الرجال على رحالهم، وأطفأت نيرانهم وأكفأت قدورهم. فهتف أبو سفيان بن حرب بالرحيل.

ورحل الأحزاب فشاع الفرح فى قلوب المسلمين وأظهروا التكبير، فقال سعد للنبى عليه الصلاة والسلام:

- يانبى الله هل تغزونا قريش بعد؟

قال رسول الله ﷺ : الآن نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير إليهم.

وتحققت نبوءة رسول الله ﷺ، فقد خرج مع ألف وخمسمائة من أصحابه معتمرين .. ولكن قريشا لما علمت بمقدمهم صدتهم عن المسجد الحرام .. فانحاز رسول الله ﷺ ومن معه إلى الحديبية .. وبايع سعد بن أبى وقاص النبى عليه الصلاة والسلام بيعة الرضوان وبايعه أصحابه .. وشهد سعد بن أبى وقاص صلح الحديبية وفتح خيبر وعمرة القضاء.

وسأل سعد بن أبى وقاص رسول الله ﷺ عن قوله تعالى ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾[1] فقال النبى عليه الصلاة والسلام:

- هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها .

يقول سعد بن أبى وقاص : لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ ومالنا طعام إلا ورق الشجر حتى يصنع أحدنا كما تصنع الشاة حتى قرحت أشداقنا.

ولقد كان أبو إسحاق أحد الفرسان الشجعان الذين يحرسون رسول الله ﷺ فى مغازيه.

وقدم إلى مدينة رسول الله ﷺ خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو ابن العاص مهاجرين وبايعوا النبى عليه الصلاة والسلام وأسلموا .. ففرح سعد ابن أبى وقاص والمسلمون.

وذات ضحى دخل سعد بن أبى وقاص مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى - أو حصى - تسبح به فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أخبرك بماهو أيسر عليك من هذا - أو أفضل - ؟

فقالت المرأة : نعم يانبى الله ..

---

(١) سورة الماعون آية ٥.

فقال رسول الله ﷺ : قولى : سبحان الله عدد ما خلق فى السماء وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض وسبحان الله عدد مابين ذلك، وسبحان الله عدد ماهو خالق والله أكبر مثل ذلك والحمد لله مثل ذلك ولا إله إلا الله مثل ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك.

ويوم فتح مكة دفع النبى عليه الصلاة والسلام إلى سعد بن أبى وقاص إحدى رايات المهاجرين الثلاث. وتم الفتح المبين. ولكن سعد بن أبى وقاص اشتكى فدخل عليه النبى عليه الصلاة والسلام وهو مريض فقال سعد بن أبى وقاص :

– يارسول الله لقد خشيت أن أموت بالأرض التى هاجرت منها (مكة) كما مات سعد بن خولة فادع الله أن يشفينى ..

فقال رسول الله ﷺ : اللهم اشف سعدا، اللهم اشف سعدا اللهم اشف سعدا..

فقال أبو إسحاق : يارسول الله إن لى مالا كثيرا وليس لى وارث إلا ابنة أفأوصى بمالى كله؟

قال رسول الله ﷺ : لا!

قال سعد بن أبى وقاص : أفأوصى بثلثيه

قال النبى عليه الصلاة والسلام : لا.

فتساءل أبو إسحاق : أفأوصى بنصفه؟

قال رسول الله ﷺ : لا ..

قال سعد بن أبى وقاص : أفأوصى بثلثه؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : الثلث والثلث كثير .. إن نفقتك من مالك صدقة، وإن نفقتك على عيالك لك صدقة، وإن نفقتك على أهلك لك صدقة، وإنك إن تدع أهلك بعيش (بخير) خير من أن تدعهم يتكففون الناس.

وخلف النبى عليه الصلاة والسلام سعد بن أبى وقاص مريضا وخرج لحرب هوازن (غزوة حنين وحصار الطائف).

ولما رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة معتمرا فدخل عليه سعد بن أبى وقاص وهو وجع مغلوب، فقال رسول الله ﷺ لأحد أصحابه:

- ياعمرو بن القارى إن مات سعد بعدى فها هنا ادفنه نحو طريق المدينة ..

وأشار ﷺ بيده هكذا. ثم قال لسعد بن أبى وقاص : إنى لأرجو أن يرفعك الله فينكأ بك أقواما، وينتفع بك آخرون.

ورجع النبى عليه الصلاة والسلام إلى المدينة ومعه سعد بن أبى وقاص وأصحابه.

قال سعد بن أبى وقاص : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لأنا فى فتنة السراء لأخوف عليكم منى فى فتنة الضراء إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم وإن الدنيا حلوة خضرة.

وذات يوم جلس النبى عليه الصلاة والسلام وحوله أصحابه فى مسجده يذكرهم بيوم الوعيد فبكى سعد بن أبى وقاص وقال :

- ليتنى مت ..

فقال رسول الله ﷺ : يا سعد إن كنت للجنة خلقت فما طال عمرك أو حسن من عملك فهو خير لك.

رجل من أهل الجنة :

يقول أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ : بينا نحن جلوس عند رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فاطلع سعد بن أبى وقاص حتى إذا كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فاطلع سعد بن أبى وقاص على مرتبته الأولى حتى إذا كان الغد قال رسول الله ﷺ مثل ذلك فطلع سعد بن أبى وقاص على مرتبته فلما قام رسول الله ﷺ ثار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال : إنى عاتبت أبى فأقسمت على أن لا أدخل عليه ثلاث ليال فإن رأيت تؤوينى حتى تحل يمينى فعلت.

قال أنس بن مالك : فزعم عبد الله بن عمرو أنه بات معه (مع أبى إسحاق) ليلة حتى كان الفجر فلم يقم من تلك الليلة شيئا غير أنه كان إذا انقلب على فراشه ذكر الله وكبره حتى يقوم مع الفجر فإذا صلى المكتوبة أسبغ الوضوء وأتمه ثم يصبح مفطرا .. قال عبد الله بن عمرو فرمقته ثلاث ليال وأيامهن لا يزيد عن ذلك غير أنى لا أسمعه يقول إلا خيرا، فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أحتقر عمله قلت : إنه لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة، ولكنى سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك فيك ثلاث مرات فى ثلاثة مجالس : يطلع عليكم رجل من أهل الجنة فاطلعت أولئك المرات الثلاث، فأردت أن آوى إليك حتى أنظر ما عملك فأقتدى بك فلم أرك تعمل كثير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ فقال (سعد) : ماهو إلا الذى قد رأيت، غير أنى لا أجد فى نفسى سوءا لأحد من المسلمين ولا أقوله .. قال (عبد الله بن عمرو): هذه التى قد بلغت بك وهى التى لا أطيق .

وشهد سعد بن أبى وقاص مع النبى عليه الصلاة والسلام غزوة العسرة (غزوة تبوك).

وعلم المسلمون أن رسول الله ﷺ قد عزم على الحج فأقبلت الوفود على مدينة رسول الله ﷺ أفواجا من كل فج عميق.

وخرج سعد بن أبى وقاص مع النبى عليه الصلاة والسلام ومائة ألف من المسلمين فى الخامس والعشرين من ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة ليؤدوا مناسك الحج مع النبى عليه الصلاة والسلام.

ولما انتهى سعد بن أبى وقاص من مناسك الحج الأكبر نال منه المرض كل منال فعاد إلى داره محموما فأقبل النبى عليه الصلاة والسلام يعوده .. وأمره أن يأتى الحارث بن كلدة طبيب العرب ليستوصفه، وجاء رسول الله ﷺ يعود عبد الرحمن بن عوف أيضا لمرض نزل به فوجد عنده الحارث بن كلدة فقال النبى عليه الصلاة والسلام لعبد الرحمن بن عوف :

– إنى لأرجو أن يشفيك الله حتى يضر بك قوما وينفع بك آخرين ..

ثم قال عليه الصلاة والسلام للحارث بن كلدة:

- عالج سعدا مما به ..

وكان سعد بن أبى وقاص بالمجلس فقال الحارث بن كلدة :

- والله إنى لأرجو شفاءه فيما ينفعه من رجله.

ثم تساءل الحارث بن كلدة:

- هل معك من هذه الثمرة (العجوة) شئ؟

قال رسول الله ﷺ : نعم .

فخلط طبيب العرب ذلك التمر بحلبة ثم أوسعها سمنا ثم أحساه سعد بن أبى وقاص إياه .. فقام وكأنما نشط من عقال.

ولما رجع سعد إلى المدينة رزقه الله بمولود سماه عمر. وفرح بابنه عمر فرحا شديدا ولكنّ هذه الفرحة لم تدم فقد علم أبو إسحاق أن رسول الله ﷺ عاد من حجة الوداع وهو يشتكى فخشى عليه لأنه لم يشك مرضا قبل اليوم.

وذهب سعد بن أبى وقاص إلى بيت النبى عليه الصلاة والسلام ليستفسر عنه فعلم أنه بات أرقا فخرج يسير حول المدينة وذهب إلى مقابر المسلمين (بالبقيع) فاستغفر لأهل المقابر.

ولزم رسول الله ﷺ داره فأخذ سعد بن أبى وقاص يستفسر عنه كل يوم .. وانتقل النبى عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى فملأ الخبر الفاجع قلوب أصحابه حزنا وأحس سعد أن قلبه يغوص ولم تهدأ نفسه إلا عندما تذكر قوله تعالى :

﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا﴾.(١)

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤.

في عصر الخلفاء الراشدين :

وبايع الناس أبا بكر خليفة لرسول الله ﷺ. ولما علمت القبائل بموت النبى عليه الصلاة والسلام امتنعت كثير منها عن دفع الزكاة، وارتدت بنو حنيفة وادعى مسيلمة بن حبيب النبوة و .. وأصبحت المدينة هدفا للإغارة فوقف الخليفة الأول وقال :

– إن الأرض كافرة وقد رأى وفدهم قلة، وإنكم لا تدرون أليلا تؤتون أم نهارا؟ وأدناهم منكم على بريد. وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم وندعهم وقد أبينا عليهم ونبذنا عهدهم فاستعدوا وأعدوا.

فخرج سعد بن أبى وقاص والمسلمون يستعدون للذود عن مدينة رسول الله ﷺ وقد لبسوا عدة القتال. وكان سعد والزبير وطلحة وعلى وعبد الله بن مسعود يحرسون مشارف المدينة .. وهزم الله مانعى الزكاة .. وقتل مدعى النبوةوهزم المسلمون المرتدين. وبعث أبو بكر الجيوش إلى الشام لمحاربة الفرس.

يقول سعد بن أبى وقاص: قال رسول الله ﷺ : أربع من السعادة : المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار الصالح والمركب الهنئ وأربع من الشقاء؟ الجار السوء والمرأة السوء والمركب السوء والمسكن الضيق.

ويقول أبو إسحاق : قال رسول الله ﷺ : من قال حين يسمع الأذان : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا غفر له ذنبه.

ولما مات أبو بكر وولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. وترامى إلى مسمع الفاروق نبأ الهجمات الغادرة التى تشنها قوات الفرس على المسلمين وهزيمتهم فى موقعة الجسر فحزن حزنا شديدا فقام يحث الناس على الجهاد فى سبيل الله ويدعوهم للخروج .. فاستعد الناس وخرج عمر بن الخطاب وعسكر على ماء قريب من المدينة يسمى ضرارا، واستعمل على مقدمة جيشه طلحة بن عبيد الله وعلى ميمنته الزبير بن العوام وعلى ميسرته عبد الرحمن بن عوف. ولقى عثمان بن عفان الفاروق فسأله عما يريد وعما عزم عليه.

فنادى عمر بن الخطاب : الصلاة جامعة.

فاجتمع الناس إليه فأخبرهم أنه قد عزم على الخروج بنفسه لقتال الفرس ..

فقال الناس : سر وسربنا معك ..

فقال أمير المؤمنين عمر : استعدوا وأعدوا فإنى سائر إلى أن يجئ رأى هو أمثل من ذلك.

وبعث الفاروق إلى على بن أبى طالب فلما جاء سأله :

- ماترى يا أبا الحسن أسير أم أبعث؟

فقال على بن أبى طالب : سر بنفسك فإنه أهيب للعدو وأرهب له.

ورأى العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف أن يقيم أمير المؤمنين عمر وأن يبعث إلى العراق .. فقال عمر :

- فمن ترون أن نبعث إلى العراق؟

فقالوا : ليس لها إلا سعد بن أبى وقاص الأسد فى براثنه (الأسد عاديا).

كيف نسى أمير المؤمنين سعد بن أبى وقاص؟ إنه يعلم أنه رجل شجاع ضروب بالسيف را م بالنبل..

بعث الفاروق إلى سعد .. وأخبره أنه أصبح أمير الجيوش المقاتلة فى فارس .. وقال له وهو يوصيه :

- يا سعد بن أهيب، لا يغرنك من الله أن قيل : خال رسول الله وصاحبه فإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته .. والناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء. والله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله بالطاعة فانظر الأمر الذى رأيت رسول الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه فإنه الأمر. هذه عظتى إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك وكنت من الخاسرين.

ولما تجهز سعد بن أبى وقاص وهم بالخروج قال له عمر:

– إنى قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتى فإنك تقدم على أمر شديد كريه لا يخلص منه إلا الحق، فعود نفسك ومن معك الخير واستفتح به، واعلم أن لكل عادة عتادا فعتاد الخير الصبر، فالصبر الصبر على ما أصابك أو نابك يجتمع لك خشية الله، واعلم أن خشية الله تجتمع فى أمرين : فى طاعته واجتناب معاصيه، وإنما أطاعه من أطاعه ببغض الدنيا وحب الآخرة، وعصاه من عصاة بحب الدنيا وبغض الآخرة، وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاء منها السر ومنها العلانية، فأما العلانية فأن تكون حامدة ذامة فى الحق سواء، أما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه بمحبة الناس، فلا تزهد التحبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم، وإن الله إذا أحب عبدا حببه إلى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك.

ثم ختم الفاروق وصيته فقال : اكتب إلى بجميع أحوالكم وكيف تنزلون وأين يكون عدوكم منكم. واجعلنى بكتبك إلى كأنى أنظر إليكم.

وخرج أبو إسحاق فى ثلاثين ألف مقاتل فى أيديهم رماح ولكن فى قلوبهم إرادة الإيمان وشوق صادق إلى الشهادة .. كان سعد يعلم أن أكثر من مائة ألف من الفرس المقاتلين المدربين المدججين بأعظم السلاح فى انتظاره.

ووقف أمير المؤمنين عمر يودع جيشه فقال : إن الله تعالى ضرب لكم الأمثال وصرف لكم القول، ليحيى به القلوب فإن القلوب ميتة فى صدورها حتى يحييها الله. من علم شيئا فلينتفع به، وإن للعدل أمارات وتباشير، فأما الأمارات فالحياء والسخاء واللين. وأما التباشير فالرحمة. وقد جعل الله لكل أمر بابا ويسر لكل باب مفتاحا فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد، والاعتبار ذكر الموت بتذكر الأموات والاستعداد له بتقديم الأعمال، والزهد أخذ الحق من كل أحد قبله حق، وتأدية الحق إلى كل أحد له حق، ولا تصانع فى ذلك أحدا، بينكم وبينى الله وليس بينى وبينه أحد، وإن الله قد ألزمنى رفع الدعاء، واكتف بما يكفى من الكفاف فإن من لم يكفه الكفاف لم يغنه شئ. إنى عنه فأنهوا شكاتكم إلينا فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعتع.

وانطلق جيش سعد بن أبى وقاص إلى أرض العراق. فلما نزل بالقرب من نهر زرود من أرض العرب مما يلى العراق أمده عمر بن الخطاب بأربعة آلاف

مقاتل .. فتحرك جيش سعد حتى بلغ العذيب فنزل بها ووافاه هناك كتاب عمر ابن الخطاب:

ـ أما بعد فإنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحروب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة. وإلا ننصر عليهم بفضلنا فلن نغلبهم بقوتنا، واعلموا أن عليكم فى مسيركم حفظة من الله يعلمون فاستحيوا منهم.

ونزل سعد بن أبى وقاص القادسية وقدم عيونه إلى الحيرة ليأتوا له بالخبر .. ثم بعث السرايا للغارة والإرهاب .. وجاء كتاب عمر بن الخطاب ردا على كتاب سعد:

– أما بعد لا يكربنك ما يأتيك عنهم (الفرس) ولا ما يأتون به، واستعن بالله وتوكل عليه وابعث إليه (رستم) رجالا من أهل النظر والرأى والجلد يدعونه فإن الله جاعل دعاءهم توهينا لهم وفلجا (نصرا وظفرا) عليهم واكتب إلى فى كل يوم.

فأرسل سعد بن أبى وقاص نفرا منهم النعمان بن عمرو بن مقرن، ويسر ابن أبى رهم وحملة بن حوية وحنظلة بن الربيع وفرات بن حيان وعدى بن سهيل وعطارد بن حاجب والمغيرة بن شعبة والأشعث بن قيس والمغيرة بن زرارة ابن النباش الأسدى والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو بن معدى كرب والمثنى بن حارثة إلى يزدجرد دعاة. فخرجوا من العسكر فقدموا على يزدجرد وطووا رستم واستأذنوا على يزدجرد فحبسوا وأحضر وزراءه ورستم معهم واستشارهم فيما يصنع ويقوله لهم. واجتمع الناس ينظرون إليهم وتحتهم خيول كلها صهال وعليهم البرود وبأيديهم السياط فأذن لهم وأحضر يزدجرد الترجمان وقال له :

ـ سلهم من جاء بكم وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا؟ أمن أجل أننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا.

فقال النعمان بن عمرو بن مقرن لأصحابه : إن شئتم تكلمت ومن شاء آثرته..

فقالوا : بل تكلم ...

فقال النعمان بن مقرن : إن الله رحمنا فأرسل إلينا رسولا يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة فلم يدع قبيلة إلا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة، ثم أمر أن نبدأ إلى من خالفه من العرب فبدأ منهم فدخلوا معه على وجهين مكره عليه فاغتبط، وطائع أتاه فازداد، فعرفنا جميعا فضل ما جاء به على الذى كنا عليه من العداوة والضيق، ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسَّن الحسن وقبّح القبيح كله، فإن أبيتم فأمر من الشر أهون من آخر شر منه الجزية. فإن أبيتم فالمناجزة فإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن بذلتم الجزاء قبلنا ومنعناكم وإلا قاتلناكم .

فقال يزدجرد : إنى لا أعلم فى الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددا ولا أسوأ ذات بين منكم، قد كنا نوكل بكم قرى الضواحى فيكفوننا أمركم ولا تطمعوا أن تقوموا لفارس فإن كان غرور لحقكم فلا يغرنكم منا وإن كان الجهد فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكا يرفق بكم.

فأسكت القوم. فقام المغيرة بن زرارة فقال : أيها الملك إن هؤلاء رءوس العرب ووجوههم وهم أشراف يستحيون من الأشراف، وإنما يكرم الأشراف ويعظم حقهم الأشراف، وليس كل ما أرسلوا به قالوه، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه فجاوبنى لأكون الذى أبلغك وهم يشهدون على ذلك لى. فأما ما ذكرت من سوء الحال فهى كما وصفت وأشد ..

اختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر وإن شئت فالسيف أو تسلم فتنجى نفسك.

فقال يزدجرد : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم. لا شئ لكم عندى..

ثم استدعى بوقر من تراب فقال :

– احملوه على أشراف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن. ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنى مرسل إليه رستم حتى يدفنه ويدفنكم معه فى خندق القادسية، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم بأنفسكم بأشد مما نالكم من سابور.

فقام عاصم بن عمرو ليأخذ التراب وقال : أنا أشرفهم أنا سيد هؤلاء ..

فحمل وقر التراب على عنقه وخرج إلى راحلته فركبها وأخذ التراب وقال لسعد بن أبى وقاص:

ـ أبشر فوالله لقد أعطانا الله أقاليد ملكهم.

وأرسل سعد بن أبى وقاص السرايا ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسيلحين فطافت فى السواد.

فبعث سواد بن مالك التميمى وحميصة فى مائة فأغاروا على النهرين وبلغ رستم الخبر فأرسل إليهم خيلا وسمع سعد بن أبى وقاص أن خيله قدأ وغلت فأرسل عاصم بن عمرو وجابر الأسدى فى آثارهم فلقيهم عاصم وخيل فارس تحوشهم ليخلصوا ما بأيديهم فلما رأته الفرس هربوا ورجع المسلمون بالغنائم.

وأرسل رستم إلى سعد بن أبى وقاص : أن ابعث إلينا رجلا نكلمه ويكلمنا.

فدعا سعد جماعة ليرسلهم إلى الفرس فقال ربعى بن عامر:

ـ متى نأتهم جميعا يروا أنا قد احتفلنا بهم فلا تزدهم على رجل .

فأرسله وحده. فسار ربعى بن عامر إليهم. فحبسوه على القنطرة وأعلم رستم بمجيئه فأظهر زينته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والنمارق والوسائد المنسوجة بالذهب، وأقبل ربعى على فرسه وسيفه فى خرقة ورمحه مشدود بعصب وقد. فلما انتهى إلى البسط قيل له :

ـ انزل ..

فحمل فرسه عليها ونزل وربطها بوسادتين شقهما وأدخل الحبل فيهما فلم ينهوه وأروه التهاون. وعليه درع وأخذ عباءة بعيره فتدرعها وشدها على وسطه، فقالوا :

- دع (ضع) سلاحك ..

فقال ربعى بن عامر: لم آتكم فأضع سلاحى بأمركم أنتم دعوتمونى ..

فأخبروا رستم. فقال : ائذنوا له.

فأقبل ربعى بن عامر يتوكأ على رمحه ويقارب خطوه فلم يدع لهم نمرقا ولا بساطا إلا أفسده وهتكه.

فلما دنا رستم جلس على الأرض وركز رمحه على البسط فقيل له :- ماحملك على هذا؟

قال ربعى بن عامر : إنا لانستحب القعود على زينتكم ..

فقال له عبود (ترجمان رستم وهو من أهل الحيرة):

- ما جاء بكم؟

قال ربعى بن عامر : الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه. فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه دوننا ومن أبى قاتلناه حتى نفضى إلى الجنة أو الظفر.

فقال رستم : قد سمعنا قولكم فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟

قال ربعى بن عامر : نعم وإن مما سن لنا رسول الله ﷺ الانمكن الأعداء أكثر من ثلاث فنحن مترددون عنكم ثلاثا فانظر فى أمرك واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل : إما الإسلام وندعك وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك وإن احتجت إلينا نصرناك أو المنابذة فى اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا، أنا كفيل بذلك عن أصحابى..

فتساءل رستم : أسيدهم أنت؟

قال ربعى بن عامر : لا ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم.

فخلا رستم برؤساء قومه وقال : هل رأيتم كلاما قط أعز وأوضح من كلام هذا الرجل؟

قالوا : معاذ الله أن نميل إلى دين هذا الكلب أما ترى ثيابه؟

فقال رستم : ويحكم، لا تنظروا إلى الثياب ولكن انظروا إلى الرأى والكلام والسيرة، إن العرب تستخف باللباس وتصون الأحساب ليسوا مثلكم.

فلما كان من الغد أرسل رستم إلى سعد بن أبى وقاص :

- أن ابعث إلينا ذلك الرجل.

فبعث سعد بن أبى وقاص إليهم حذيفة بن محصن فأقبل فى نحو من ذلك الزى ولم ينزل عن فرسه ووقف على رستم راكبا فقال له : انزل ..

فقال حذيفة بن محصن : لا أفعل.

فقال رستم : ما جاء بك ولم يجئ الأول؟

قال حذيفة بن محصن : إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا فى الشدة والرخاء وهذه نوبتى ..

فقال رستم : ما جاء بكم؟

قال حذيفة بن محصن : الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فاختر واحدة من ثلاث : إما الإسلام وندعك وأرضك أو الجزاء فنقبل ونكف عنك ..

قال رستم : أو الموادعة (المواعدة) إلى يوم ما ..

قال حذيفة بن محصن : نعم ثلاثا من أمس ..

فرده رستم وأقبل على أصحابه فقال : ويحكم أما ترون ما أرى، جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظم وأقام فرسه على زبرجدنا وجاء هذا اليوم فوقف علينا وهو فى يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا.

فلما كان الغد أرسل رستم إلى سعد بن أبى وقاص :

- ابعث إلينا رجلا ..

فبعث سعد المغيرة بن شعبة. فأقبل إليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل إلى صاحبهم حتى يمشى عليها فأقبل المغيرة بن شعبة حتى جلس مع رستم على سريره فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه وقال :

- قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوما أسفه منكم. إنا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أرباب بعض، فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد وإنى لم آتكم ولكن دعوتمونى اليوم. علمت أنكم مغلبون وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول ..

فقالت السفلة : صدق والله العربى..

وقالت الدهاقين: والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه. قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة..

ثم تكلم رستم فحمد قومه وعظم أمرهم وقال :

- لم نزل متمكنين فى البلاد ظاهرين على الأعداء أشرافا فى الأمم فليس لأحد مثل عزنا وسلطاننا ننصر عليهم ولا ينصرون علينا إلا اليوم واليومين والشهر للذنوب. فإذا انتقم الله منا ورضى علينا رد لنا الكرة على عدونا ولم يكن فى الأمم أمة أصغر عندنا أمرا منكم، كنتم أهل قشف ومعيشة سيئة لا نراكم شيئا. وكنتم تقصدوننا (تصدقوننا) إذا قحطت بلادكم فنأمر لكم بشئ من التمر والشعير ثم نردكم، قد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا الجهد فى بلادكم فأنا آمر لأميركم بكسوة وبغل وألف درهم وآمر لكل منكم بوقر تمر وتنصرفون عنا فإنى لست أشتهى أن أقتلكم.

فتكلم المغيرة بن شعبة فحمد الله وأثنى عليه وقال : إن الله خالق كل شئ ورازقه (ووارثه) فمن صنع شيئا فإنما هو يصنعه، وأما الذى ذكرت به نفسك

وأهل بلادك فنحن نعرفه فالله صنعه بكم ووضعه فيكم وهو له دونكم، وأما الذى ذكرت فينا من سوء الحال والضيق والاختلاف فنحن نعرفه ولسنا ننكره. والله ابتلانا به والدنيا دول، ولم يزل أهل الشدائد حتى تنزل بهم. ولو شكرتم ما آتاكم الله لكان شكركم يقصر عما أوتيتم، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغيير الحال، ولو كنا فيما ابتلينا به أهل كفر لكان عظيم ما ابتلينا به مستجابا من الله رحمة يرفه بها عنا، إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسولا فاختر واحدة من ثلاث بعد الأجل : إما الإسلام وندعك وأرضك و.. إن عيالنا قد ذاقوا طعام بلادكم فقالوا : لا صبر لنا عنه.

فقال رستم : إذاً تموتون دونها ..

فقال المغيرة بن شعبة : يدخل من قتل منا الجنة ومن قتل منكم النار ويظفر من بقى منا بمن بقى منكم.

فاستشاط رستم غضبا ثم حلف لا يرتفع الصبح غدا حتى يقاتلهم أجمعين. وانصرف المغيرة بن شعبة وخلص رستم بأهل فارس وقال :

– أين هؤلاء منكم؟ هؤلاء والله الرجال صادقين كانوا أم كاذبين، والله لئن كان بلغ من عقلهم وصونهم لسرهم أن لايختلفوا فما قوم بلغ لما أرادوا منهم ولئن كانوا صادقين فما يقوم لهؤلاء شئ فلجوا وتجلدوا .

وأرسل رستم إلى المغيرة بن شعبة وقال له : إذا قطع القنطرة فأعلمه أن عينه تفقأ غدا ..

فأعلمه الرسول ذلك فقال المغيرة بن شعبة : بشرتنى بخير وأجر ولولا أن أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين لتمنيت أن الأخرى ذهبت..

فرجع الرسول إلى رستم فأخبره فقال : أطيعونى يا أهل فارس إنى لأرى لله فيكم نقمة لا تستطيعون ردها.

وأرسل سعد بن أبى وقاص إلى أمير المؤمنين عمر يستحثه على قتال الفرس فقد تصرمت الشهور ولم يقع قتال بعد، وأرسل يزدجرد إلى رستم يأمره بمناجزة المسلمين، فتأهب سعد بن أبى وقاص فبعث إلى رستم إنذارا أخيرا مع ثلاثة من ذوى الرأى.

واستشعر أبو إسحاق ألما لا يطاق .. إن به عرق النسا ودماميل تمنعه من الجلوس ولا يستطيع أن يركب فرسا أو بعيرا أو ينزل إلى أصحابه .. وجاءه رسول رستم يسأله :

- إما أن تعبر إلينا وإما نعبر إليكم؟

فقال سعد بن أبى وقاص : بلى اعبروا أنتم ..

وأحس أبو إسحاق ضيقا أنه لن يستطيع أن يشترك فى أول معركة بينه وبين الفرس، إنه يود أن يلقى المشركين كما لقى مشركى مكة يوم بدر وأحد.

وأرسل سعد بن أبى وقاص إلى خالد بن عرفطة واستخلفه على الناس. فلما علم المسلمون أن أبا إسحاق لن يشترك فى المعركة اختلفوا على خالد بن عرفطة فاستشاط سعد بن أبى وقاص غضبا فقال لبعض من حوله :

- احملونى وأشرفوا بى على الناس.

فحملوه فأكب مطلعا عليهم من سطح القصر.. فلما رأى الناس ما به من ألم ووجع عذروه .. فقال :

- أما والله لولا أن عدوكم بحضرتكم لجعلتكم نكالا لغيركم.

ثم قال أبو إسحاق : إن الله هو الحق لا شريك له فى الملك، وليس لقوله خلف قال الله جل ثناؤه ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون﴾ إن هذا ميراثكم وموعود ربكم وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجج، فأنتم تطعمون منها وتأكلون منها وتقتلون أهلها وتجبونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم بما نال أصحاب الأيام منكم. وقد جاءكم هذا الجمع وأنتم وجوه العرب وخيار كل قبيلة وعز من وراءكم فإن تزهدوا ما فى الدنيا وترغبوا فى الآخرة، ولا يقرب ذلك أحدا إلى أجله وإن تقعدوا وتهنوا وتضعفوا تذهب ريحكم وتوبقوا آخرتكم.

فلما سمع الناس قول أبى إسحاق ثارت فى صدورهم الحمية والرغبة فى لقاء العدو فإما نصر وإما شهادة.

وصف الفرس على شفير العتيق وكان صف المسلمين مع حائط قديس والخندق فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق.

وأمر سعد بن أبى وقاص بقراءة سورة الأنفال .. فلما قرئت هشت قلوب المسلمين وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها .. ثم قال سعد :

ـ الزموا مواقفكم حتى تصلوا الظهر فإذا صليتم فإنى مكبر تكبيرة فكبروا واستعدوا فإذا سمعتم الثانية فكبروا والبسوا عدتكم وإذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسانكم الناس فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعا حتى تخالطوا عدوكم وقولوا : لا حولَ ولا قوة إلا بالله.

فلما كبر سعد بن أبى وقاص الثالثة برز أهل النجدات فأنشبوا القتال وخرج إليهم منَ الفرس أمثالهم فاعتوروا الطعن والضرب.

وراح أبو إسحاق يطل على ساحة القتال من قصره يدير المعركة من مكانه .. فرأى الفيلة تفعل بالمسلمين الأفاعيل فهتف سعد :

– يا معشر بنى تميم أما عندكم لهذه الفيلة من حيلة؟

فقالوا : – بلى .. يا معشر الرماة ذبوا (ارموا) ركبان الفيلة عنهم بالنبل .. يامعشر أهل الثقافة استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها.

فتطايرت السهام إلى صدور راكبى الأفيال واندفعت جماعة من المسلمين فأخذوا بأذنابها وذباذب توابيتها فقطعوا وضنها فسقط من فى التوابيت فارتفعت أصواتهم وصياحهم فراحت الفيلة تدوس من وقع منهم وفرت الفيلة فشاع الاضطراب فى صفوف الفرس وشد المسلمون عليهم شدة رجل واحد .. وسعد ابن أبى وقاص فى قصره مشرف على أصحابه يدعو الله أن يؤيد دينه ويتم نصره.

وتهاوى جنود الفرس كالذباب المترنح، وتهاوت معهم الوثنية وعبادة النار، وطارت فلول الفرس منهزمة بعد أن رأوا مصرع قائدهم رستم وخيرة جنوده.

وبعث أبو إسحاق بغنائم القادسية إلى مدينة رسول الله ﷺ فتصفحها عمر ابن الخطاب ونظر إليها وهو يبكى ومعه عبد الرحمن بن عوف الذى قال :

- يا أمير المؤمنين هذا يوم فرح، وهذا يوم سرور.

فقال عمر بن الخطاب : أجل ولكن لم يؤت هذا قوم قط إلا أورثهم العداوة والبغضاء.

وطارد جيش سعد بن أبى وقاص فلول جيش الفرس فلما نزل بهرسير (إحدى مدينتى كسرى مما يلى دجلة من الغرب) فلم يجد أحدا من جند الفرس فجمع المسلمون مائة ألف من الفلاحين فحبسوا حتى كتب سعد إلى أمير المؤمنين عمر ما يفعل بهم فكتب إليه الفاروق :

- إن من كان من الفلاحين لم يعن عليكم وهو مقيم ببلده فهو أمانه ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به.

فأطلقهم سعد بعد ما دعاهم إلى الإسلام فأبوا إلا الجزية.

وسار جيش المسلمين إلى المدائن التى هى مستقر ملك كسرى .. فأخبر سعد بأن كسرى يزدجرد عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان وأنه لن يدركه قبل ثلاث .. فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

- إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه وهم يخلصون إليكم إذا شاءوا فينا وشونكم فى سفنهم، وليس وراءكم شئ تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إنى قد عزمت قطع هذا البحر إليهم .. فقالوا جميعا : عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل.

فندب أبو إسحاق الناس إلى العبور وهو يقول : من يبدأ فيحمى لنا الفراض (ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى) ليجوز الناس إليهم آمنين؟

إن إيمان أبى إسحاق وتصميمه ليتألقان فى وجه الخطر، ويتسوران المستحيل فى استبسال عظيم..

وجهز سعد بن أبى وقاص كتيبتين، الأولى كتيبة الأهوال (كانوا ستمائة من ذوى البأس) وأمر عليهم عاصم بن عمرو والثانية الكتيبة الخرساء وأمر عليها

القعقاع بن عمرو .. كان عليهم أن يخوضوا الأهوال على الضفة الأخرى مكانا آمنا للجيش العابر على أثرهم، والأعاجم وقوف صفوفا على الجانب الآخر. وتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض فى دجلة فقال :

– أتخافون من هذه المنطقة؟ ثم تلا قوله تعالى : ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا﴾(١) ثم اقتحم فرسه فيها .. واقتحم الناس .. لقد ذلل الله عز وجل لهم البحار كما ذلل لهم البر.

وسقط من أحد المسلمين (مالك بن عمرو) قدحه فى نهر دجلة فعز عليه أن يكون الوحيد بين رفاقه الذى يضيع منه شئ فنادى أصحابه ليعاونوه على انتشاله .. ودفعته موجة عالية إلى حيث استطاع بعض العابرين التقاطه. ثم أمر سعد المسلمين أن يقولوا :– حسبنا الله ونعم الوكيل ..

ثم اقتحم بفرسه دجلة .. واقتحم الناس وراءه .. .. فلم يتخلف عنه أحد فساروا فيها كأنما يسيرون على الأرض حتى ملأوا ما بين الجانبين، ولم يعد وجه الماء يرى من أفواج الفرسان والعابرين. فقد شملتهم الطمأنينة والأمن والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده. ولما رأى الفرس المسلمين يطفون على وجه الماء قالوا : دبوانا دبوانا (مجانين).

ثم قالوا : والله ما تقاتلون إنسا بل تقاتلون جنا.

ثم أرسلوا فرسانا منهم فى الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا الأعين ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم فرجعوا أمامهم لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من الماء فأتبعهم عاصم بن عمرو وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر ووقفوا على حافة الدجلة يحمون جيش المسلمين العابر.

وساق جيش سعد بن أبى وقاص جيش الفرس حتى دخلوا المدائن .. فلما دخلوها لم يجدوا بها أحدا بل أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والحواصل وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام والثياب والمتاع والآنية والألطاف والأدهان وما لا يدرى قيمته، وكان فى خزانة كسرى ثلاثة آلاف ألف

(١) سورة آل عمران الاية ١٤٥.

ألف ألف دينار (ثلاث مرات) فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك.

وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال ثم الكتيبة الخرساء.

ولما جاء سعد بن أبى وقاص بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسى فلما كان اليوم الثالث دخله وتلا قوله تعالى : ﴿كم تركوا من جنات وعيون* وزروع ومقام كريم* ونعمة كانوا فيها فاكهين* كذلك وأورثناها قوما آخرين﴾(١) ثم تقدم إلى صدره فصلى ثمان ركعات صلاة الفتح.

وسكن سعد بن أبى وقاص القصر الأبيض واتخذ الإيوان مصلى ..

ثم أرسل سعد السرايا فى إثر كسرى يزدجرد فلحق بهم طائفة فقتلوهم وشردوهم واستولوا على أموال عظيمة وملابس كسرى وتاجه وحلته. فبعث سعد بن أبى وقاص بها إلى أمير المومنين عمر بن الخطاب. وولى أمير المؤمنين عمر أبا إسحاق إمارة العراق، وغيرت وخومة البلاد ألوان العرب ولحومهم فتركوا المدائن وبحثوا عن مكان آخر يصلح لسكن هؤلاء الذين اعتادواجفاف الصحراء، فخرج سلمان الفارسى وحذيفة بن اليمان يرتادان البلاد ويبحثان عن مكان يوافق الناس فالتقيا فى مكان صليا به – الكوفة – .. فارتحل سعد بن أبى وقاص بالناس وانطلقوا حتى وافوا الكوفة فعسكروا بها فاستردوا هيئتهم، وآب إليها ما كانوا فقدوا، ورأوا أن يشيدوا بيوتا من القصب ينزلونها بدل الخيام فاستشاروا أبا إسحاق ولكن سعدا ما كان ليقطع بأمر دون أن يرجع إلى الفاروق فأرسل إليه يستأذنه فبعث إليه:

– وما القصب ؟

فكتب إليه سعد بن أبى وقاص : العكرش إذا روى قصب فصار قصبا ..

وأذن لهم سعد فابتنوا لهم بيوتا من القصب .. ولكن حريقا شب فالتهم البيوت فعادوا إلى خيامهم .. فاستأذنوا سعدا فى أن يبنوا بيوتا من اللبن ..

---

(١) سورة الدخان آية ٢٥.

وخططت الطرق وبنيت السوق وبنيت دار لسعد عرفت بالقصر، وجعل فيها بيت المال وبنيت المنازل ودبت فى الكوفة الحياة.

وكان قصر سعد بلا باب، وكان بجوار السوق فكانت غوغاء الناس تمنع سعدا الحديث، فابتنى للقصر بابا، ونفس بعضهم على أبى إسحاق فانطلقوا إلى المدينة وجاءوا أمير المؤمنين عمر وقالوا :

– ابتنى سعد دارا يقال لها القصر واحتجب فيها ولم يكتف بذلك بل جعل لها بابا. وقال : سكن عنى الصويت.

وراحوا يوغرون صدر الفاروق على سعد فبعث محمد بن مسلمة وأمره أن ينطلق إلى الكوفة وقال له :

– اعمد إلى القصر حتى تحرق بابه ثم ارجع عودتك على بدئك.

فانطلق محمد بن مسلمة إلى الكوفة .. وأحرق باب سعد .. فقال سعد لمحمد بن مسلمة :

– لماذا أحرقت الباب ؟

فمد محمد بن مسلمة يده بكتاب أمير المؤمنين عمر : بلغنى أنك بنيت قصرا اتخذته حصنا ويسمى قصر سعد، وجعلت بينك وبين الناس بابا فليس بقصرك ولكنه قصر الخبال انزل منه منزلا مما يلى بيوت الأموال وأغلقه ولا تجعل على القصر بابا يمنع الناس من دخوله وتنفيهم به من حقوقهم ليوافقوا مجلسك ومخرجك من دارك إذا خرجت.

فحلف سعد أنه ما قال الذى قالوا (أقسم أنه لم يقل ما بلغ أمير المؤمنين عمر) فلما رجع محمد بن مسلمة وأخبر الفاروق بما حدث قال :

– هو أصدق مما روى عليه وأبلغنى ..

ثم قال عمر بن الخطاب : إذا روى سعد حديثا فلا تسألوا عنه غيره لصدقه وأمانته.

وخرج نفر من الكوفة إلى مدينة رسول الله ﷺ فقالوا لعمر بن الخطاب :

- إن سعدا لا يقسم بالسوية.

وقالوا : إنه لايعدل فى الرعية ولا يغزو فى السرية ..

وقالوا : إنه لا يحسن الصلاة.

فنظر عمر إلى شكاة أهل الكوفة ثم قال : إن الدليل على ما عندكم من الشر نهوضكم فى هذا الأمر وقد استعد لكم من استعد، وأيم الله لا يمنعنى ذلك من النظر فيما لديكم وإن نزلوا بكم.

وبعث عمر محمد بن مسلمة إلى الكوفة للنظر فى هذه الشكوى .. فدخل على أبى إسحاق وأعلمه ما جاء به ثم صحبه وراح يطوف به على مساجد الكوفة يسأل الناس عنه علنا :

- ما رأيكم فى سعد؟

فقال الناس : لا نعلم إلا خيرا ولا نشتهى به بدلا ولا نقول فيه ولا نعين عليه ..

فانطلق محمد بن مسلمة وسعد إلى مسجد آخر فسأل محمد بن مسلمة الناس :

- أنشد بالله رجلا يعلم حقا إلا قال ..

فقال رجل : إنه ليعدل فى القضية ويقسم بالسوية..

وأخذ محمد بن مسلمة يطوف على المساجد حتى انتهى إلى بنى أسد فسألهم عن سعد فقال أحدهم :

- إن الصيد يلهيه..

وقال آخر: إنه لا يقسم بالسوية ولا يحسن الصلاة ولا ينفر فى السرية ..

فغضب سعد بن أبى وقاص وقال : إنى لأول رجل أهرق دما من المشركين، ولقد جمع لى رسول الله ﷺ أبويه وما جمعهما لأحد قبلى (لم يجمعهما النبى عليه الصلاة والسلام إلا لسعد والزبير بن العوام). ولقد رأيتنى خمس الإسلام وبنو أسد تزعم أنى لا أحسن الصلاة وأن الصيد يلهينى؟

ورجع سعد بن أبى وقاص مع محمد بن مسلمة إلى المدينة فلما لقيا عمر ابن الخطاب سأل سعدا:

- يا سعد ويحك كيف تصلى؟

قال أبو إسحاق : والله إنى لأصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ أطيل فى الركعتين الأوليين وأقصر فى الأخريين ..

فقال عمر بن الخطاب فى ارتياح : هكذا الظن بك يا أبا إسحاق.

لقد خرج سعد بن أبى وقاص بريئا من التهمة التى ألصقت به .. وحين يعتزم عمر إرجاع سعد بن أبى وقاص إلى الكوفة فيقول أبو إسحاق ضاحكا :

- أتأمرنى أن أعود إلى قوم يزعمون أنى لا أحسن الصلاة؟

وأقبل عمرو بن معدى كرب فسأله عمر بن الخطاب عن خبر سعد بن أبى وقاص فقال عمرو :

- متواضع فى خبائه عربى فى نمرته أسد فى تاموره، يعدل فى القضية ويقسم بالسويةويبعد فى السرية، ويعطف علينا عطف الأم البرة وينقل إلينا حقنا نقل الذرة.

وآثر أبو إسحاق البقاء فى مدينة رسول الله ﷺ ..

وذات يوم اختلف سعد بن أبى وقاص وخالد بن الوليد فكان بينهما كلام .. فذهب رجل يقع فى خالد عند سعد فقال له : مه إن ما بيننا لم يبلغ ديننا.

وقال سعد بن أبى وقاص لابنه ناصحا : يابنى إذا طلبت الغنى فاطلبه فى القناعة فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر وعليك باليأس فإنك لم تيأس من شئ إلا أغناك الله عنه.

وذات ضحى مر سعد بن أبى وقاص بعثمان بن عفان عند المسجد فقال سعد :

- السلام عليك يا أبا عبد الله ..

فملأ عثمان بن عفان عينيه من سعد ولم يرد عليه السلام فأتى أبو إسحاق أمير المؤمنين عمر فسأله :

– يا أمير المؤمنين هل حدث فى الإسلام شئ (مرتين) ؟

فقال عمر بن الخطاب : وما ذاك؟

قال سعد بن أبى وقاص : لا، إلا أنى مررت بعثمان آنفا فى المسجد فسلمت عليه فملأ عينيه منى ثم لم يرد على السلام..

فأرسل أمير المؤمنين عمر إلى ذى النورين .. فجاء فسأله :

ما منعك أن لا تكون رددت على أخيك السلام ؟

قال عثمان بن عفان : ما فعلت ..

فقال أبو إسحاق : بلى ..

فحلف عثمان وحلف سعد بن أبى وقاص .. ثم ذكر عثمان فقال :

بلى وأستغفر الله وأتوب إليه إنك مررت بى آنفا وأنا أحدث نفسى بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ ما ذكرتها قط إلا يغشى بصرى وقلبى غشاوة.

فقال أبو إسحاق : فأنا أنبئك أن رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة ثم جاءه أعرابى فشغله حتى قام رسول الله ﷺ فتبعته حتى أشفقت أن يسبقنى إلى منزله ضربت بقدمى الأرض فالتفت إلىّ رسول الله ﷺ وقال : فمه، قلت : لا والله إلا أنك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاءك هذا الأعرابى فشغلك قال : نعم دعوة ذى النون إذ هو فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين، فإنه لن يدعو بها مسلم ربه فى شئ قط إلا استجاب له.

و لما طعن عمر بن الخطاب اختار من أصحابه ستة : على وعثمان والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وطلحة وسماهم أهل الشورى.. ثم قال إن وليها سعد فذاك .. وإن وليها غيره فليستعن بسعد.

إن أمير المؤمنين عمر لو اختار أحدا للخلافة لاختار سعد بن أبى وقاص ..

ولما مات عمر قال سعد : ما كان عمر بأقدمنا هجرة وقد عرفت بأى شئ فضلنا .. كان أزهدنا فى الدنيا.

ورفض سعد بن أبى وقاص الخلافة .. فلقى عبد الرحمن بن عوف على بن أبى طالب فى خلوة فقال له :

– إن لم أبايعك فمن تشير على؟

قال على بن أبى طالب : عثمان ..

ودعا عبد الرحمن بن عوف الزبيربن العوام فقال له :

– إن لم أبايعك فمن تشير على؟

قال الزبير : على أو عثمان ..

وأرسل عبد الرحمن بن عوف فى طلب سعد فلما جاء إليه سأله :

– يا أبا إسحاق من تشير على؟ أما أنا وأنت فلانريدها..

فقال سعد بن أبى وقاص : عثمان بن عفان ..

ثم استشار عبد الرحمن بن عوف الأعيان فرأى هوى أكثرهم فى عثمان .. فبايع عثمان بن عفان. وولاه أمير المؤمنين عثمان الكوفة .. ثم عزل أبا إسحاق واستعمل الوليد بن عقبة بن أبى معيط. فعاد سعد إلى مدينة رسول الله ﷺ .. وذات يوم قال له ابنه عامر:

– يا أبت إنى أراك تصنع بهذا الحى من الأنصار شيئا ما تصنعه بغيرهم؟

فقال سعد بن أبى وقاص :

– أى بنى هل تجد فى نفسك من ذلك شيئا؟

قال عامر بن سعد : لا ولكن أعجب من صنيعك ..

قال أبو إسحاق : فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يحبهم إلا مؤمن ولايبغضهم إلا منافق.

اعتزال الفتنة الكبري :

وامتد العمر بأبى إسحاق .. وتجئ الفتنة الكبرى فاعتزلها. وأمر أهله وأولاده ألا ينقلوا إليه شيئا من أخبارها، وكان يقول :

– ماأزعم أن بقميصي هذا أحق مني بالخلافة، قد جاهدت إذ أنا أعرف الجهاد ولا أبخع نفسي إن كان رجل خيرا مني لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان فيقول : هذا مؤمن وهذا كافر ..

فسئل سعد بن أبى وقاص : ما يمنعك من القتال؟

قال أبو إسحاق : لا أقاتل حتى تجيئوني بسيف يعرف المؤمن من الكافر.

وذات يوم اشرأبت الأعناق نحو سعد فجاءه ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبى وقاص فقال له:

– ياعم ها هنا مائة ألف سيف يرونك أحق الناس بهذا الأمر.

فيخبر ابن أخيه أنه اعتزل الفتنة. ولم يكن مع أحد من الطائفتين المتحاربتين بل لزم بيته بالعقيق. وأمر أهله ألا يخبروه من أخبار الناس بشئ حتى تجتمع الأمة على إمام فطمع فيه معاوية بن أبى سفيان وفى عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وكتب إليهم يدعوهم إلى عونه على الطلب بدم عثمان ويقول لهم:

– إنهم لا يكفرون ما أتوه من قتله وخذلانه إلا بذلك..

ويقول : إن قاتله وخاذله سواء .

فأجابه كل واحد منهم ينكر مقالته ويعرفه بأنه ليس بأهل لما يطلب. وكان جواب سعد بن أبى وقاص له :

معاوى داؤك الداء العياء ... وليس لما تجئ به دواء
أيدعوني أبو حسن علي ... فلم أردد عليه ما يشاء
وقلت له اعطني سيفا بصيرا ... تميز به العداوة والولاء
فإن الشر أصغره كبير ... وإن الظهر تثقله الدماء
أتطمع في الذي أعيا عليا ... على ما قد طمعت به العفاء
ليوم منه خير منك حيا ... وميتا أنت للمرء الفداء
فأما أمر عثمان فدعه ... فإن الرأى أذهبه البلاء

وسئل على بن أبى طالب عن الذين قعدوا عن بيعته ونصرته والقيام معه فقال :

– أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل.

رجل مستجاب الدعوة :

وذات يوم سمع سعد بن أبى وقاص رجلا يسب عليا والزبير وطلحة وعثمان بن عفان فنهاه أبو إسحاق فلم ينته الرجل فقال سعد :

– إذن أدعو عليك ..

فقال الرجل ساخرا : أتهددنى .. أراك تهددنى كأنك نبى..

فتوضأ سعد وصلى ركعتين ثم رفع يديه وقال :

– اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواما سبقت لهم منك الحسنى وأنه قد أسخطك سبه إياهم فاجعله آية وعبرة.

فلم يمض غير وقت قصير حتى خرج الرجل فدخل فى زحام الناس فخرجت من إحدى الدور ناقة نادة لا يردها شئ حتى دخلت فى زحام الناس كأنها تبحث عنه .. ثم اقتحمت الرجل فأخذته بين قوائمها وما زالت تتخبطه حتى مات..

فهرع الناس إلى سعد بن أبى وقاص وقالوا له :

هنيئا لك أبا إسحاق أجيبت دعوتك .

كيف لا تستجاب دعوته وتصير كالسيف القاطع؟ فقد دعا له هذه الدعوة الصادق الصدوق ﷺ :

– اللهم سدد رميته (سهمه) وأجب دعوته.

لا أقاتل أبا الحسن :

ولما انتهى الأمر لمعاوية واستقرت بيده الخلافة لقى أبا إسحاق فى مكة فسأله:

- مالك لم تقاتل معنا ؟

فقال سعد بن أبى وقاص : إنى مررت بريح مظلمة فقلت : أخ .. وأنخت راحلتى حتى انجلت عنى.

فقال معاوية بن أبى سفيان : ليس فى كتاب الله أخ أخ ولكن قال الله تعالى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ إلى أمر الله﴾(١) وأنت لم تكن مع الباغية على العادلة ولا مع العادلة على الباغية ..

فقال سعد بن أبى وقاص : ما كنت لأقاتل رجلا (على بن أبى طالب) قال له رسول الله ﷺ : أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى. وسمعته يقول : لأعطين الراية اليوم - يوم خيبر - رجلا يحب الله ورسوله .

يقول إسماعيل بن محمد بن سعد : كان سعد آدم طويلا أفطس وقيل كان قصيرا دحداحا غليظا ذا هامة خشن الأصابع .

وروى أبو إسحاق عن النبى عليه الصلاة والسلام كثيرا وروى عنه بنوه : إبراهيم وعامر ومصعب وعمر ومحمد وعائشة، ومن الصحابة : عائشة وعبد الله بن عمر وجابر بن سمرة، ومن كبار التابعين : سعيد بن المسيب وأبو عثمان النهدى وقيس بن أبى حازم وعلقمة والأحنف .. وآخرون.

وقدم سعد بن أبى وقاص مكة وقد كف بصره فلقيه عبد الرحمن بن السائب فسلم عليه فسأله :

- من أنت ؟

فقال عبد الرحمن : أنا عبد الرحمن بن السائب..

فقال أبو إسحاق : مرحبا بابن أخى بلغنى أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا. فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا.

---

(١) الحجرات آية ٩.

وفاتــــه :

وذات يوم من أيام العام الرابع والخمسين للهجرة وقد جاوز سعد بن أبى وقاص سن الثمانين نام أبو إسحاق على فراشه فى داره بالعقيق مريضا يتهيأ للقاء ربه، وقد كان رأسه فى حجر ابنه مصعب فلما رأى الدمع فى عينى ابنه سأله:

- ما يبكيك يا بنى؟ إن الله لا يعذبنى أبدا .. وإنى من أهل الجنة ..

ألم يبشره النبى عليه الصلاة والسلام بالجنة؟

ثم أشار سعد بيده نحو خزانته .. ففتحوها وأخرجوا منها جبة فأمر أهله أن يكفنوه فيها وقال :

لقد لقيت المشركين فيها يوم بدر، ولقد ادخرتها لهذا اليوم.

ثم قال سعد بن أبى وقاص : الحدوا لى لحدا ونصبوا على اللبن نصبا - الطوب الأخضر - كما صنع برسول الله ﷺ من قبل رأسه.

وصعدت روحه إلى بارئها .. ودفن جثمانه فى تراب البقيع بجوار ثلة طاهرة من أصحاب رسول الله ﷺ الذين سبقوه إلى .. الله وإلى الجنة.

سعيد بن زيـد

«تسعة فى الجنة .. عاشرهم أبو الأعور سعيد بن زيد»

حديث نبوى شريف

صهر عمر بن الخطاب وابن عمه :

من هو سعيد ؟

هو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره، فقد كانت تحته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر، وكانت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوى تحت عمر بن الخطاب .

كان إسلامه قديما قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى وقبل أن يسلم عمر بن الخطاب .

أحد العشرة الذين شهد لهم النبى عليه الصلاة والسلم بالجنة فقد قال رسول الله ﷺ :

- عشرة فى الجنة : أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعلى وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص.

ثم سكت النبى عليه الصلاة والسلام عن العاشر فقال القوم :

- ننشدك الله من العاشر؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- نشدتمونى بالله .. أبو الأعور فى الجنة، هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل.

كان أبوه زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين دين الحنيفية دين إبراهيم عليه السلام قبل أن يبعث رسول الله ﷺ وكان لا يذبح للأنصاب ولا يأكل الميتة والدم.

كان مقام أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسعيد وسعد وطلحة والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة مع النبى ﷺ واحدا، كانوا أمامه فى القتال والجهاد فى سبيل الله وخلفه فى الصلاة .

كان من فضلاء الصحابة .

وكان مستجاب الدعوة.

نسبــه :

هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى ويكنى أبا الأعور، وأمه فاطمة بنت بعجة بن أمية بن خويلد. وكان أبوه زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين فخرج إلى الشام يسأل عنه فلقى حبرا من أحبار يهود فسأله عن دينهم فقال:

- إنى لعلى أن أدين بدينكم فأخبرونى ..

فقال الحبر : لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله ..

فقال زيد بن عمرو : ما أفر إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئا أبدا، وإنى لا أستطيعه، فهل تدلنى على غيره؟

قال الحبر : ما أعلمه إلا أن يكون حنيفا.

فتساءل زيد بن عمرو بن نفيل : وما الحنيف؟

قال الحبر : دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله ..

فلما رأى زيد بن عمرو بن نفيل قول أحبار يهود رفع يديه وقال :

- اللهم إنى أشهدك أنى على دين إبراهيم.

ورجع إلى مكة وهو على دين إبراهيم .

يقول محمد بن عمر : حدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى سبرة عن موسى بن ميسره عن أبى مليكة عن حجير بن أبى إهاب:

- رأيت زيد بن عمرو وأنا عند صنم بوانة بعد ما رجع من الشام وهو يرقب الشمس فإذا زالت استقبل الكعبة فصلى ركعة وسجدتين ثم يقول : هذه قبلة إبراهيم وإسماعيل لا أعبد حجرا ولا أصلى له ولا أذبح له ولا آكل ما ذبح له، ولا أستقسم بالأزلام ولا أصلى إلا إلى هذا البيت حتى أموت.

وكان زيد يحج فيقف بعرفة. وكان يلبى فيقول :

- لبيك لا شريك لك ولا ند لك.

ثم يدفع من عرفة ماشيا وهو يقول :

لبيك متعبدا لك مرفوقا.

وكان زيد يحيى الموءودة فيقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته :

– لا تقتلها أكفيك مئونتها ..

فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها:

– إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مئونتها ..

ولقى محمد بن عبد الله (قبل أن ينزل عليه الوحى) بأسفل بادح، فقدم إليه محمد سفرة فيها لحم فأبى زيد أن يأكلها وقال :

– إنى لا آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

وكان زيد بن عمرو يعيب على قريش ذبائحهم ويقول :

– الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء وأنبت لها الأرض ثم يذبحونها على غير اسم الله إنكارا لذلك وإعظاما له لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه.

تقول أسماء بنت أبى بكر : رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره الكعبة يقول : يا معشر قريش ما منكم اليوم أحد على دين إبراهيم غيرى.

وكان يهجو اللات فى شعره :

عزلت اللات والعزى جميعا

يقول عامر بن ربيعة : كان زيد بن عمرو بن نفيل يطلب الدين وكره النصرانية واليهودية وعبادة الأوثان والحجارة وأظهر خلاف قومه واعتزال آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم، ولا يأكل ذبائحهم فقال لى : ياعامر إنى خالفت قومى واتبعت ملة إبراهيم وما كان يعبد إسماعيل من بعده، وكانوا يصلون إلى هذه القبلة فأنا أنتظر نبيا من ولد إسماعيل يبعث ولا أرانى أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبى، فإن طالت بك مدة فرأيته فأقرئه منى السلام. وتوفى زيد ابن عمرو بن نفيل وقريش تبنى الكعبة قبل أن ينزل الوحى على رسول الله ﷺ بخمس سنين.

إسلامه :

لما سرى الهمس فى أم القرى بأن محمدا- ﷺ - يدعو الناس سرا إلى توحيد إله واحد وأنه نبى هذه الأمة .. بلغ الهمس إلى دار سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل فتذكر وصية أبيه الذى خالف قومه واعتزل آلهتهم وكان على دين إبراهيم وكان ينتظر ظهور النبى الأمى الذى بشرت به الأنبياء وآمن به وصدقه على الرغم من أنه لم يره ولم يدركه وشهد أنه نبى فلما مات أوصى ابنه سعيدا أن يسارع بتصديقه إذا ما ظهر.أخبر سعيد بن زيد امرأته فاطمة بنت الخطاب فقال لها فى فرح:

- لقد ظهر نبى هذه الأمة ..

فتساءلت فاطمة بنت الخطاب : من؟

قال سعيد بن زيد : محمد بن عبد الله..

قالت فاطمة بنت الخطاب : الأمين؟ إنه لخليق بالرسالة ..

ثم انطلقا تحت جناح الليل الأسود إلى بيت الطاهرة سيدة نساء قريش خديجة بنت خويلد، فلقيهما النبى عليه الصلاة والسلام مرحبا فعرض عليهما الإسلام وحدثهما وقرأ عليهما آيات من القرآن فأعاراه السمع، وأحس سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كأنما نور الإيمان يشرق فى صدره ويرقق نفسه ويرفعها إلى عالم ليس له منتهى فنطق هو وزوجته بشهادة الحق.

وسأل سعيد بن زيد النبى عليه الصلاة والسلام عن أبيه فقال رسول الله ﷺ :

- غفر الله لزيد بن عمرو ورحمه فإنه مات على دين إبراهيم. يبعث يوم القيامة أمة وحده.

ثم دخل النبى عليه الصلاة والسلام دار الإسلام (دار الأرقم بن أبى الأرقم) وأخذ يدعو فيها إلى الإسلام ويصلى مع من اتبعه فيها وأسلم عامر بن ربيعة فأخبر النبى عليه الصلاة والسلام بقول زيد بن عمرو بن نفيل وأقرأه منه السلام فرد عليه الصلاة والسلام ورحّم عليه وقال.

- وقد رأيته فى الجنة يسحب ذيولا ..

ومنذ ذلك اليوم راح أصحاب رسول الله ﷺ لا يذكره ذاكر منهم إلا ترحم عليه.

ولما أمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن ينذر عشيرته الأقربين وقف على جبل الصفا وقال بأعلى صوته :

- يامعشر قريش ..

فأقبل الناس يتقدمهم عمه عبد العزى بن عبد المطلب (أبو لهب) فقال :

- مالك يا محمد؟

فقال رسول الله ﷺ : ادنوا منى أكلمكم.

فقالوا : تكلم.

قال النبى عليه الصلاة والسلام : إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، يابنى عبد المطلب، يابنى عبد مناف يابنى زهرة يا بنى تيم يابنى مخزوم يا بنى أسد .. إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين وإنى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا إلا أن تقولوا : لا إله إلا الله..

فسخر الناس وقالوا : ألهذا جمعتنا؟

فقال أبو لهب بن عبد المطلب : تفرقوا أيها الناس عن هذا المجنون ..

فقال رسول الله ﷺ : ما أعلم إنسانا فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنى ربى أن أدعوكم إليه؟

فانصرف الناس وقال أبو لهب وهو يوليه ظهره : تبا لك..

وكبر على المشركين ما يدعو رسول الله ﷺ إلى توحيد إله واحد ونبذ عبادة اللات والعزى وهبل ومناة، وقام عمرو بن هشام غاضبا وقال :

- إنها لفتنة يحدثها محمد ..

فقال أمية بن خلف : بل هى بدعة يحدثها فى العرب بنو عبد مناف ..

وقال النضر بن الحارث : لعل محمدا يريد أن يذهب بها فضلا على العرب كافة ..

وقال عقبة بن أبى معيط : واللات والعزى لا نؤمن به أبدا.

جبريل يحرس النبى عليه الصلاة والسلام :

وأكثر أهل مكة ذكر النبى عليه الصلاة والسلام بينهم فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه واجتمع أشراف قريش فى الحجر فقال أبو جهل بن هشام وهو ينظر نحو رسول الله ﷺ :

- يامعشر قريش إن محمدا قد أبى إلا ما ترون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وسب آلهتنا، وإنى أعاهد الله لأجلس له غدا فإذا سجد فى صلاته فضخت رأسه فليصنع بعد ذلك عبد مناف ما بدا لهم. فلما أصبح أخذ أبو جهل ابن هشام حجرا كبيرا كان يجلس عليه ثم راح ينتظر مقدم النبى عليه الصلاة السلام وغدا رسول الله ﷺ كما كان يغدو فاستقبل قبلته (الشام) وراح يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون .. فلما سجد محمد ﷺ احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ رجع متبهتا ممتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على الحجر حتى قذفه من يده، فقام إليه أبو سفيان ابن حرب وعتبة بن ربيعة والعاص بن وائل والأسود بن عبد يغوث وتساءلوا :

- وما بك يا أبا الحكم؟

قال أبو جهل بن هشام : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى فحل من الإبل والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته (أصل العنق) ولا أنيابه لفحل قط فهم أن يأكلنى ..

سأل سعيد بن زيد رسول الله ﷺ :

يانبى الله لما هم أبو جهل أن يلقى عليك الحجر ذكر كذا وكذا.

قال النبى عليه الصلاة والسلام : ذلك جبريل ولو دنا منه لأخذه.

ولما أسلم عم رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب علمت قريش أن رسول الله ﷺ منع وعز به فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم.

كيف أسلم عمر بن الخطاب ؟

وذات يوم خرج عمر بن الخطاب متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ وفى الطريق لقى نعيم بن عبد الله النحام (كان من بنى عدى بن كعب وقد أسلم وأخفى إسلامه) فلما رأى عمر والشر يملأ وجهه سأله :

– إلى أين يا ابن الخطاب :

قال عمر بن الخطاب ؟

أريد محمدا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامنا وعاب ديننا وسب آلهتنا أقتله.

فقال نعيم بن عبد الله النحام ليلفته عن قصده :

– أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ اذهب إلى ختنك (صهرك سعيد ابن زيد) وأختك (فاطمة) لقد دخل هذا الأمر بيتك ..

فانطلق عمر إلى بيت سعيد بن زيد .. فأسلم عمر بن الخطاب .. ودخل أصحاب رسول الله ﷺ المسجد الحرام فطافوا بالكعبة وراحوا يصلون آمنين مطمئنين.

هجرته إلي يثرب :

واشتدت عداوة قريش لرسول الله ﷺ لما علموا أن الأنصار (أوس وخزرج يثرب) قد بايعوه على أن ينصروه ويمنعوه .. وأذن ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى يثرب.

وهاجر سعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب إلى يثرب.

أبو الأعور يروي عن رسول الله ﷺ :

ووجد رسول الله ﷺ رجالا من يهود صائمين فسألهم عن ذلك اليوم فقال :

– ماهذا ؟

قالوا : هذا يوم (يوم عاشوراء) نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى..

فقال ﷺ : – أنا أحق بموسى منكم (نحن أحق بصومه) لئن بقيت أمرت بصيام يوم قبله أو يوم بعده.

يقول سعيد بن زيد: سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن نوحا هبط من السفينة على الجودى يوم عاشوراء فصام نوح وأمر من معه بصيامه شكرا لله تعالى، وفى يوم عاشوراء تاب الله تعالى على آدم وعلى أهل مدينة يونس وفيه فلق البحر لبنى إسرائيل وفيه ولد إبراهيم ومريم.

وآخى النبى عليه الصلاة والسلام بين سعيد بن زيد وبين أبى بن كعب الأنصارى .

يوم بدر :

وبعث رسول الله ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد إلى الشام يتحسسان أخبار عير قريش .. فلما رجعا إلى المدينة فقدماها يوم وقعة بدر .. وعلى الرغم من أنهما لم يشهداها إلا أن رسول الله ﷺ ضرب لهما بسهمهما وأجرهما.

وسمع سعيد بن زيد رسول الله ﷺ يقول :

– من قتل دون ماله فهو شهيد.

جهاده في سبيل الله :

وشهد سعيد بن زيد مع رسول الله ﷺ غزوة أحد وغزوة الخندق وبنى النضير وخرج معه وبايعه بيعة الرضوان وشهد صلح الحديبية.

وذات يوم قدم على رسول الله ﷺ نفر (كانوا ثمانية من عرينة - قيل أربعة من عرينة وثلاثة من عكل والثامن من غيرهما، ونطقوا بالشهادتين) كانوا مجهودين قد كادوا يهلكون لشدة هزالهم وصفرة ألوانهم وعظم بطونهم وقالوا:

- يارسول الله آونا وأطعمنا.

فأنزلهم النبى عليه الصلاة والسلام عنده (أنزلهم مع أهل الصفة وهم فقراء المسلمين الذين ليس لهم مأوى بالمدينة) فقالوا :

إن المدينة وبئة وخمة وإننا أهل ضرع ولم نكن من أهل الريف ..

فقال رسول الله ﷺ : لو خرجتم إلى ذود لنا (لقاح وكانت خمسة عشر) فشربتم ألبانها وأبوالها (بول الفصيل). ففعلوا .. ثم دبت الصحة فى أجسادهم. وكفروا بعد إسلامهم وقتلوا راعيها (يسار مولى النبى عليه الصلاة والسلام) ومثلوا به (قطعوا يديه ورجليه) وغرزوا الشوك فى لسانه وعينيه واستاقوا اللقاح. (كانوا قد ركبوا بعض اللقاح واستاقوها فأدركهم يسار مولى رسول الله ﷺ ومعه نفر فقاتلهم فقطعوا يديه ورجليه ومثلوا به).

ولما بلغ النبى عليه الصلاة والسلام الخبر بعث ﷺ فى آثارهم عشرين فارسا واستعمل عليهم سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وأرسل معه من يقص آثارهم فأدركوهم فأحاطوا بهم وأسروهم ودخلوا بهم المدينة فأمر بهم رسول الله ﷺ فقطعت أيديهم وأرجلهم وسملت أعينهم (غورت بمسامير محماة بالنار) وألقوا بالحرة (أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت بالنار) يستسقون فلا يسقون.

وخرج أبو الأعور مع رسول الله ﷺ وشهد فتح خيبر وعمرة القضاء.

وكان سعيد بن زيد يقول : قال رسول الله ﷺ : لا صلاة لمن لا وضوء له. ولاوضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه.

وسئل سعيد بن زيد عن أبيه فقال : خرج ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو ابن نفيل يطلبان الدين حتى مرا بالشام، فأما ورقة فتنصر (اعتنق النصرانية) وأما زيد فقيل له :

– إن الذى تطلب أمامك في الموصل.

فانطلق زيد بن عمرو إلى الموصل فإذا هو براهب فقال :

– من أين أقبل صاحب الراحلة؟

قال زيد بن عمرو بن نفيل : من بيت إبراهيم.

فتساءل الراهب : فما تطلب؟

قال زيد بن عمرو بن نفيل : الدين.

فعرض عليه النصرانية فقال زيد بن عمرو : لا حاجة لى بها ..

وأبى أن يقبلها، فقال الراهب : إن الذى تطلب سيظهر بأرضك.

فأقبل زيد بن عمرو بن نفيل وهو يقول :

– لبيك حقا حقا، تعبدا ورقا، مهما تجشمنى فإنى جاشم عذت بما عاذ به إبراهيم.

ومر بمحمد – ﷺ – ومعه أبو سفيان بن الحارث يأكلان من سفرة لهما فدعواه إلى الغداء فقال زيد بن عمرو:

– يا ابن أخى إنى لا آكل ما ذبح على النصب..

فما رؤى محمد بن عبد الله – ﷺ – يومه ذلك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث ﷺ.

وتبسم سعيد بن زيد ثم أردف : ولما هدانى الله إلى الإسلام أتيت رسول الله ﷺ فقلت له : إن زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له ..

قال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم فاستغفر له فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده.

وسمع أبو الأعور النبى عليه الصلاة والسلام يقول :

– الكمأة من المن وماؤها شفاء العين.

يقول سعيد بن زيد : قال رسول الله ﷺ : من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد.

وذات يوم كان أصحاب رسول الله ﷺ يذكرون حراء فقال سعيد بن زيد:

– لقد سمعت نبى الله محمدا ﷺ يقول : اثبت حراء فإنه ليس عليك إلا نبى أو صديق أو شهيد..

ثم قال ﷺ : عشرة من قريتى فى الجنة : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن مالك وسعيد بن زيد بن نفيل وأبو عبيدة بن الجراح.

وشهد سعيد بن زيد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وغزوة حنين وحصار الطائف وغزوة تبوك وحجة الوداع.

ولما انتقل النبى عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى وبايع الناس أبا بكر كان الخليفة الأول يستشير أبا الأعور وكبار الصحابة .. وكذلك فعل عمر بن الخطاب، وشهد سعيد بن زيد معركة اليرموك.

ولما ولى أمير المؤمنين عثمان الخلافة أقطع سعيد بن زيد أرضا بالكوفة فنزل الكوفة وسكنها.

رجل مستجاب الدعوة :

وجاءت أروى بنت أويس إلى محمد بن عمرو بن حزم فقالت له :

– يا أبا عبد الملك إن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد بنى ضفيرة (مسناة مستطيلة فى الأرض فيها خشب وحجارة – اللسان –) فى حقى فأته بكلمة فلينزع عن حقى فوالله لئن لم يفعل لأصيحن به فى مسجد رسول ﷺ.

فقال أبو محمد بن عمرو بن حزم : لا تؤذى صاحب رسول الله ﷺ فما كان ليظلمك ولا ليأخذ لك حقا ..

فخرجت فجاءت عمارة بن عمرو وعبد الله بن سلمة فقالت لهما :

ائتيا سعيد بن زيد فإنه ظلمنى وغلبنى على حقى. سرق من أرضى وأدخله فى أرضه . فوالله لئن لم ينزع لأصيحن به فى مسجد رسول الله ﷺ.

فخرجا حتى أتياه بالعقيق (كان جارها) فقال لعمارة وسلمة :

– ما أتى بكما؟

قال عمارة وسلمة : جاءتنا أروى بنت أويس فزعمت أنك بنيت ضفيرة في حقها وحلفت بالله لئن لم تنزع لتصيحن بك فى مسجد رسول الله ﷺ فأحببنا أن نأتيك ونذكر لك ذلك.

فقال سعيد بن زيد : أنا أظلم أروى حقها؟ فوالله لقد ألقيت لها ستمائة ذراع من أرضى، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أخذ شبرا من الأرض بغير حقه يطوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين فلتأت فلتأخذ ما كان لها من الحق.

ثم رفع سعيد بن زيد كفيه إلى السماء وقال : اللهم إن كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمى بصرها وتجعل ميتتها فيها (فى بئرها).

فرجع عمارة بن عمر وعبد الله وسلمة فأخبراها ذلك فجاءت فهدمت الضفيرة وبنت بنيانا .. فلم تمكث إلا قليلا حتى عميت وكانت تقوم بالليل ومعها جارية لها تقودها لتوقظ العمال فقامت ليلة وتركت الجارية فلم توقظها فخرجت تمشى حتى سقطت فى البئر فأصبحت ميتة. فكان بئرها قبرها. فأظهر الله من حق سعيد بن زيد نورا بين للمسلمين أنه لم يظلمها .. وكانت دعوته مستجابة .

المبشرون بالجنة :

واستعمل أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان المغيرة بن شعبة الثقفى على الكوفة فأقام خطباء يسبون ويقعون فى على بن بى طالب فبينما كان سعيد ابن زيد يدخل المسجد الأكبر وكان المغيرة بن شعبة جالسا وعنده أهل الكوفة عن يمينه وعن يساره جاء سعيد بن زيد فحياه المغيرة وأجلسه عند رجليه على السرير . فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبل المغيرة فسب فتساءل سعيد بن زيد :

– من يسب هذا يامغيرة؟

قال المغيرة بن شعبة : سب على بن أبى طالب ..

فقال سعيد بن زيد : يا مغيرة يامغيرة يا مغيرة بن شعبة الا أسمع أصحاب رسول الله ﷺ يسبون عندك لا تنكر ولا تغير وأنا أشهد على رسول الله ﷺ مما سمعت أذناى ووعاه قلبى من رسول الله فإنى لم اكن أورى عنه كذبا يسألنى عنه إذا لقيته أنه قال : أبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة، والزبير فى الجنة وسعد بن مالك فى الجنة وتاسع المؤمنين فى الجنة ولو شئت أن أسميه لسميته.

فرج أهل الكوفة المسجد الأكبر يناشدون سعيد بن زيد:

- ياصاحب رسول الله من التاسع؟

قال سعيد بن زيد : ناشدتمونى بالله والله عظيم وأنا تاسع المؤمنين..

ثم أتبع ذلك قسما فقال : لمشهد شهده رجل مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يغبر وجهه مع رسول الله ﷺ أفضل من عمل أحدكم ولو عمر عمر نوح.

أولاده :

كان للصحابى الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أربعة بنين : عبد الله وعبد الرحمن وزيد والأسود وكلهم أعقب وأنجب.

وقد روى عنه من الصحابة : عبد الله بن عمر وعمرو بن حريث وأبو الطفيل. ومن كبار التابعين : أبو عثمان النهدى وسعيد بن المسيب وقيس بن أبى حازم وغيرهم.

وفاتـــه :

مات سعيد بن زيد يوم الجمعة سنة خمسين من الهجرة بالعقيق فغسله سعد بن أبى وقاص ثم حمل إلى المدينة ونزل سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر قبره بعد أن عاش ثلاثا وسبعين سنة.

المراجع

– القرآن الكريم
– تفسير القرآن لابن كثير
– تفسير القرآن للطبرى
– صفوة التفاسير لمحمد على الصابونى
– أسباب النزول للواحدى
– الروض الأنف للسهيلى
– حلية الأولياء لأبى نعيم الأصبهانى
– الطبقات الكبرى لابن سعد كاتب الواقدى
– أهل الجنة لعبد العزيز الشناوى
– البداية والنهاية لابن كثير
– أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير
– دلائل النبوة للبيهقى
– فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى
– الكامل فى التاريخ لابن الأثير
– تاريخ الخلفاء للإمام الحافظ السيوطى
– صحيح مسلم
– صحيح البخارى
– حياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوى
– كنز العمال للهندى
– الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى
– نساء الصحابة لعبد العزيز الشناوى
– تاريخ الطبرى
– الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر
– إنسان العيون لعلى بن برهام الحلبى
– السيرة النبوية لابن هشام

● محتويات الكتاب